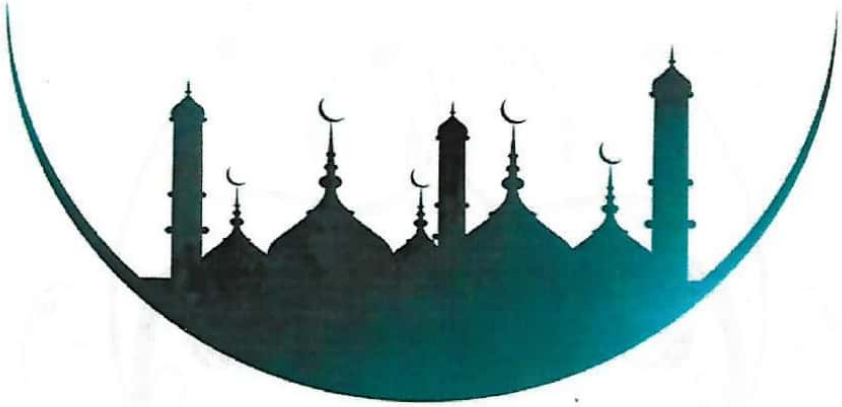

الدر الفاخر النفيس المنظم
في أجوبة مسائل
الشيخ عبدالله محمد مكرم
خطيب الجامع الكبير المعظم
(ت 1404هـ)
للعلامة المحدث
أحمد عبد الباري عاموه
(ت 1369هـ)
رحمهما الله تعالى

ومعه التعليق المحكم

للشيخ العلامة

محمد بن أحمد عاموه

حفظه الله تعالى

دار أبي حنيفة

Scanned by CamScanner

الدر الفاخر النفيس المنظم
في أجوبة مسائل الشيخ عبد الله محمد مكرم
خطيب الجامع الكبير المعظم
(ت ١٤٠٤هـ)
للعلامة المحدث أحمد عبد الباري عاموه
(ت ١٣٦٩هـ)
رحمهما الله تعالى

ومعه

التعليق المحكم
للشيخ العلامة المحدث محمد أحمد عاموه

Scanned by CamScanner

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م

دار أبي حنيفة
للنشر والتوزيع
اليمن - الحديدة

e-mail: daroabihanifah@gmail.com

يطلب من
لؤي يحيى الحنفي
777 024 320

Scanned by CamScanner

الدر الفاخر النفيس المنظم

في أجوبة مسائل الشيخ عبدالله محمد مكرم

خطيب الجامع الكبير المعظم

(ت ١٤٠٤هـ)

للعلامة المحدث أحمد عبد الباري عاموه

(ت ١٣٦٩هـ)

رحمهما الله تعالى

ومعه

التعليق المحكم

للشيخ العلامة المحدث

محمد بن أحمد عاموه

حفظه الله تعالى

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد ...

فإن رسالة العلامة المحدث أحمد عبد الباري عاموه المتوفى سنة ١٣٦٩هـ رحمه الله المسماة الدر الفاخر النفيس المنظم في أجوبة مسائل الشيخ عبدالله محمد مكرم المتوفى سنة ١٤٠٤هـ فريدة في بابها نافعة لطلابها لما اشتملت عليه من نفائس المسائل التي يكثر السؤال عنها وتعظم الحاجة إليها فحرصنا على طبعها لأول مرة ونشرها بعد كتابة التعليق المحكم عليها ليعم بها النفع وتحصل بها الفائدة والله أسأل أن يكتب لها القبول بمنه وكرمه إنه أعظم مأمول وأكرم مسئول وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم.

محمد أحمد عاموه

Scanned by CamScanner

ترجمة المؤلف:

اسمه: هو العلامة المحدث الفقيه الأصولي أحمد بن عبدالباري ابن علي بن عبدالله حسين بن محمود بن ولي بن محمد السندي الملقب عاموه رحمه الله.

ولادته: ولد في رمضان المبارك سنة ١٣١٣هـ في مدينة الحديدة.

مشايخه: أخذ العلم عن كثير من فضلاء عصره وقرأ الكثير من المصنفات في الفقه على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه، وانتهت إليه رئاسة الحنفية في عصره وبرز في كل الفنون وتميز في علم الحديث و أصوله ومن مشايخه:

١- العلامة الكبير المحدث الفقيه الأصولي الشيخ محمد بن محمد عيسى فقيره توفي ١٣٣٩هـ رحمه الله.

٢- العلامة الأجل البدر الأكمل شافعي وقته بلا مدافع ولا جدل السيد محمد بن عبدالرحمن بن حسن الأهدل توفي ١٣٥٢هـ رحمه الله.

٣- العلامة الكبير محرر المذهب النعماني العزي حديدي توفي ١٣٦٩هـ رحمه الله.

تلاميذه: تتلمذ لعالمنا الجليل كثير من الطلبة وانتفع به خلق لا يحصون وممن تخرج به:

١- العلامة المحدث الأديب الشهيد القاضي محمد بن عبدالله عاموه توفي ١٣٨١هـ رحمه الله.

٢- العلامة المحدث الفقيه الكبير عبدالله سعيد اللحجي توفي ١٤١٠هـ رحمه الله.

Scanned by CamScanner

٣- العلامة الكبير الفقيه المتقن الفصيح البليغ الشيخ عبدالله محمد مكرم خطيب الجامع الكبير المعظم توفي ١٤٠٤هـ رحمه الله.
٤- العلامة الجليل مفتي الحديدة أحمد عثمان مطير توفي ١٤١٥هـ رحمه الله.
٥- وممن استجازه وروى عنه المسند العلامة المحدث محمد ياسين الفاداني توفي ١٤١٠ هـ رحمه الله تعالى.

مصنفاته:

اشتغل عالمنا الجليل بالتأليف والتصنيف مع التحقيق الكبير فكانت له اليد الطولى في حل كثير من المسائل الشائكة في عصره ومن أهم مصنفاته:

١- الدر الفاخر النفيس المنظم في أجوبة مسائل الشيخ عبدالله مكرم خطيب الجامع الكبير المعظم (وهي التي ننشرها).
٢- إتحاف الأمة فيما خص به أبو حنيفة من مزايا عن بقية الأئمة.
٣- السيف المسلول في عنق من مال إلى كلام الكهان وخالف كلام الرسول.
٤- الدر النفيس في مناقب الإمام محمد بن إدريس رضي الله عنه.
٥- تحفة الإخوان في مناقب أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه.
٦- القول الجلي في مناقب الإمام زيد بن علي رضي الله عنه.
٧- الكواكب الدرية في الاثنا عشرية.
٨- الدر الثمين في فضل العلم والعلماء والمتعلمين.
٩- الرياض المزدهرة في مناقب أئمة المذاهب المعروفة المشتهرة.

Scanned by CamScanner

١٠- تاج الكلام في حكم القراءة خلف الإمام.
وله غير ذلك من الرسائل والمصنفات يسر الله طبعها ونشرها آمين.

وفاته: انتقل المترجم له إلى رحمة ربه بعد خدمة عظيمة للإسلام والمسلمين بعد فجر يوم الجمعة الخامس من صفر الخير عام ١٣٦٩هـ فرحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه فسيح الجنان آمين.

وانظر للتوسع في ترجمته رسالتنا المسماة البدر الساري في مناقب العلامة أحمد عبدالباري .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

Scanned by CamScanner

ترجمة العلامة عبدالله مكرم:

هو العلامة الكبير الفقيه مفتي الشافعية بالحديدة الشيخ عبدالله بن محمد بن المكرم بن عيسىٰ بن أحمد الوضاب.

ولد: بمدينة الحديدة سنة ١٣٣٨هـ.

مشايخه:

١- والده العلامة المحقق محمد بن المكرم بن عيسىٰ بن أحمد الوضاب ت ١٣٦٢هـ قرأ عليه القرآن الكريم حتىٰ أتمه وأخذ عليه في الفقه والنحو والأصول والحديث وغيرها من فنون العلم.

٢- العلامة الكبير المحقق يحيىٰ بن عبدالله محمد مكرم ت ١٣٦٣هـ.

٣- العلامة الكبير المحقق محمد بن محمد العقيلي ت ١٣٦٥هـ.

٤- السيد أحمد بن محمد الأهدل منصب الحديدة ت ١٣٨٠هـ.

٥- الشيخ العلامة عبدالله علي عاموه ت ١٣٨١هـ.

٦- الشيخ العلامة المحدث أحمد عبد الباري عاموه ت ١٣٦٩هـ أخذ عنه في جميع الفنون.

تولىٰ المترجم له مناصب علمية أهمها خطابة الجامع الكبير بالحديدة بعد وفاة والده، عضو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمن الإمام أحمد حميد الدين، كما تقلد منصب إدارة المعارف بتهامة في زمن الإمام أحمد حميد الدين، إدارة المعهد الديني الذي أسسه بعد قيام الثورة لتدريس العلوم الشرعية، كما تقلد منصب الإفتاء لمحافظة الحديدة.

Scanned by CamScanner

حج المترجم له سنة ١٣٩١هـ وتعرَّف على علماء الحرمين وأخذ عنهم وكانت له دروس علمية منتظمة في الجامع الكبير بالحديدة استفاد منها جمع كبير من طلاب العلم، وترأس حلقة الإمام البخاري بالحديدة بعد وفاة الشيخ عبد القادر مكرم.

وكان رحمه الله ورعاً محققاً دلت فتواه على دقة نظره وكان خطيباً مفوهاً حسن الصوت في تلاوة القرآن الكريم واستمر على الحال المَرضية عند الله عز وجل والسيرة الحسنة المحمودة عند الناس إلى أن انتقل إلى جوار ربه عز وجل ليلة السابع عشر من شوال سنة أربع وأربعمائة وألف هجرية.

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على كل حال والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بأكمل الخصال والمنعوت بأشرف الخلال ورضي الله عن الصحابة والآل ما تعاقب الأيام والليال ومن تابعهم بإحسان إلى يوم المآل وبعد ...

فهذا جواب ما سألتني عنه وفقني الله وإياك للصواب اعلم أيها السائل أن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا إلى الخلق ليبين لهم الحلال والحرام وأمرنا الله باتباعه فيما أمر به ونهى عنه فبلغ أمته وبين لهم ما يحل فعله وما يحرم ولم يترك شيئا مما كلف الله به أمته إلا بينه إما تفصيلاً وإما إجمالا حتى توفاه الله وقد تركنا على المحجة البيضاء والطريق المستقيم كما قال الله تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(المائدة:٣) فمن فعل فعلاً دل الشرع على تحريمه فلا يثاب عليه بل يعاقب فليس لأحد ممن هو على ملته صلى الله عليه وسلم من عالم أو ولي أو سلطان أو جاهل أن يفعل شيئاً دل الكتاب أو السنة على تحريمه وإلا فهو عاص جاهل مغرور متعد على منصب النبوة ومقام الرسالة مستحق لاسم العصيان نعوذ بالله من ذلك فقول السائل هل كان الجيلاني والعيدروس يلبسان الذهب والحرير استدلالاً بقوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ (الأعراف:٣٢) كما زعم ذلك بعض الناس أم لا؟

Scanned by CamScanner

(جوابه) أن الجيلاني والعيدروس كانا من الأولياء الكُمَّل الذين اتفق الناس على ولايتهما ومع ذلك فهما من أمة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يحرم عليهما ما يحرم على كافة الأمة ويحل لهما ما يحل لكافتهم وليس لنا نص على تخصيصهما بجواز شيء دون الأمة فالولاية لا تكون إلا باتباع سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والطريق والوصول إلى الله مسدود إلا على من يقتفي آثار المصطفى صلى الله عليه وسلم ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ (يوسف:١٠٨) فالجيلاني والعيدروس لم يصح عنهما من طريق صحيح لباس الذهب والحرير وحاشاهما من مخالفة شريعة جدهما سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فإن صح عند هذا القائل فليبين مستنده في قوله وإلا فهو ضال غاش للأمة مفترٍ على وليي هذه الأمة وحاكمٌ عليهما بأنهما ارتكبا إثماً وهذا حط من مقامهما وهكذا الجهل يفعل بأهله فالجاهل يظن المثالب مناقب لا سيما إن وجدها في بعض الكتب ولا يدري المسكين بأن يكون هذا مما دُسَّ على الأولياء وكم في بطون بعض الكتب منْ أكاذيب وبلايا وأقاصيص كلها حديث خرافة فقد دسوا في الغنية للشيخ عبد القادر الجيلاني مسئلة الجهة ونسبوها إليه وهو بريء منها(١)

---

(١) هنا مسألتان الأولى قضية الدسّ في كتب العلماء والثانية دس مسألة الجهة في الغنية:

Scanned by CamScanner

المسألة الأولى:

الدس في اللغة: الإدخال.

واصطلاحاً: المراد به هنا أن تُدخِلَ في كلام الغير ما لم يقله أو تنسب إليه ما لم يفعله.

والدس على العلوم الإسلامية ظاهرة معروفة حذر منها العلماء وتنبه لها الحذاق وعملوا على إبطالها وإظهار الحقائق ومنع اللبس فكم حذر العلماء من الإسرائيليات المبثوثة في ثنايا بعض كتب التفسير وكم من دس في هذه الإسرائيليات على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وقد نبه العلماء على ذلك وأفردوه بالكتابة والتصنيف وكم وضع الوضاعون من أحاديث مكذوبة وموضوعة ونسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وألف العلماء في ذلك كتباً كثيرة بينوا فيها هذه الأحاديث الموضوعة وكم في كتب التاريخ من وقائع وحكايات أشبه ما تكون بنسج الخيال وأخبار ألف ليلة وليلة نبه على كذبها ودسها حُذّاق المؤرخين من علماء الإسلام الثقات الأثبات وهكذا التصوف كغيره من العلوم الدينية لم يسلم من الدَسِّ والتحريف فمنهم من أدخل في كتب الصوفية أفكاراً منحرفة وعبارات سيئة ما أُنزِلَ بها من سلطان كقولهم:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الرب إلا راهب في كنيسة

Scanned by CamScanner

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾
(الكهف) فهذا الكلام لا يقوله مسلم فضلاً عن صوفي رباني ومن الناس من حاول تشويه تاريخ رجال الصوفية لنزع ثقة الناس منهم فدَسَّ في كتبهم حوادث وقصص وكرامات باطلة مثل قولهم من كرامة الولي فلان أن أدخل ذكره في فرج أتان فلما قيل له ما هذا المنكر قال خرق في سفينة أي أن سفينة في البحر كادت تغرق بسبب وجود خرق فيها فقام الولي بسد ذلك الخرق عندما أدخل حشفته في فرج الأتان سبحانك ربي هذا بهتان عظيم أيعقل أن تصير الفاحشة منقبة وكرامة وقد نص المحققون على براءة الصوفية من هذه الأكاذيب وأن هذا مما دَسَّهُ أهل الباطل عليهم وقد سُئِل ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى عن ما ينقل عن رابعة العدوية رضي الله عنها عن الكعبة أنه الصنم المعبود في الأرض فأجاب بما نصه وأما ما ذكر عن رابعة من قولها عن البيت أنه الصنم المعبود في الأرض فهو كذب على رابعة المؤمنةُ التقية ولو قال هذا من قال لكان كافراً يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهو كذب فإن البيت لا يعبده المسلمون ولكنهم يعبدون رب البيت بالطواف به والصلاة إليه وقال ابن العماد الحنبلي في شذور الذهب في ترجمة سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله بعد أن أثنى عليه وذكر مؤلفاته الكثيرة وأثنى عليها ما نصه وحسده طوائف فدسوا عليه كلمات يخالف ظاهرها الشرع وعقائد زائغة ومسائل تخالف الإجماع وأقاموا عليه القيامة وشنعوّا وسبّوا ورموه بكل عظيمة فخذلهم الله وأظهره الله عليهم وكان مواظباً على السنة ومبالغاً في

Scanned by CamScanner

الورع مؤثرا ذوي الفاقة على نفسه حتى بملبوسه متحملاً للأذى موزعاً أوقاته على العبادة ما بين تصنيف وتسليك وإفادة وكان يسمع لزاويته دوي كدوي النحل ليلاً ونهارا وكان يحي ليلة الجمعة بالصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم يزل مقيماً على ذلك معظماً في صدر الصدور إلى أن نقله الله تعالى إلى دار كرامته ا.هـ، وقال الشعراني رحمه الله في كتابه اليواقيت والجواهر وقد دَسَّ الزنادقة تحت وسادة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في مرض موته عقائد زائغة ولولا أنَّ أصحابه يعلمون منه صحة الاعتقاد لافتتنوا بما وجدوه تحت وسادته ا.هـ، وذكر الشيخ مجد الدين الفيروز أبادي صاحب القاموس في اللغة أن بعض الملاحدة صنف كتاباً في تنقيص الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه وأضافه إليه ثم أوصله إلى الشيخ جمال الدين بن الخياط اليمني رحمه الله فشنّع على الشيخ أشد التشنيع فأرسل إليه الشيخ مجد الدين يقول له إني معتقد في الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه غاية الاعتقاد وصنفت في مناقبه كتاباً حافلاً وبالغت في تعظيمه إلى الغاية فأحرق هذا لكتاب الذي عندك أو اغسله فإنه كذب وافتراء عليَّ كما في لطائف المنن الكبرى للشعراني وقال في اليواقيت والجواهر وكذلك دسوا على الإمام الغزالي عدة مسائل في كتاب الإحياء وظفر القاضي عياض بنسخة من تلك النسخ فأمر بإحراقها وفي هذا المقدار كفاية إذ المقصود الإشارة إلى وجود ظاهرة الدَسِّ وتنبه العلماء لها وتحذيرهم منها وحرصهم على كشف ما حصل من دَسٍّ على بعض العلماء أو في بعض المصنفات والله أعلم.

Scanned by CamScanner

المسألة الثانية (مسألة الجهة ودَسِّها في الغنية)

الجهة اسم جمعه جهات ويأتي بمعنى الجانب والناحية والموضع والشيء الذي تقصده وتتوجه إليه، قال ابن منظور في اللسان الجهة والوجهة جميعاً الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده ا.هـ، قال البياضي في إشارات المرام الجهة اسم لمنتهى مأخذ الإشارة ومقصد المتحرك فلا يكونان إلا للجسم والجسماني وكل ذلك مستحيل أي على الله عز وجل ا.هـ وقال عبد الغني النابلسي رحمه الله الجهة عند المتكلمين هي نفس المكان باعتبار إضافة جسم آخر إليه ا.هـ، قال العلامة سلامة القضاعي رحمه الله واعلم أن بين المقدّرات من الجواهر التي هي الأجسام فما دونها وبين المكان والجهة لزوماً بيناً وهو ما لا يحتاج عند العقلاء إلى دليل فإن المكان هو الموضع الذي يكون فيه الجوهر على قدره والجهة هي ذلك المكان لكن بقيد نسبته إلى جزء خاص من شيء آخر ا.هـ والله عز وجل منزه عن الجهة والمكان بإجماع أهل السنة والجماعة قال الإمام الطحاوي رحمه الله (وتعالى - أي الله عز وجل - عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات) ا.هـ ودلائل ذلك مبسوطة في كتب العقائد منها قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (الشورى) وقوله صلى الله عليه وسلم (أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء) رواه مسلم قال الحافظ البيهقي استدل أصحابنا بهذه الرواية على تنزه الله عز وجل عن المكان والإجماع منعقد على ذلك قال العلامة سليم البشري شيخ الأزهر ت ١٣٣٥هـ

Scanned by CamScanner

ما نصه اعلم أيدك الله بتوفيقه وسلك بنا وبك سواء طريقه أن مذهب الفرقة الناجية وما عليه أجمع السنيون أن الله تعالى منزه عن مشابهة الحوادث مخالف لها في جميع سمات الحدوث ومن ذلك تنزهه عن الجهة والمكان كما دلت على ذلك البراهين القاطعة ا.هـ والإمام الجيلاني أحد كبار علماء أهل السنة وعقيدته عقيدة أهل السنة والجماعة وقد نص في فتوح الغيب وغيره من كتبه على تنزه الله عز وجل عن الأين والكيف ومن ذلك قوله في فتوح الغيب الحمد لله الذي كيف الكيف وتنزه عن الكيفية وأين الأين وتعزز عن الأينية ووجد في كل شيء وتقدس عن الظرفية وحضر عند كل شيء وتعالى عن العندية فهو أول كل شيء وليس له آخريه ا.هـ ومن خلال هذا يتضح لك أن القول بالجهة مدسوس على الجيلاني وممن نص على دسه العلامة المحقق ابن حجر الهيتمي رحمه الله ونصه في الفتاوى الحديثية وإياك أن تغتر أيضاً بما وقع في الغنية لإمام العارفين وقطب الإسلام والمسلمين الأستاذ عبد القادر الجيلاني فإنه دَسَّه عليه فيها من سينتقم الله منه وإلا فهو بريء من ذلك وكيف تروج عليه هذه المسألة الواهية أي مسألة الجهة مع تضلعه من الكتاب والسنة وفقه الشافعية والحنابلة حتى كان يفتي على المذهبين هذا مع ما انضم لذلك من أن الله منّ عليه من المعارف والخوارق الظاهرة والباطنة وما أنبأ عنه وما ظهر عليه وتواتر من أحواله ... إلى أن قال فكيف يتصور أو يتوهم أنه قائل بتلك القبائح التي لا يصدر مثلها إلا عن اليهود وأمثالهم ممن استحكم فيهم الجهل بالله وصفاته وما يجب له وما يجوز وما يستحيل سبحانك هذا بهتان عظيم ا.هـ.

Scanned by CamScanner

ونسبوا كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم إلى الفخر الرازي(١) ونسبوا كتاب التحلية إلى حجة الإسلام الغزالي(٢)

---

(١) نص على أن الكتاب المذكور مختلق على الرازي التاج السبكي في الطبقات الكبرى بقوله وقال الذهبي في الميزان له كتاب أسرار النجوم سحر صريح قلت وقد عرَّفناك ان الكتاب مختلق عليه ا.هـ.

(٢) ونسبوا إليه كتاب سر العالمين وكشف ما في الدارين وليس له قطعاً قال الشاه عبد العزيز الدهلوي أن الكتاب منحول وليس للغزالي وأشار الذهبي في سير أعلام النبلاء إلى أنه منحول على الغزالي ونسبوا له كتاب مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب وليس للغزالي فقد نقل فيه عن القرطبي وهو متوفى ٦٧١هـ والغزالي توفي ٥٠٥هـ فكيف ينقل عنه ونقل فيه عن زهر الرياض وهو للقسطلاني المتوفى ٩٢٣هـ فكيف ينقل عنه الغزالي وقد توفي ٥٠٥هـ ونسبوا إليه المضنون الصغير ويسمى أيضاً النفخ والتسوية ويسميه البعض المضنون به على أهله ويسمى أيضاً الأجوبة الغزالية عن المسائل الأخروية ولا تصح نسبته للغزالي بل صرح ابن عربي أنه لأبي الحسن علي المسفر السبتي ونسبوا إليه كتاب المضنون به على غير أهله وقد نص الحافظ ابن الصلاح أنه موضوع على الغزالي ونقله النووي عن ابن الصلاح وأقره وأورد التاج السبكي كلام ابن الصلاح وأقره بقوله والأمر كما قال.

Scanned by CamScanner

أقول ومن الكتب المنسوبة للإمام الغزالي رحمه الله كتاب معارج القدس في مدارج النفس فإن الطامات العظيمة المذكورة في المضنون مذكورة في المعارج كالقول بقدم العالم وأزلية الزمان وقد صرح الغزالي نفسه في كتبه الصحيحة النسبة إليه أنَّ ذلك كفر، وذكرت هذا كنموذج وإلاَّ فالطامات في الكتابين المنسوبين المذكورين أعلاه طامات كثيرة وقد صنف العلامة أبو بكر محمد بن عبدالله المالقي (ت ٧٥٠هـ) كتاباً في رد وإبطال ما جاء في المضنون من الطامات والكفريات ونسبوا إلى الإمام الغزالي أيضاً رسالة الطير وهي رسالة صغيرة كتبت على لسان الطير والعنقاء وهي رسالة ركيكة المعنى والمبنى لا يظهر فيها أسلوب الغزالي ولا لغته والله أعلم.

قال الإمام الزبيدي رحمه الله اعلم أنه قد عُزي إلى الشيخ أبي حامد الغزالي كتب وقد صرح أهل التحقيق أنها ليست له ا.هـ والله أعلم.

Scanned by CamScanner

ونسبوا كتاب الرحمة في الطب إلى الجلال السيوطي(١)ونسبوا كتاب الجفر والجامعة إلى سيدنا جعفر الصادق(٢) ونسبوا نهج البلاغة إلى سيدنا علي كرم الله وجهه في الجنة قال الذهبي ومن طالع كتاب نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه

---

(١) هو للشيخ مهدي بن علي بن إبراهيم الصُّبنري اليمني المهجمي ت ٨١٥هـ قال ابن الجزري في غاية النهاية في ترجمة الصبنري طبيب حاذق وهو مؤلف كتاب الرحمة في الطب والحكمة ومن هنا يتبين لك أن نسبة الكتاب للسيوطي لا تصح وقد صرح بذلك جمع من العلماء رحمهم الله تعالى.

(٢) الجفر والجامعة كتابان الأول شامل لأخبار الماضي والمستقبل إلى يوم القيامة والثاني مشتمل على جميع أحاديث الحلال والحرام التي يحتاجها الناس وتفسير الآيات القرآنية وأسماء الأنبياء والأوصياء ويعرف بكتاب علي وبالوصية وهما كتابان مكذوبان لا تصح نسبتهما لجعفر الصادق رضي الله عنه ولا تصح نسبتهما للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام مناقب جعفر رضي الله عنه كثيرة وكان يصلح للخلافة لسؤدده وفضله وعلمه وشرفه رضي الله عنه وقد كذبت عليه الرافضة ونسبت إليه أشياء لم يسمع بها كمثل كتاب الجفر وكتاب اختلاج الأعضاء ونسخ موضوعة ا.هـ.

Scanned by CamScanner

فإن فيه السب الصريح والحط على السيدين أبي بكر وعمر حاشاه ثم حاشاه من ذلك(١).

قلت وقد نسبوا كثيراً من الأشعار المستحسنة إلى سيدنا علي بن أبي طالب والشافعي رضي الله عنهما بل نسبوا إلى كل واحد منهما ديوانا من الشعر في مجلد وكم من مقالات دسوها على الإمام الأعظم أبي حنيفة والشعراني وابن عربي الصوفي وأمثالهم رحمهم الله والاستدلال على جواز لبس الذهب والحرير بقوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ

---

(١) قال الحافظ الذهبي في الميزان ومن طالع كتاب نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ففيه السب الصراح والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنَفَس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل ا.هـ وقال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء المرتضى علي ابن حسين بن موسى القرشي العلامة الشريف المرتضى نقيب العلوية أبو طالب علي بن حسين بن موسى القرشي العلوي الحسيني الموسوي البغدادي من ولد موسى الكاظم ولد سنة خمس وخمسين وثلاث مائة وحدث عن سهل بن أحمد الديباجي وأبي عبد الله المرزباني وغيرهما قال الخطيب كتبت عنه قلت هو جامع كتاب نهج البلاغة المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي رضي الله عنه ولا أسانيد لذلك وبعضها باطل وفيه حق ولكن فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها ولكن أين المنصف؟ وقيل بل جمع أخيه الشريف الرضي ا.هـ.

Scanned by CamScanner

أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾(الأعراف:٣٢) غلط وجهل وإنما هذه الآيةُ ودليلُ التحريم الثابت بالسنة الصحيحة النبوية وإجماع العلماء من باب العام والخاص المعروف في الأصول ولا تعارض بينهما، فهل كان الجيلاني و العيدروس يجهلان هذا وهما من سادات هذه الأمة وقد أجمع الصوفية على أنه لا ينبغي لأحد أن يدخل في طريق القوم إلا بعد أن يتضلع من علوم الشريعة، وقال الجنيد علمنا مقيد بالكتاب والسنة وهل يمكن أو يتصور أن الله تعالى يحل شيئاً ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى يحرمه كلا والله نعوذ بالله من هذا الاعتقاد السيء والجهل المضر بالدين.

وقول السائل وهل كان الجيلاني والعيدروس عالمين كبيرين؟ جوابه نعم إلاّ أن الشيخ عبد القادر الجيلاني كان متضلعاً في جميع العلوم منطوقها والمفهوم.

وقول السائل وما كان مذهبهما؟

جوابه أنهما شافعيان إلا أن الشيخ عبد القادر الجيلاني في آخر أمره انتقل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل وصار حنبلياً وصنف كتباً على مذهب أحمد فقيل له في ذلك فقال رأيت مذهب أحمد في قلة فانتقلت إليه لأنصره وأحييه وكان الشيخ في وقته مسموع الكلمة وتميل الناس إلى أقواله وتقتدي بأفعاله. وقول السائل وهل للأولياء مقام إذا بلغوه استوى عندهم الذهب والمدر وأسقطت عنهم التكاليف الشرعية وجاز لهم لبس الذهب والحرير؟

Scanned by CamScanner

جوابه هذا كلام فاسد منابذ للكتاب والسنة لا يجوز الالتفات إليه والأولياء منزهون عن مثل ذلك الكلام ولم تسقط التكاليف الشرعية عن سيد المرسلين وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وسلم فكيف بسقوطها عن غيره فهذا فوق الجنون بطبقات قال الإمام حجة الإسلام الغزالي لو زعم زاعم أن بينه وبين الله حالة أسقطت عنه الصلاة وأحلت له شرب الخمر كما زعمه بعض المتصوفة فلا شك في وجوب قتله وقد قيل قتله أفضل من قتل مائة كافر انتهى كلام الغزالي(١).

وقول السائل وهل يأثم ويعزر من يشيع ويقول إن الجيلاني والعيدروس كانا يلبسان الذهب والحرير؟

جوابه نعم يأثم لافترائه الكذب على أولياء الله تعالى فإن انزجر وإلا عُزِّر لأن نسبة العلماء والأولياء إلى فعل المعاصي معصية بل هي كبيرة ففيها التعزير البليغ من الحبس والتهديد والضرب الشديد كما نص على ذلك العلماء رضي الله عنهم.

---

(١) قال ابن القيم في مدارج السالكين وقد صرح أهل الاستقامة وأئمة الطريق بكفر هؤلاء فأخرجوهم من الإسلام وقالوا لو وصل العبد من القرب إلى أعلى مقام لما سقط عنه من التكليف مثقال ذرة أي مادام قادراً عليه ا.هـ.

Scanned by CamScanner

رويدك من كسب الذنوب فأنت لا تطيق على نار الجحيم ولا تقوى

أترضى بأن تلقى المهيمن في غد وأنت بلا علم لديك ولا تقوى(١)

وقول السائل وهل ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لبسوا الحرير أم لا؟

جوابه نعم لبس النبي صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه الحرير أول الأمر ثم نسخ الجواز ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لبس ذلك قال العلامة الشوكاني(٢) والناسخ للجواز حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال لبس النبي صلى الله عليه وسلم قباء له من ديباج أهدي إليه ثم أوشك أن نزعه وأرسل به إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقيْل قد أوشكت ما نزعته يا رسول الله قال نهاني عنه جبريل عليه السلام فجاءه عمر يبكي فقال يا رسول الله كرهت أمراً و أعطيتنيه فمالي فقال صلى الله عليه وسلم ما أعطيتكه لتلبسه إنما أعطيتك تبيعه فباعه بألفي درهم رواه أحمد) ا.هـ ونحوه لمسلم قلت والمحرَّمُ لبس حرير دود القز ولو رديئاً وأما الخارج من غيره أو ما يشبه الحرير في رأي العين فلا يحرم قاله الحمامي(٣).

---

(١) هذان البيتان لأمير شعراء اليمن حسن بن علي جابر الهبل اليمني الصنعاني ولادة ووفاة ولد ١٠٤٨هـ وتوفي ١٠٧٩هـ.

(٢) في نيل الأوطار ج١ ص ٥٥٦.

(٣) في النهضة الإصلاحية.

Scanned by CamScanner

وقول السائل وماهي أدلة التحريم؟

جوابه أن أدلة التحريم كثيرة منها الحديث المتقدم ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا تلبسوا الحرير فإن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وزاد وقال ابن الزبير (من لبسه في الدنيا لم يدخل الجنة قال تعالى ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ (الحج) وقال صلى الله عليه وسلم (إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة) رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريرا ولا ذهبا وقال صلى الله عليه وسلم (من لبس الحرير في الدنيا ألبسه الله يوم القيامة ثوباً من نار) رواهما أحمد.

وقال صلى الله عليه وسلم أحل الذهب والحرير للإناث من أمتي وحرم على ذكورها رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وصححه وعن علي رضي الله عنه قال (رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ حريرا فجعله في يمينه وأخذ ذهباً فجعله في شماله ثم قال إن هذين حرام على ذكور أمتي رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وزاد حل لإناثهم وأخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ خاتمك انتفع به فقال لا والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهذه أدلة التحريم وهي من كلام من لا ينطق عن الهوى صلى

Scanned by CamScanner

الله عليه وسلم وقد قال العلامة الشوكاني(١) وإذا لم تفد هذه الأدلة التحريم فما في الدنيا محرم ا.هـ قال تعالى ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾(النساء:٨٠) وقال عز من قائل ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر:٧) وقال جل وعلا ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (آل عمران) فأصناف الطاعات وأنواع المحرمات لا تعرف إلا من جهة الشارع صلى الله عليه وسلم ولا تُتَلَقَّى إلاَّ من الكتاب والسنة وقد أجمع المسلمون على تحريم الذهب والحرير على الرجال دون النساء لما سبق من الأدلة الصحيحة الصريحة والإجماع حجة قاطعة قال تعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ (النساء) وترى كثيراً من الناس في هذه الأيام يلبسون الساعات والسلوس والأزرار والخواتم الذهب ولا يخافون عقاب الرب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذنب وهو يضحك دخل النار وهو يبكي(٢)

---

(١) في نيل الأوطار ج١ ص٥٥٧.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق عمر بن أيوب حدثنا أبو إبراهيم الترجمان حدثنا محمد بن زياد اليشكري عن ميمون بن مهران عن ابن عباس وهو حديث موضوع وآفته محمد بن زياد اليشكري قال أحمد كذاب أعور يضع الحديث وقال ابن معين والدار قطني كذاب وكذبه أبو زرعة ثم رأيت الحافظ أبو نعيم في الحلية ذكره مرة أخرىٰ عن بكر بن عبد الله المزني من قوله وهو الأشبه والله أعلم.

Scanned by CamScanner

تنبيه:

إذا سقط سن إنسان وأراد أن يتخذ مكانه سناً من ذهب قال أبو حنيفة رحمه الله لا يجوز وجوزه محمد بن الحسن رحمه الله وأما تلبيس الأسنان المحكمة بالفضة والذهب لأجل الزينة والافتخار فلا يجوز بحال ولا يفعل ذلك إلاَّ من طبع الله على قلبه، قطعت أنملتة يجوز أن يتخذها من ذهب أو فضة بخلاف مالو قطعت يده أو أصبعه قاله في الفتاوى الهندية نقلا عن التمرتاشي(١)وأما لبس الذهب والحرير للأولاد الصغار فالإثْمُ على من ألبسهم ذلك عند الحنفية(٢) لإطلاق النصوص وقياساً على من سقى أولاده الخمر وقال النووي رحمه الله وفي لبس الحرير والذهب للصغار الذكور ثلاثة أوجه الأصح جوازه والله أعلم وأما الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة فيحرم على الرجال والنساء لقول النبي صلى الله عليه وسلم (إن الذي يشرب في آنية الفضة إنما يُجَرْجِرُ في بطنه نار جهنم) رواه الشيخان(٣) قال الحافظ ابن حجر(٤) ويلحق بهما ما في معناهما مثل التطيب والتكحل وسائر وجوه الاستعمالات قلت وأما اتخاذ الآنية من الذهب والفضة بدون استعمالها فيجوز عند الحنفية خلافاً للشافعية والله سبحانه أعلم.

---

(١) الفتاوي الهندية ج ٥ص٣٣٦.

(٢) كما في رد المحتار لابن عابدين ج٥ص٢٣١.

(٣) ولمسلم إن الذي يأكل أو يشرب في إناء الذهب والفضة.

(٤) فتح الباري ج١٠ص١١٠.

Scanned by CamScanner

وقول السائل وهل صح أن للشيخ عبد القادر الجيلاني قصائد شطحية وخمرية مهيجة للعشق وهل كان يقول وكنت مع إبراهيم وما انطفت النار إلا بتفلتي ونحو هذا الكلام؟

جوابه أن الأشعار التي فيها وصف الخمر والكاسات والأشعار المهيجة للعشق ووصف الغلمان مما لا ينبغي للمتدين فعله كما نص على ذلك الفقهاء فلا تظن بالعلماء الأكابر والأولياء الأماثل مثل علامة عصره الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله أن يشتغلوا بهذه البطالة وقد كنت سألت سيدي وشيخي مفتي الثقلين علامة اليمن ومفخرة الزمن السيد محمد بن عبد الرحمن بن حسن عبد الباري الأهدل رحمه الله(١) عما نسب إلى الجيلاني من هذه القصائد وقوله وكنت مع إبراهيم وما انطفت النار إلا بتفلتي وكنت مع نوح في السفينة وكنت مع أيوب كما حكاه السائل فأجاب علي بقوله هذا مما دسه أعداء الشيخ عليه ولم يَدَّعِ ذلك أحد من سادات السلف وحاشا الشيخ وأمثاله من هذه الدعاوي الباطلة وقد قال تعالى ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ (النجم) وقد تكلف بعض العلماء الجواب عن ذلك بأن المراد روح ذلك الولي في عالم الذر أو يكون صدر منه في حال الشطح والشطح: هو خروج الولي عن حد التكليف وعدم انتظام أقواله وأفعاله على حد الشرع الشريف ولا تعتبر أقواله ولا أفعاله حالة الشطح ولا يجري عليه حكم الشرع فيها لأنه حينئذ كالصبي والمجنون ولا نظن بقطب العراق علامة عصره الشيخ عبد القادر الجيلاني أنه كان ممن يشطح فقد قال

---

(١) توفي ١٣٥٢هـ بالمراوعة.

Scanned by CamScanner

المحققون من العارفين والشطح رعونة ينزه عنه الكُمَّل من الأولياء والحق ظاهر والشريعة ميزان والجهل عدوان والتكلم في دين الله مع عدم الأهلية مما لا ينبغي قال الإمام الشافعي رحمه الله في الرسالة تكلم في العلوم أقوام لو سكتوا عنها لكان خيراً لهم نسأل الله السلامة والعافية(١).

---

(١) ملخص هذه المسألة أن ثمة قصائد اشتهر عند العامة نسبتها لسيدي عبد القادر الجيلاني رحمه الله منها هذه القصائد التي اقتصر على إيراد مطلعها:

ولما صفا قلبي وطابت سريرتي ونادمني صحوي بفتح البصيرة
ما في الصبابة منهل مستعذب إلاَّ ولي فيه الألذ الأطيب
نظرت بعين الفكر في حال حضرتي حبيب تجلى للقلوب فحنت
سقاني حبيبي من شراب ذوي المجد فأسكرني حقاً فغبت عن وجدي
رفع الحجب عن بدور الجمال مرحباً مرحباً بأهل الجمال
ومنها سقاني الحب كاسات الوصال فقلت لخمرتي نحوي تعالي
طف بجانبي سبعاً ولذ بذمامي وتجرد لزورتي كل عام
رفعت على أعلى الورى أعلامنا لما بلغنا في الغرام مرامنا
على الأوليا ألقيت سري وبرهاني فهامو به من سر سري وإعلامي

هذه القصائد فيها ركاكة مبنى وفيها غموض معنى لذلك قال أهل التحقيق إنها مدسوسة على الإمام الجيلاني وطالبوا من يثبتها بإبراز

Scanned by CamScanner

أسانيدها إليه واكتفى البعض بشهرة نسبتها إلى الجيلاني عند العامة وتكلف الجواب عن بعض غرائب معانيها ومن تلك الأجوبة ادعاء صدورها من سيدي عبد القادر الجيلاني في حال الشطح ولم يرتضِ المؤلف هذا الجواب لأن الشطح عند المحققين من الصوفية هو عبارة عن كلمة أو كلمات تصدر من بعض الصوفية عند غلبة الحال وهي معدودة في زلات المحققين وهي ناتجة عن رعونة في النفس وتظهر عليها رائحة الدعوى وهذه الشطحات نادرة الوجود من المحققين وحكم هذه الشطحات إن صدرت من غير المعتبرين الرد وعدم القبول وحكمها إن صدرت من الأعلام العارفين المعتبرين عدم القبول وعدم الرد أما عدم القبول فلأنه لا معصوم غير الأنبياء ومن الجائز أن يقع قائل مثل هذا الكلام الشطحي في الباطل ولذلك نحتاط فلا نقبل كلامه ووجه عدم رد هذا الكلام أنه يصدر من أهل المعرفة فمن الجائز أن يكون له معنى في نظره لا يعرفه الآخرون فرده عندئذ يكون رداً للحق وصاحب هذا الكلام غير مؤاخذ لصدور هذا الكلام منه حال الغلبة وهذا معنى قولهم نسلم لأهل الحال حالهم ولا نأخذ به.

Scanned by CamScanner

وقول السائل وهل يجوز حذف حرف الهاء في لفظ الجلالة كما يفعل بعض أهل الطريقة حالة ذكرهم؟

جوابه لا يجوز(١)

---

(١) الذكر له شروط وآداب والإخلال بها إخلال بالذكر فمن شروط الذكر ألا يُسْقِطَ حرفاً من حروف لفظ الجلالة ومن آدابه السكينة والخشوع والوقار والطهارة وعدم العبث والصراخ والتصفيق.
قال العلامة الأخضري:

ومن شروط الذكر ألا يسقطا ... بعض حروف الاسم أو يُفَرِّطَا
في البعض من مناسك الشريعة ... عمدا فتلك بدعة شنيعة
والرقص والصراخ والتصفيق ... عمداً بذكر الله لا يليق
وإنما المطلوب في الأذكار ... الذكر بالخشوع والوقار
وغير ذا حركة نفسية ... إلا مع الغلبة القوية
فواجب تنزيه ذكر الله ... على اللبيب الذاكر الأوّاه
من كل ما تفعله أهل البدع ... ويقتدي بفعل أرباب الورع

Scanned by CamScanner

قال بعض الفضلاء (١):

أخلوا من اسم الله حرف الهاء فلحدوا في أعظم الأسماء
لقد أتوا والله شيئا إِدَّا تخر منه الشامخات هدا
قد غيروا اسم الله جل وعلا وزعموا نيل المراتب العلى
فالقوم إذ زاغوا أزاغ الله قلوبهم فانسلخوا وتاهوا
وجاء في الحديث عن خير الورى لن يخرج الدجال يعني الأكبرا
حتى تقوم قبله دجاجلة كل يلوذ بطريق باطله
من لم يلذ بالمنهج المحمدي باء بسخط الله طول الأمد

وسئل شيخ الإسلام أبو السعود الرومي(٢) صاحب التفسير عن متصوفة عصره الذين اتخذوا قول لا إله إلا الله موضوعاً لتحريف النغمات ورعاية لصناعة الأصوات فطوراً يزيدون وطوراً ينقصون على حسب ما يلائم الصناعات الباطلات والآراء الفاسدات لا يرجون لله في ذلك وقارا بل اتخذوا ذلك لبدعتهم شعاراً فأجاب بقوله ما ذكر أمر مخترع مكروه ومكر مبتدع بئسما مَكَروه فتردوا في مهاوي الردى ومصارعه والتحقوا بالذين يحرفون الكَلِمَ عن مواضعه فيجعلون تلاوة المثاني كترنمات الأغاني فو الذي أنزلها بالحق المبين وجعلها كلمة باقية

---

(١) هذه الأبيات للعلامة عبد الرحمن الأخضري المالكي رحمه الله.
(٢) توفي ٩٨٢هـ.

Scanned by CamScanner

إلى يوم الدين لئن لم ينتهوا عما هم فيه من المكر الكريه ولم يرجعوا كلمة التوحيد إلى نهجها السديد ليمسنَّهم عذاب شديد وإنما الذي ندب إليه وحرض المؤمنين عليه تزيين الأصوات بالقرآن الجليل من غير تغيير فيه ولا تبديل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ا.هـ وقال الشيخ محمد العمروسي رحمه الله تعالى:

تمسك بحبل الشرع واضرب بسيفه رؤوس المعاصي واتخذ منه جوشنا
وبادر إلى إنكار ما كان خارجا عن الحق واحذر أن تكون مداهنا
ولا تجعل الذكر النفيس وسيلة إلى عرض الدنيا المُعَرَّضِ للفنا
ولا تجعل المقصود منه تكسبا فتنحط قدرا من علاك وتفتنا
ولا تتخذه للرياسة سُلَّما فتغضب مربوبا وربا مهيمنا
وتأتي ما تأتي رياء وسمعة وتتخذ الشرك الخفي تدينا
وليست بإرخاء الشعور ولاية إذا كان منك القلب أسود عاطنا
وليست بإظهار التباله خدعة إذا كان فيك الغش والمكر كامنا
وغير مفيد لبس تاج وخرقة إذا كان إبليس بجسمك ساكنا
فوحد هوى ليلى لتحظى بوصلها وترقى بلقياها وتظفر بالمنى
وما دمت مأسوراً لنفسك والهوى فما زلت في سجن القطيعة قاطنا
فطلق هداك الله نفساً خؤونة طلاقاً صريحاً بالثلاثة بائنا

Scanned by CamScanner

فما هي إلا ذات سم مخبإٍ وأعدى عدو في الحشا متوطنا
وإلا فدع دعوى الصلاح ولا تكن بغير فلاح للولاية معلنا
وخل مقامات الرجال لأهلها وعش خالياً فالحب راحته عنا
فيا فقراء الوقت مالي أراكم أتيتم أموراً لا تحل بشرعنا
فكم بدع أحدثتموها بجهلكم وصرتم عليها عاكفين ليومنا
جعلتم طريق القوم رقصا وصيحة ومنكر أصوات يهيجها الغنا
وملأ بطون من غِذا لم يفد سوى تجشئكم يا قوم حول بيوتنا
وتحصيل أرزاق وضرب عوائد على الناس تأباها قواعد ديننا
وحرفتموا التهليل عن وضعه الذي أتانا به التنزيل من عند ربنا
وطرقتموا فيه طرائق لم يكن عليها رسول الله والقوم قبلنا
أكان رسول الله يصحب منشدا ينادي بأعلا الصوت ليلا مدندنا
فما زدتموا المردان إلا تمردا وما زدتموا الشبان إلا تشيطنا
وما زدتموا الجهال إلا جهالة وبعداً عن الأخرى وقرباً إلى الدُنا
فكن عالما بالشرع واعمل به فمن أراد طريقاً دون علمٍ فقد جنى
ولا ينبغي للجاهلين تصدر ولا نشر أعلام الشريعة بيننا
ألم يعلموا أن الطريق كناية عن العمل الجاري على وفق شرعنا

Scanned by CamScanner

وذبح النفوس الضاريات بمدية من الخلف حتى لا تميل إلى الخنا
وزهد عن الدنيا وعن شهواتها وعمَّن يراها أكبر الهم مقتنى
وجوع وصمت واعتزال وفكرة بها حضرة الرحمن تدخل آمنا
وذكر بنار الشوق يحرق خاطرا ويغرق في بحر المدامع أعينا
يكون بجد واجتهاد وهمة مشمرة لا بالتكاسل والونا
وعلم وحلم واقتداء بعارف دسائس للشيطان والنفس والدنا
فمن لم يصاحب شيخ صدق ملقن يكون له الشيطان شيخا ملقنا
فأخلص هداك الله تخلص فهذه طريقتنا الغراء دانية الجنى

وقال الإمام المقدسي رحمه الله تعالى آمين

ذهب الرجال وحال دون مجالهم زمر من الأوباش والأنذال
زعموا بأنهم على آثارهم ساروا ولكن سيرة البطال
لبسوا الدلوق مرقعاً وتقشفوا كتقشف الأبطال والأبدال
قطعوا طريق السالكين وأظلموا سبل الهدى بجهالة وضلال
عمروا ظواهرهم بأثواب التقى وحشوا بواطنهم من الأدغال
إن قلت قال الله قال رسوله همزوك همز المنكر المتغالي
ويقول قلبي قال لي عن خاطري عن سر سري عن صفا أحوالي

Scanned by CamScanner

عن حضرتي عن فكرتي عن خلوتي عن جلوتي عن شاهدي عن حالي
عن صفو وقتي عن حقيقة حكمتي عن ذات ذاتي عن صفات فعالي
دعواه إن حققتها ألفيتها ألقاب زور لفقت بمحال
تركوا الشرايع والحقايق واقتدوا بطرائق الجهال والضلال
جعلوا المِرا فتحاً وألفاظ الخطا شطحاً وصالوا صولة الأذلال
وترصدوا أكل الحرام تخادعاً كتخادع المتلصص المحتال
فاحذرهمُ واحفظ مودة سادة قاموا بذكر الله في الآصال
القانتين المخبتين لربهم الناطقين بأصدق الأقوال
التاركين حظوظهم ونفوسهم المؤثرين بخالص الأموال
ما شانهم في شأنهم كذب ولا عمل لقصد ريا ولا لجدال
عملوا بما علموا وجادوا بالذي وجدوا وما بخلوا بفضل نوال
وإذا بدا ليل سمعت أنينهم وحنينهم بتضرع وسؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعهم مثل انهمال الوابل الهطال
متفاوتين بقربهم وبحبهم كتفاوت العمال في الأعمال
في الليل رهبان لخدمة ربهم وتخالهم في الجود كالأبطال
تاهوا على كل الملوك وإنهم لهم الملوك بعزة الإقبال

Scanned by CamScanner

ولرب أشعث حقرته دلوقه ولدى المليك هو العزيز الغالي
خمص البطون لما بهم من فاقة شعث الرؤوس لروعة الأهوال
لم تخل أرض منهم قد حكموا ذات اليمين بها وذات شمالِ
سوى لهم بين الثريا والثرى والفرش والعرش الرفيع العال
لا ينظرون إلى سوى محبوبهم شغلاً به عن سائر الأشغال
فهموا إليك وسيلتي يا سيدي إلا وصلت حبالهم بحبالي

وقال بعض الأفاضل(١)

والرقص والصراخ والتصفيق أبداً بذكر الله لا يليق
وإنما المطلوب في الأذكار الذكر بالخشوع والوقار
فواجب تنزيه ذكر الله على اللبيب الذاكر الأواه
عن كل ما يفعله أهل البدع ويقتدي بفعل أرباب الورع

---

(١) الأبيات للعلامة عبد الرحمن الأخضر المالكي.

Scanned by CamScanner

وقال ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى:

النقر بالطار والتشبيب بالقصب شيئان قد جعلا للهو واللعب
ويطربان فلا تصغ لحسهما فالشرع قد أنكر الإصغا إلى الطرب
يا أهل التصوف يا من في الورى خلقوا هل أنزل الرقص في القرآن والكتب
وهل سمعتم بأن الله قال لنا أن اعبدوني بنقر الطار والقصب
أو أرسل الله صِدِّيقا بطرطقة إلى العباد فمن يعمل بذا يخب
ما صفق القوم يوما لا ولا رقصوا ولا لهم في الغنا والرقص من أرب
بل كانت القوم في خوف وفي وجل ما بين باك وأواه ومنتحب
وفي الدياجي سجود لا هجوع لهم ويرسلوا دمعهم خوفاً من الغضب
فهذه شيمة القوم الذين وفوا والرقص من شيمة الأوغاد والذنب
إن ينقر الطار اضحوا يرقصون له شبه البغال على سبق لمرتكب
هم أحدثوا عندنا في ديننا لعبا وخالفوا نهج دين الهاشمي العربي

Scanned by CamScanner

وقال ابن الحاج رحمه الله تعالى:

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاءك إن غنّى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب ولا اختباط كأن قد صرت مجنونا
بل التصوف أن تصفوا بلا كدر وتتبع الحق والقرآن والدينا
وأن ترى خاشعاً لله مكتئبا على ذنوبك طول الدهر محزونا

وروي عن أنس رضي الله عنه قال وعظ النبي صلى اله عليه وسلم يوما فصعق صاعق من جانب المسجد فقال النبي صلى الله عليه وسلم (من ذا الملبس علينا ديننا إن كان صادقاً فقد شهر نفسه وإن كان كاذباً محقه الله) رواه أبو بكر بن كامل في معجمه وابن النجار(١).

وقال بعض الأفاضل(٢):

الرقص نقص والسماع رقاعة وكذا التواجد خفة في الراس
والله ما رقصوا لطاعة ربهم بل للذي طحنوه بالأضراسِ

---

(١) كما في كنز العمال للمتقي الهندي وذكره في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الموضوعة ونسبه لابن لال وهو حديث باطل كما قال الحافظ الذهبي في الميزان.

(٢) وُجِدَ في رقعة بخط العلامة أحمد بن محمد الغزنوي الحنفي الحلبي كما ذكره علماء التراجم في ترجمة الغزنوي رحمه الله.

Scanned by CamScanner

وقال الآخر(١):

ألا قل لهم قول عبد نصوح حق النصيحة أن تستمع
متى علم الناس في ديننا بأن الغِنا سنة تُتَّبع
وأن يأكل المرء أكل الحمار ويرقص في الجمع حتى يقع
وقالوا سكرنا بحب الإله وما أسكر القوم إلا القصع
كذاك البهائم إن أشبعت يرقصها ريها والشبع

وقال الآخر:

لبست الصوف مرقوعاً وقلتا أنا الصوفي ليس كما زعمتا
فما الصوفي إلا من تصفى من الآثام ويحك لو عقلتا

وقال الآخر:

لا تحسبن لباس الصوف في ملأٍ تدعى به بين أهل الفضل بالصوفي
وإنما من صفى قلباً ومال إلى صقالة النفس من أوساخها صوفي

---

(١) هذه الأبيات لأبي إسحاق إبراهيم بن نصر الموصلي ذكرها ابن خلكان في ترجمته وابن كثير في البداية والنهاية.

Scanned by CamScanner

وقال العلامة الكبير السيد محمد بن عبد القادر الأهدل رحمه الله تعالى آمين(١):

إن التصوف في تعريفه اختلفوا والكل منهم حكى في رسمه قولا
ومن أحاسن ما أبدوه قولهم إن التصوف صرف الوقت في الأولى

وقال الحافظ الزين العراقي رحمه اللطيف الباقي ...

لا تحسب الفخر في لبس وتدريع ووصف حسن وزي غير مشروع
فرب أشعث ذي طمرين مرقوعِ إن قال قولا تراه غير مسموع
لكنه عند رب الناس ذو قسم براً إذا رام أمراً غير ممنوع

وفي كلامه إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم (كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يعبؤ به لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك) رواه الترمذي وأول من سمي بالصوفي أبو هاشم الصوفي المتوفى سنة١٥٠هـ كما في كشف الظنون قال المحققون من العلماء التصوف هو العمل بالكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع، وقال الإمام مالك (من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق)

---

(١) توفي العلامة السيد محمد عبد القادر عبد الباري الأهدل سنة ١٣٢٦هـ بالحديدة رحمه الله رحمة الأبرار.

Scanned by CamScanner

وقال بعض الأفاضل الصوفي من صفا سره عن الكدر وأمتلأ قلبه من العبر وانقطع إلى الله عن البشر واستوى عنده الذهب والمدر وقال بعضهم الصوفي من لبس الصوف على الصفا وسلك طريق المصطفى وأطعم الهوى ذوق الجفا وكانت الدنيا منه على القفا(١).

---

(١) اشتمل هذا الجواب على مسائل ملخصها:
أ- حرمة الذكر الملحون فالإجماع منعقد على حرمة الإلحاد والتحريف في أسمائه تعالى لقوله عز وجل ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ (الأعراف) ومن الإلحاد في أسمائه عز وجل أن يسقط حرفاً من حروف لفظ الجلالة فيبقى يذكر بنحو أله - أله أو يحذف الهاء فيبقى الل ـ الل أو بحذف المد الطبيعي فقد نص العلماء رحمهم الله تعالى أن لفظ الجلالة الله إذا قصر لا يكون ذكراً ولا يميناً وتفسد به الصلاة في التحريمة كما نص عليه الفخر الرازي في تفسيره وأبو السعود الحنفي في تفسيره ونقل الفيومي في المصباح المنير عن أبي حاتم أن حذف ألف المد من لفظ الله لا أصل له ولا يعرفه العرب وما جاء في هذا المعنى موضوع عليهم وعندئذ لا يكون هذا اللفظ من الأسماء الحسنى التي أمرنا الله بدعائه بها بعد تحريفه وتزييفه ولا عبرة بمن يقول في هذا (الأعمال بالنيات) لأن محل ذلك إذا وافقت الأعمال ما جاء به الشرع أو أن يكون الذاكر مذهولاً عن نفسه فيكون عذره معه إذ قد رفع عنه القلم ومن الإلحاد تحريف اسمه تعالى حي فيقولون فيه حاي وحوى وحا وكلها حرام وكذلك يحرم المد أو القصر في غير محله في قول لا إله إلا الله فمحل المد لا والله ومحل القصر ما بقي

Scanned by CamScanner

منها ومن الممنوع أيضاً تغليظ الصوت في الذكر فيما يسمونه الدوكة وهو يتنافى مع جلالة الله عز وجل وقد سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوماً يرفعون أصواتهم إلى حد الإجهاد فقال لهم أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً والحديث في البخاري وغض الصوت عند الرسول من التقوى فعند ذكر الله عز وجل من باب أولى فرفع الصوت بمثل هذه الدوكة ممنوع لأنه من الاعتداء المراد بقوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ (الأعراف) وقد حدد القرآن الكريم أدب الذكر اللساني فقال ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ (الأعراف: ٢٠٥) أي ما بين الصراخ والهمس أي التوسط والاعتدال الصوتي في الذكر.

ب- **مسألة السماع**: والسماع نوعان نوع لا شك في حرمته ولا خلاف في منعه وهو الذي ذكره المفتي رحمه الله وهو المشتمل على المنكرات من اختلاط الرجال بالنساء أو النظر إلى المرد والتلذذ بالحِسان المصحوب بآلة اللهو والصراخ والتصفيق والرقص القادح في المروءات وما شابه ذلك من المنكرات قال الإمام الطحطاوي رحمه الله في حاشيته على مراقي الفلاح وأما الرقص والتصفيق والصريخ وضرب الأوتار والصنج والبوق الذي يفعله من يدعي التصوف فإنه حرام بالإجماع لأنها زي الكفار ا.هـ وقال في اليتيمة من كتب الحنفية سئل الحلواني عمّن سّموا أنفسهم الصوفية واختصوا بنوع لبسة واشتغلوا باللهو والرقص وادعوا لأنفسهم المنزلة فقال افتروا على الله كذباً أم بهم جنة؟ وقال الخطيب الشربيني في مغني المحتاج قال الإمام السبكي رحمه الله

Scanned by CamScanner

وهو من كبار الأئمة الشافعية - السماع على الصورة المعهودة منكر وضلالة وهو من أفعال الجهلة والشياطين ومن زعم أن ذلك قربة فقد كذب وافترى على الله ومن قال أنه يزيد الذوق فهو جاهل أو شيطان ومن نسب السماع - أي على الصفة المذكورة - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدب أدباً شديداً ويدخل في زمرة الكاذبين عليه صلى الله عليه وآله وسلم ومن كذب عليه متعمداً فليتبوأ مقعده من النار وليس هذا طريقة أولياء الله تعالى وحزبه وأتباع رسول الله بل طريقة أهل اللهو واللعب والباطل وينكر على هذا باللسان واليد والقلب ا.هـ وذكره أيضاً الدميري رحمه الله في النجم الوهاج شرح المنهاج وأفتى بحرمة هذا النوع من السماع الإمام العطار وشيخه الإمام النووي والحافظ ابن الصلاح وغيرهم من العلماء الأعلام وقال أبو العباس القرطبي المحدث المالكي في المفهم شرح مختصر مسلم عند كلامه على الغناء عند الصوفية وأما ما ابتدعته الصوفية في ذلك فمن قبيل مالا يختلف في تحريمه لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب إلى الخير حتى لقد ظهرت من كثير منهم فعلات المجانين والصبيان حتى رقصوا بحركات متطابقة وتقطيعات متلاحقة وانتهى التواقح بقومٍ منهم إلى أن جعلوها من باب القُرَب وصالح الأعمال وأن ذلك يثمر سني الأحوال وهذا على التحقيق من آثار الزندقة وقول أهل المخرقة والله المستعان ونقله الحافظ ابن حجر في الفتح وقال عقبه وينبغي أن يعكس مرادهم ويقرأ يُثمِرُ سيء الأحوال عوض سني الأحوال ا.هـ وأنكر هذا النوع من السماع ابن الحاج المالكي في المدخل

Scanned by CamScanner

والطرطوشي في النهي عن الأغاني وأجاب ابن قدامة المقدسي الحنبلي عن هذا السماع فقال إنَّ فاعل هذا مخطئ ساقط المروءة والدائم على هذا الفعل مردود الشهادة في الشرع غير مقبول القول ا.هـ المراد وللمنبجي الحنبلي في ذلك رسالة خاصة ولله در القائل:

أقال الله صفق وغني وقل نكراً وسم الرقص ذكِرا

ومن خلال هذه النقول عن فحول العلماء تجد تحذيرهم الصريح من هؤلاء الدخلاء على الصوفية الذين نسبوا أنفسهم إليهم وهم منهم براء شوهوا جمال حلقات الذكر بما أدخلوا عليها من البدع الضالة والأعمال المنكرة التي تحرمها الشريعة المطهرة كاستعمال آلات الطرب المحظورة والاجتماع المقصود بالمردان والغناء الفاحش والرقص المشتمل على التكسر والتثني الذي لا يليق بالرجال والصّراخ والتصفيق وما إلى ذلك من الدواهي والطّامات وبعضهم قاطع للصلاة وبعضهم لا هم له إلا وجبة الطعام كما هو شأن كثير من العوّام الطغام فصار سماعهم لتسلية النفوس الغافلة وتحقيق الأغراض الدنيئة ومجالسهم مرتع للشيطان لا للصلة بالله وتطهير القلب من الأدران ولا علاقة للصوفية الصادقة بهؤلاء البتة.

أما السماع الثاني فهو سماع الصوفية الصادقة والطائفة المحققة المتحققة والجماعة السنية السَنِية المرضية التي لا يشقى بها جليسها فسماعهم موافق للشرع وقد بسط الكلام عليه حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في الإحياء وضابط السماع عند الصوفية الصافية صوت أفاد

Scanned by CamScanner

حِكمةً يخضع لها القلب ويلين لها الجلد وقد اتخذه الصوفية وسيلة للاستجمام من تعب الوقت وتنفساً لأرباب الأحوال واستحضاراً للأسرار لذوي الأشغال فالسماع المطلوب عندهم هو ما ينشط القلب على السير إلى المقامات العلية ويشترطون فيه أن يسلم من خمسة عوارض **عارض في المُسْمِع** فلا يكون المسمع امرأة لا يحل النظر إليها ويخشى الفتنة في سماعها ولا أمرد يتلذذ بحسن صوته وجميل منظره **وعارض في الآلة** بأن تكون من شعائر أهل الشرب أو المخنثين وهي المزامير والأوتار وطبل الكوبة فهذه ممنوعة لا يحل سماعها بخلاف الدف والطبل فهو باق على الإباحة وإن كان الأولى خلو السماع منه وقد عهدنا الصوفية في تهامة ينشدون القصيد ويقيمون الحضرات خالية من الدف والطار بل الذكر مع الخشوع والوقار بلا دفٍّ ولا طار.

العارض الثالث في نظم الصوت وهو الشعر فإن كان فيه شيء من الخنا والفحش والهجو أو ما هو كذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم أو على الصحابة رضي الله عنهم كما رتبه الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم فسماع ذلك حرام بألحان وغير ألحان والمستمع شريك القائل وكذلك ما يهيج على الشهوات لا يجوز استماعه.

العارض الرابع في المستمع بأن تكون شهوة السماع غالبة عليه والتلذذ بالأصوات والميل إلى الغناء لا حقيقة السماع ولا مضمون كلمات الإنشاد فهذا يمتنع عليه السماع.

Scanned by CamScanner

العارض الخامس أن يكون المستمع من أهل البطالة فيضيع أكثر الأوقات في السماع فسماع الصوفية إذاً يراعىٰ فيه آلاته التي يقع فيها ومعها وبها - الزمان والمكان - والإخوان وخلو الوقت عن معارض ووجود الصدق مع الجميع وسلامة الصدر في الحال فلا يتحرك متحرك إلا بغلبة من غير تصنع قال المحقق ابن عابدين رحمه الله عن هذا النوع من السماع ولا كلام لنا مع الصُّدَّقِ من سادتنا الصوفية المبرئين من كل خصلة ردية فقد سئل إمام الطائفتين سيدنا الجنيد إن أقواما يتواجدون ويتمايلون؟ فقال دعوهم مع الله تعالىٰ يفرحون فإنهم قوم قطعت الطريق أكبادهم ومزق النَّصَبُ فؤادهم وضاقوا ذرعاً فلا حرج عليهم إذا تنفسوا مداواةً لحالهم ولو ذقت مذاقهم عذرتهم ا.هـ والله أعلم.

وفي الفتاوىٰ الخيرية لخير الدين الرملي الحنفي بعد نقل أقوال العلماء واختلافهم في مسألة السماع وأما سماع السادة الصوفية رضي الله عنهم فبمعزل عن هذا الخلاف بل ومرتفع عن درجة الإباحة إلىٰ رتبة المستحب كما صرح به غير واحدٍ من المحققين ا.هـ.

وقد نص العلماء علىٰ إباحة الشعر وإنشاده بالمسجد قال الإمام النووي رحمه الله لا بأس بإنشاد الشعر في المسجد إذا كان مدحاً للنبوة أو الإسلام أو كان حكمة أو في مكارم الأخلاق أو الزهد أو نحو ذلك من أنواع الخير ا.هـ من شرح مسلم للنووي كتاب فضائل الصحابة وقال أبو بكر بن العربي المالكي في شرح الترمذي لا بأس بإنشاد الشعر

Scanned by CamScanner

في المسجد إذا كان في مدح الدين وإقامة الشرع وفي شرح منظومة الآداب للسفاريني الحنبلي وفي رواية أبي بكر بن الأنباري أن كعب بن زهير لما جاء تائباً وقال قصيدته المشهورة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

إلى أن وصل:

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الهند مسلول

رمى صلى الله عليه وآله وسلم إليه بردة كانت عليه وأن معاوية بذل فيها عشرة آلاف فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفاً فأخذها منهم... إلى أن قال تحصّل من إنشاد قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعطائه البردة عدة سُنَنٍ:

١- إباحة إنشاد الشعر.

٢- استماعه في المساجد.

٣- الإعطاء عليه ا.هـ.

وفي الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم (إن من الشعر لحكمة) قال ابن بطال ما كان في الشعر والرجز ذكراً لله تعالى وتعظيماً له ووحدانيته وإيثار طاعته والاستسلام له فهو حَسَنٌ مُرَغَّبٌ فيه وهو

Scanned by CamScanner

المراد من الحديث إن من الشعر حكمة وما كان كذباً وفحشاً فهو مذموم إلى أن قال ومحصله أن الحداء بالرجز والشعر لم يزل يفعل في الحضرة النبوية وربما التمس ذلك وليس هو إلا أشعاراً توزن بأصوات طيبة وألحان موزونة ا.هـ فتح الباري للحافظ ابن حجر وفي الفتح أيضاً نقل ابن عبد البر الاتفاق على إباحة الحداء وفي كلام بعض الحنابلة خلاف فيه ومن منعه محجوج بالأحاديث الصحيحة ا.هـ وقال السفاريني في شرح المنظومة المذهب الإباحة من غير كراهة لما تظافرت به الأخبار وتظاهرت به الآثار من إنشاد الأشعار والحداء في الأسفار وقد ذكر بعض العلماء الإجماع على إباحة الحداء ا.هـ وفي الإحياء لحجة الإسلام الغزالي رحمه الله لم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضي الله عنهم وما هو إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره ا.هـ.

أما الحركة في الذكر فحكمها الجواز شرعاً بدليل ما أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح على شرط مسلم عن أنس قال كانت الحبشة يزفِنون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرقصون ويقولون محمد عبد صالح فقال رسول الله ما يقولون؟ قالوا يقولون محمد عبد صالح أقول يزفنُ كيضربُ قال السندي أي يرقصون بالسلاح قال العلماء وفي الحديث دليل على صحة الجمع بين الاهتزاز المباح وهو الذي لا تثني فيه ولا تكسر ومدح رسول صلى الله عليه وسلم وأن الاهتزاز في الذكر لا يسمى رقصاً محرماً بل هو جائز لأنه ينشط الجسم

Scanned by CamScanner

للذكر ويساعد على حضور القلب مع الله تعالى إذا صحت النية فالأمور بمقاصدها وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى وجاء في وصف الإمام علي رضي الله عنه للصحابة الكرام رضي الله عنهم وهو شاهد عدل ما ذكره الحافظ ابن كثير في البداية عن أبي أراكة قال صليت مع علي صلاة الفجر فلما انفتل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما أرى اليوم شيئاً يشبههم لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبراً بين أيديهم كأمثال رُكب المعزّى قد باتوا لله سجدا وقياماً يتلون كتاب الله يتراوحون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا ـ أي تحركوا ـ كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تنبلّ ـ والله ثيابهم ـ وأخرجه أبو نعيم أيضاً في الحلية واستدل به العلامة عبد الغني النابلسي رحمه الله على ندب الاهتزاز بالذكر وقال هذا صريح بأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتحركون حركة شديدة في الذكر ا.هـ وفي مسند أحمد بسند ضعيف عن علي رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أنا وجعفر وزيد فقال لزيد أنت أخونا ومولانا فحجل وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلقي فحجل وراء حجل زيد وقال لي أنت مني وأنا منك فحجلت وراء حجل جعفر وأصل الحديث من غير ذكر الحجل في الصحيح قال الحافظ البيهقي في الآداب والحجل أن يرفع رجلاً ويقفز على الأخرى من الفرح فإذا فعله الإنسان فرحاً بما أتاه الله من معرفته أو سائر نعمه فلا بأس وما كان فيه

Scanned by CamScanner

تثني وتكسر حتىٰ يباين أخلاق الذكر فهو مكروه ـ أي تحريما ـ لما فيه من التشبه بالنساء ا.هـ ولله در ابن كمال باشا حين قال لما استفتي عن ذلك:

ما في التواجد إن حققت من حرج ولا التمايل إن أخلصت من باس

فقمت تسعىٰ علىٰ رجل وحق لمن دعاه مولاه أن يسعىٰ علىٰ الراس

والتواجد هو تكلف الوجد و إظهاره من غير أن يكون له وجد حقيقة ولا حرج فيه إذا صحت النية فإذا كان التواجد جائزاً شرعاً ولا حرج فيه كما نص عليه الفقهاء فالوجد من باب أولىٰ وما وجد الصوفية وتواجدهم إلا قبس مما كان عليه أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ومن هنا نرىٰ العلامة المحقق ابن عابدين رحمه الله يبيح التواجد والحركة في الذكر وأن الفتوىٰ عنده الجواز وأن النصوص المانعة التي ساقها في حاشيته النفيسة رد المحتار ج٣ محمولة علىٰ ما إذا كانت حلقات الذكر مشتملة علىٰ منكرات من آلات اللهو والغناء والاجتماع مع المرد الحسان وإنزال المعاني علىٰ أوصافهم والتغزل بهم وما شابه ذلك من المخالفات والله أعلم.

Scanned by CamScanner

وقول السائل وهل الطريقة مخالفة للشريعة وكذا الحقيقة؟

جوابه لا مخالفة فالطريقة(١) سلوك طريق الشريعة والشريعة أعمال شرعية محدودة وهما والحقيقة(٢) ثلاثة متلازمة لأن الطريق إليه تعالى لها ظاهر وباطن فظاهرها الطريقة والشريعة وباطنها الحقيقة فبطون الحقيقة في الشريعة كبطون الزبد في لبنه لا يظفر بزبده بدون مخضه والمراد من الثلاثة(٣) إقامة العبودية على الوجه المراد من العبد قاله المحقق ابن عابدين نقلاً عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري(٤) وقال العارف بالله الشهرزوري في رسالته إرشاد المريدين الطرق إلى الله ثلاثة شريعة وطريقة وحقيقة فالشريعة كالسفينة والطريقة كالبحر والحقيقة كالدر فمن أراد الدر ركب السفينة ثم شرع في البحر ثم وصل إلى الدر فمن ترك هذا الترتيب لم يصل إلى الدر فأول ما يجب على

---

(١) الطريقة هي السيرة المختصة بالسالكين من قطع المنازل والترقي في المقامات كما في حاشية ابن عابدين ج٣ص٣٠٣.

(٢) الحقيقة هي مشاهدة الربوبية ويقال هي سر معنوي لا حد له ولا جهة.

(٣) الشريعة والطريقة والحقيقة.

(٤) حاشية ابن عابدين ج٣ص٣٠٣ وفي نشر المحاسن الغالية لليافعي رحمه الله الحقيقة هي مشاهدة أسرار الربوبية ولها طريقة هي عزائم الشريعة فمن سلك الطريقة وصل إلى الحقيقة فالحقيقة نهاية عزائم الشريعة ونهاية الشيء غير مخالفة له فالحقيقة غير مخالفة لعزائم الشريعة ا.هـ.

Scanned by CamScanner

الطالب هو الشريعة والمراد بها فعل أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وترك نواهيهما وقال أبوبكر نصر بن محمد الدقاق كنت ماراً في تيه بني إسرائيل فخطر ببالي أن علم الحقيقة مباين لعلم الشريعة فهتف بي هاتف من تحت شجرة كل حقيقة لا تتبع الشريعة فهي كفر قاله السيوطي في حسن المحاضرة(١) وقال الطحطاوي الحقيقة لب الشريعة وليست الحقيقة خارجة عن الشريعة ولا الشريعة خارجة عن الحقيقة ومن ادعى خروج الحقيقة عن الشريعة يخشى عليه الكفر نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) قال سيدي عبد القادر الجيلاني رحمه الله في الفتح الرباني كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة طِرْ إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة أدخل عليه ويدك في يد الرسول صلى الله عليه وسلم.

Scanned by CamScanner

وقول السائل وهل للفقيه أن يعترض على الصوفي؟

جوابه نعم إذا رأى منه ما يخالف ظاهر الشريعة قال الشيخ زروق(١) في قواعد الصوفية للفقيه أن يعترض على الصوفي وليس للصوفي أن يعترض على الفقيه لأن الذي هو عليه هو المطالب به العامة والخاصة إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلاَّ بالفقه(٢)

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد زروق ت٨٩٩هـ.

(٢) نص القاعدة حكم الفقه عام في العموم لأن مقصده إقامة رسم الدين ورفع مناره وإظهار كلمته وحكم التصوف خاص في الخصوص لأنه معاملة بين العبد وربه من غير زائد على ذلك فمن ثم صح إنكار الفقيه على الصوفي ولا يصح إنكار الصوفي على الفقيه ولزم الرجوع من التصوف إلى الفقه والاكتفاء به دونه ولم يكف التصوف عن الفقه بل لا يصح دونه ولا يجوز الرجوع منه إليه إلاّ به وإن كان أعلى منه مرتبة فهو أسلم وأعم منه مصلحة ولذلك قيل كن فقيهاً صوفياً ولا تكن صوفياً فقيها وصوفي الفقهاء أكمل من فقيه الصوفية وأسلم لأن صوفي الفقهاء قد تحقق بالتصوف حالاً وعملاً وذوقاً بخلاف فقيه الصوفية فإنه المتمكن من علمه وحاله ولا يتم له ذلك إلا بفقه صحيح وذوق صريح ولا يصح له أحدهما دون الآخر كالطب الذي لا يكفي علمه عن التجربة ولا العكس فافهم ا.هـ.

Scanned by CamScanner

ولهذا اعترض سيدنا موسى على الخضر عليهما السلام وسيدنا موسى وعلمه أفضل من الخضر وعلمه كما نص على ذلك العلماء(١) والخضر حي موجود إلى الآن خلافاً لمن شذ وقال بموته(٢)

---

(١) هذا استدلال من المؤلف على صحة اعتراض الفقيه على الصوفي.

(٢) اتفق العلماء رحمهم الله تعالى أن الخضر ولد وكان حياً في زمن موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام واتفقوا أنه سيموت قال تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ (آل عمران:١٨٥) ولكن اختلفوا هل قد مات أو ما زال حيا وسيموت في آخر الزمان فذهب جمهور العلماء إلى حياته ومن نصوصهم في ذلك قول الإمام النووي رحمه الله في تهذيب الأسماء واللغات واختلفوا في حياة الخضر ونبوته فقال الأكثرون من العلماء هو حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم في ذلك وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين ا.هـ كلام النووي وذكره الحافظ ابن حجر في الزهر النضر وقال الحافظ سراج الدين ابن الملقن في التلخيص حياته ثابتة عند الجمهور ا.هـ.

أقول استدل الجمهور على ذلك بما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال فكان فيما حدثنا قال يأتي وهو مُحَرَّم عليه

Scanned by CamScanner

أن يدخل نقاب المدينة فينتهي إلى بعض السِّبَاخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس – أو من خير الناس – فيقول له أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر فيقولون لا قال فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مِنِّي الآن قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه قال أبو إسحاق يقال إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام ا.هـ.

أقول والمراد بأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان راوي صحيح مسلم عن الإمام مسلم ومستند أبي إسحاق في ذلك ما قاله معمر في جامعه بعد ذكر هذا الحديث بلغني أن الذي يقتُلُ الدجالُ الخِضِرَ وكذا أخرجه ابن حبان من طريق عبد الرزاق عن معمر قال كانوا يرون أنه الخضر قال الحافظ في الفتح وقد تمسك من قاله أي قال بأن الرجل الذي يقتله الدجال هو الخضر بما أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي عبيدة بن الجراح رفعه في ذكر الدجال لعله أن يدركه بعض من رآني أو سمع كلامي الحديث ا.هـ.

أقول ووجه الاستدلال بهذا الحديث أنه لم يبق أحد اليوم ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سمع كلامه إلا الخضر عليه السلام على القول بحياته ومن الآثار الدالة على حياة الخضر ما رواه يعقوب بن سفيان في تاريخه عن رياح بن عبيدة قال رأيت رجلا يماشي عمر بن عبد العزيز معتمداً على يده فقلت في نفسي إن هذا الرجل جاف فلما صلى قلت يا أبا حفص من الرجل الذي كان معك معتمداً

Scanned by CamScanner

على يدك آنفا؟ قال وقد رأيته يا رياح قلت نعم قال إني لأراك رجلاً صالحاً ذاك أخي الخضر بشرني أني سألي فأعدل قال الحافظ ابن حجر هذا أصلح إسناد وقفت عليه في هذا الباب أخرجه الحافظ الذهبي في التذكرة في ترجمة الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز وقال إسناده جيد وأشار الحافظ ابن حجر في الزهر النضر أن مجموع ما نقل عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم في حياة الخضر قد يلحق بالتواتر المعنوي الذي مثلوا له بجود حاتم، وذهب بعض أهل العلم إلى موت الخضر واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الأنبياء) وأجاب الجمهور عن عموم الآية أنه مخصوص بقوله تعالى ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الحجر) فصيغة العموم في الخطاب القرآني (ٱلْمُنظَرِينَ) تثبت أن الحكم يشمل إبليس وغيره وبهذا يتضح لك أن الأخذ بعموم قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الأنبياء) يمنع منه خصوص قوله تعالى فإنك من المنظرين أي ممن أخرت آجالهم أزلاً حسبما تقتضيه حكمة التكوين من الجن ويلحق بهم من الإنس إدريس وعيسى وإلياس والخضر على نبينا وعليهم السلام فقد قال السعد التفتازاني في شرح العقائد ذهب العظماء من العلماء إلى أن أربعة من الأنبياء في زمرة الأحياء الخضر وإلياس في الأرض وإدريس وعيسى في السماء ا.هـ قال الحارث بن أبي أسامة في مسنده حدثنا عبد الرحيم بن واقد حدثني محمد بن سلام أخبرنا أبان عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه

Scanned by CamScanner

وسلم (إن الخضر في البحر واليسع في البر يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج ويحجان ويعتمران كل عام ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما إلى قابل) وسنده ضعيف وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد كتاب الزهد لأبيه عن الحسن بن عبد العزيز عن السري بن يحي عن عبد العزيز بن أبي رواد قال يجتمع الخضر وإلياس ببيت المقدس في شهر رمضان من أوله إلى آخره ويفطران على الكرفس وأمثال الموسم كل عام قال الحافظ ابن حجر في الزهر النضر هذا معضل وسنده حسن قلت حكمه حكم المرسل كما هو مقرر أهل الحديث لأن مثله لا يقال بالرأي وقال الحافظ في الزهر النضر ويروى عن الحسن البصري قال وُكِلَ إلياس بالفيافي ووكل الخضر بالبحور وقد أعطيا الخلد في الدنيا إلى الصيحة الأولى وأنهما يجتمعان في موسم كل عام وروى ابن شاهين بسند ضعيف إلى خصيف قال أربعة من الأنبياء أحياء اثنان في السماء عيسى وإدريس واثنان في الأرض الخضر وإلياس فأما الخضر فإنه في البحر وأما صاحبه فإنه في البر أقول وليس من المستحيل العقلي ولا الشرعي أن يكون الخضر عليه السلام أو غيره من الخلق حياً ولا ينبغي للمسلم أن يبادر برفض كل مالم يعتد عليه ولم يكن في نطاق المعتاد قبل أن يطلع على الشرع الشريف ويرى هل هناك ما يثبت ذلك أو لا والله عز وجل يمد في عمر من يشاء وقد يكون ذلك الإمداد لإقامة الحجة كإنظاره إبليس عليه لعنة الله فهذه ليست كرامة له ولا تشريفا أما غير إبليس من الصالحين كالخضر عليه السلام فقد يكون ذلك كرامة له أو وحِكم

Scanned by CamScanner

أخرىٰ لا نعرفها ثم قوله تعالىٰ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الأنبياء) المراد بالخلد الدوام الأبدي والقائلون بحياة الخضر اليوم يقولون إنه يموت في آخر الزمان وعليه فلا إشكال في الآية وتمسك من قال بموت الخضر بما قاله البخاري جواباً عندما سئل عن الخضر وإلياس هل هما في الأحياء فقال كيف يكون ذلك وقد قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم في آخر عمره أرأيتكم في ليلتكم هذه فإنه علىٰ رأس مائة سنة منها لا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد والحديث متفق عليه وجوابه أن هذا عام لأنه نكرة في سياق النفي فيعم وهو مخصص بحديث أبي عبيدة المتقدم عند ابن حبان في صحيحه في ذكر الدجال ولفظه لعله أن يدركه بعض من رآني أو سمع كلامي وأخرجه الترمذي وقال حسن غريب وأخرجه أبو داود وسكت عنه وللعلماء أجوبة أخرىٰ ذكرها الحافظ في الفتح والله أعلم.

Scanned by CamScanner

وهو نبي(١) عند جماهير العلماء من السلف والخلف لقوله تعالى حكاية عنه ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىٓ ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (الكهف) فإقدامه على قتل الغلام إنما كان بوحي من الله تعالى في ذلك الوقت وأما بعد بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلا يجوز له الإقدام على شيء يخالف ظاهر الشريعة المحمدية الغراء بل هو تابع لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حياً ما وسعه إلاَّ اتباعي رواه الإمام أحمد فشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع فمن خالفها زج به في النار قال تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (آل عمران).

---

(١) في هذه المسألة خلف فالبعض يرىٰ أن الخضر ولي ومال إليه القشيري والأكثر يرىٰ أنه نبي وهو الراجح للآية التي ذكرها المصنف.

Scanned by CamScanner

وقول السائل وهل الهواتف والكشف والإلهامات والخواطر التي تجري على قلوب الأولياء حجة؟

جوابه ليس ذلك بحجة عند علماء الإسلام بل الحجة الكتاب والسنة والقياس الصحيح وإجماع الأمة(١)

---

(١) لا بد أولاً من معرفة المصطلحات ثم معرفة حجية هذه الأمور من عدمه.

أولاً تحرير المصطلحات:

أ- الهواتف: جمع هاتف وهو صوت مسموع بدون رؤية صاحبه أي هو صوت مسموع مجهول المصدر فقد يكون مصدره ملكاً أو ولياً أوجناً صالحاً أو الخضِر على القول بحياته أو شيطاناً مريداً.

ب- الكشف: هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والمراد هنا الكشف الرحماني وهو ما كان من الرحمن يحدثه في قلب العبد ويطلعه على أمور تخفى على غيره.

ج- الإلهام: إيقاع شيء في القلب يثلج أي يطمئن له الصدر يخص به الله تعالى بعض أصفيائه كما في جمع الجوامع وشرحه للمحلي.

د- الخاطر: هو ما يحصل في القلب من الأفكار وسمي بذلك لأنه يخطر بعد أن كان القلب غافلاً عنه وخاطر الحق هو علم يقذفه الله من بطنان الغيب على قلب أهل القلوب ويبقى مطمئناً لا ينفيه شيء ويعبر عنه بالإلهام قال الغزالي الخاطر المحمود هو الداعي إلى الخير ويسمى إلهاما.

Scanned by CamScanner

ألفاظ قريبة من المصطلحات المذكورة:

أ- الإيقاع في النفس: الإيقاع تارة يضاف إلى النفس وتارة يضاف إلى القلب يقال أوقع الله في نفسي كذا أو في قلبي ولا فرق بينهما يقول السعد التفتازاني إن النفس إذا ترددت في أمر استتبع ذلك خفقاناً في القلب للعلاقة بينهما فإنه المتعلق الأول لها فإذا زال ذلك عن النفس وحدث بها طمأنينة انعكس الأمر قال والنفس لطيفة في الجسد تولدت من ازدواج الروح بالبدن واتصالهما معاً.

ب - الفتح وقد يقترن ذكره بالله فيقال من فتح الله ويقال الفتوحات ويقرب منه الكشف والمكاشفة أما الفتح فهو إزالة الإشكال بإدراك البصيرة وفتح المستغلق من العلوم فيقال فلان فتح عليه باب من العلم والفتح المبين هو ما يفتح على العبد في مقام الولاية وتجليات أنوار الأسماء الإلهية والمفاتح جمع مفتاح وهي في الأصل ما يتوصل به إلى استخراج المغلقات التي يتعذر الوصول إليها.

ج- سكون النفس، سكون القلب، طمأنينة النفس، طمأنينة القلب، انشراح الصدر، ميل القلب، شهادة القلب: السكون ضد الحركة يقال سكن الشيء إذا ذهبت حركته واستعماله في النفس مجاز يقال سكنت نفسي بعد الاضطراب والطمأنينة من الاطمئنان وهو السكون فاطمئنان النفس وسكونها مترادفان بمعنى الركون إلى الشيء بعد التردد وميل القلب عدوله إلى الشيء والإقبال عليه والميل النفسي ما كان مقرونا بالشعور وصادراً عن الإرادة والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصرٍ أو بصيرة وعلى هذا فيراد بشهادة القلب

Scanned by CamScanner

العلم الذي يحصل منه قال المناوي السكينة ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب أي الإلهام ومن خلال المصطلحات المذكورة يظهر أن الإلهام إيقاع شيء في القلب ينشرح ويطمئن إليه الصدر فبعد حصول الإيقاع في القلب يتم سكون القلب فيكون السكون أثر الإلهام وبعد اطمئنان النفس ينشرح الصدر ويميل القلب فيحصل منه العلم وهو شهادة القلب ويزول التردد وعلى هذا تارة يعبر بالإلهام وتارة يعبر بأثره وهو سكون النفس وانشراح الصدر وميل القلب وشهادته والتحقيق أن الإلهام له مراتب بقدر صلة العبد بربه وخصه بعضهم بأصفياء الله وأقل منه سكون النفس وميل القلب وهذا حاصل لكل مؤمن كما أن الإلهام قد يلقى في النفس من غير تردد ولا طلب بخلاف سكون القلب وميل النفس فإنه يسبقه تردد وطلب بالاستخارة أو التحري وبعد معرفة المصطلحات يأتي الشق الآخر وهو هل الهاتف والخاطر والكشف والإلهام حجة والتحقيق أن في المسألة تفصيل ونحتاج إلى تحرير محل النزاع لنفصل الكلام فيه فنقول:

١- اتفق أهل السنة من فقهاء ومحدثين وأصوليين وصوفية على أن الخاطر والإلهام والكشف والهاتف لا يستقل بإثبات الأحكام مطلقاً ولا يكون رافعاً لحكم ولا مخصصاً لعام ولا مقيداً لمطلق لعدم عصمة الملهم وجواز الخطأ عليه.

٢- واتفقوا كذلك أن هذه الأمور إذا خالفت نصاً شرعياً أو خرمت قاعدة شرعية كلية فلا اعتداد بها اتفاقاً بل هو وهم وخيال من إلقاء الشيطان فلو سمع هاتفاً يقول له البس ثوباً من حرير فهو شيطان

Scanned by CamScanner

يناديه لفعل المعصية وهكذا لو وقع في قلبه أن يلبس الحرير وأنه أبيح له فهو من الشيطان لقيام الدليل الشرعي على حرمة لبس الحرير للرجال.

٣- وفي غير هذين المحورين وقع النزاع في العمل بالكشف والإلهام والهاتف والخاطر الرحماني فقال جمع من الصوفية يعمل به استئناساً واحتجوا بما رواه أحمد والدارمي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (البِرّ ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك) قالوا جعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادة قلبه بلا حجة أولى من الفتوى فثبت أن الإلهام حق فإنه وحي باطن ولم يأتِ مخالفاً للشريعة وهذا معنى قول الشعراني لا ينبغي العمل بالكشف والإلهام إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة وقول الشاذلي إذا ورد وارد من جهة الحقيقة فلا أقبله إلا بشاهدين عدلين هما الكتاب والسنة والتحقيق أن الكشف والإلهام معتبر في الشرع بالجملة وقد نص العلماء على أنه يعمل بالإلهام إذا عضده نص واستدلالٌ اتفاقاً ويسمى تحرياً قال السمرقندي التحري هو العمل بشهادة القلب عند عدم سائر الأدلة الشرعية بنوع نظر واستدلال بالأحوال وهو حكم قائم بالشرع في حق العمل بطريق الضرورة على ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في من شك في صلاته فلم يدر أصلى ثلاثاً أم أربعا فإنه يتحرى اليقين ويبني عليه قال النسفي والإلهام عند عدم الدلائل الأربعة يكون حجة في حق الملهم لا في حق غيره كالتحري ويظهر من كلام الحنفية أن الإلهام حجة بشرطين:

Scanned by CamScanner

أ- فقدان سائر الأدلة.

ب- وجود الضرورة المقتضية لذلك ويدخل في هذا جميع فروع التحري في الفقه، ونص العلماء على أنه يعمل بالإلهام إذا وافقه سبب ظاهر لأن الأصل العمل بالسبب الظاهر فإذا وافقه الإلهام تأكد وقد نص على هذا الشاطبي والخلاصة أن المحققين عملوا بالإلهام إذا وافق السبب الظاهر وعملوا به إذا استند إلى دليل شرعي وقد أطال ابن تيمية في الانتصار لهذا الرأي وعملوا بما يقع في النفس بعد الاستخارة من ضروب الإلهام لاستناده إلى دليل مشروعية الاستخارة قال الإمام النووي إذا استخار مضى لما ينشرح له صدره فظهر من هذا كله أن الإلهام والكشف معتبر في الجملة وعرفت محل النزاع والاستئناس بابه واسع والله أعلم.

Scanned by CamScanner

قال الشعراني وأجمعوا على أنه لا ينبغي العمل بالكشف والإلهام إلاَّ بعد عرضه على الكتاب والسنه وقال أبو الحسن الشاذلي إذا ورد عليّ وارد من جهة الحقيقة فلا أقبله إلا بشاهدين عدلين وهما الكتاب والسنة فمن للشرع عليه اعتراض فليس بولي واصل وبالجملة فكل عمل يخالف الشريعة الغراء المطهرة لا يعمل به ولا يقبل من قائله كائناً من كان بل نعده نزغة من نزغات الشيطان.

ولقد أحسن من قال:

من كان يرغب في النجاة فمالـه ... غير اتباع المصطفى فيما أتى

ذاك السبيل المستقيم وغيره ... سبل الضلالة والغواية والردى

فاتبع كتاب الله والسنن التي ... صحت فذاك اذا اتبعت هو الهدى

ودع السؤال بكم وكيف فإنه ... باب يجر ذوي البصيرة للعمى

الدين ما قال النبيُّ وصحبه ... والتابعون ومن مناهجهم قفا

وقال الآخر:

ليس الطريق سوى طريق محمد ... فهو الصراط المستقيم لمن سلك

من يمشِ في طرقاته فقد اهتدى ... سبل الرشاد ومن يزغ عنها هلك

Scanned by CamScanner

وقال الآخر:

أيا نفس بالمأثور عن خير مرسل وأصحابه والتابعين تمسكي
عساك إذا بالغت في نشر دينه بما طاب من نشر له أن تمسكي
وخافي غداً يوم الحساب جهنما إذا لفحت نيرانها أن تمسَّكي

وقد قال العلماء لا يجب العمل بما يراه النائم عن النبي صلى الله عليه وسلم مع أن رؤيا المصطفى صلى الله عليه وسلم حق ولا يتمثل الشيطان به وقد رأى بعض الصالحين النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له اذهب إلى موضع كذا فاحفره فإن فيه ركازا فخذه ولا خمس عليك فيه فوجد الرجل ذلك فاستفتى فأفتاه بعض علماء عصره بأنه لا خمس عليه لصحة رؤياه فبلغ ذلك شيخ الإسلام سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام فأقام الطامة الكبرى على من أفتاه بذلك ثم أفتى بوجوب الخمس عليه لقول النبي صلى الله عليه وسلم (وفي الركاز الخمس) رواه البخاري ومسلم فرجع علماء عصره إلى فتواه(١)

---

(١) ذكرها الزرقاني رحمه الله في شرح الموطأ ج٢ص١٤٩ ومن ذلك لو رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يقول له غداً من رمضان قال الإمام النووي لم يصح الصوم بهذا المنام لا لصاحب المنام ولا لغيره قال النووي ونقل القاضي عياض الإجماع عليه وقال القاضي حسين لو قال لنا قائل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يقول لي غدا من رمضان قلنا له قال لنا رسول الله في اليقظة صوموا لرؤيته ا.هـ وقال القرافي نقدم ما ثبت في اليقظة على ما يثبت في المنام.

Scanned by CamScanner

وسئل شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن رجل رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقول له مر أمتي بصيام ثلاثة أيام فهل يجب عليهم فأجاب بقوله لا يجب على أحد الصوم ولا غيره من الأحكام بما ذكر ولا يندب بل قد يكره أو يحرم لكن إن غلب على الظن صدق الرؤيا فله العمل بما دلت عليه مالم يكن فيه تغيير حكم شرعي ولا يثبت بها شيء من الأحكام لعدم ضبط الرائي للرؤيا لا للشك في الرؤيا ويحرم على الرائي أن يقول أمركم النبي صلى الله عليه وسلم بكذا بل يأتي بما يدل على مستنده من الرؤيا قال بعض الأفاضل وكذا من يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة يأمره بشيء لا يجب عليه فعله بل يحرم فعله إن خالف ظاهر الشرع لأن هذه الرؤية ليست كالرؤية المتعارفة المعهودة قال ابن حجر ولا يلزم من هذه الرؤية أن يكون الرائي صحابياً لأن شرط الصحبة الرؤية قبل الموت في عالم الملك وهذه رؤية في عالم الملكوت(١)

---

(١) هنا مسائل **الأولى الرؤيا على وزن فُعلى**: وهو ما يراه الشخص في منامه وقد تسهل الهمزة فيقال الرويا وقد تضاف إلى الهاء فيقال الرؤية.

الثانية حقيقة الرؤيا: قال المازري رحمه الله إن المذهب الصحيح ما عليه أهل السنة وهو أن الله سبحانه يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان وهو تبارك اسمه يفعل ما يشاء ولا يمنعه من فعله نوم ولا يقظة فإذا خلق هذه الاعتقادات فكأنه سبحانه جعلها علماً على أمور أُخَر كالغيم عَلَماً على المطر ا.هـ.

الثالثة: الذي يظهر من كلام العلماء أن الرؤيا من أنواع الإلهام لكن إن أطلق الإلهام أريد به الكشف في حال اليقظة وإن كان الكشف

Scanned by CamScanner

في المنام سُمي رؤيا وكلاهما من إدراكات الروح التي يستوي عندها النوم واليقظة والليل والنهار والإلهام يحصل في حال النوم كاليقظة لأنه لا يتوقف على الإلقاء في القلب بحيث يعقل ما يلقى في قلبه وهو ممكن في حال النوم كإمكانه في حال اليقظة لأن الإنسان يعقل ما يعرض له أثناء نومه وإلا لم تكن الرؤى والأحلام وكلاً من الرؤى والإلهام من أقسام الوحي قال الإمام النووي رحمه الله في تفسير قول الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ (الشورى:٥١) والجمهور أن المراد بالوحي في الآية الإلهام والرؤية في المنام فكلاهما يسمى وحياً ا.هـ ولا يختص بالأنبياء بل يحصل لغيرهم قال ابن تيمية رحمه الله فالوحي يكون لغير الأنبياء يقظة ومناماً وقد يكون بصوت هاتف في نفس الإنسان ليس خارجاً عنها يقظة ولا مناماً ا.هـ والمراد طبعاً وحي الإلهام والرؤية المنامية والكشف الصادق والهاتف الرحماني والفراسة الإيمانية قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ (القصص:٧) هو وحي إلهام كما قال تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ (النحل:٦٨) وهكذا قال بعض السلف في هذه الآية ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ (المائدة:١١١) أي ألهموا ذلك فامتثلوا ما ألهموا قال الحسن البصري ألهمهم الله عز وجل ذلك وقال السدي قذف في قلوبهم ذلك ا.هـ.

Scanned by CamScanner

الرابعة: قال الحافظ ابن عبد البر ولا أعلم بين أهل الدين والحق من أهل الرأي والأثر خلافاً في أن الرؤيا الصادقة من الله وأنها من النبوة وأن التصديق بها حق وفيها من بديع حكمة الله ولطفه ما يزيد المؤمن في إيمانه ا.هـ.

الخامسة: رؤية النبي صلىٰ الله عليه وسلم في المنام ممكنة ورؤيا النبي صلىٰ الله عليه وسلم في المنام حق وفي صحيح البخاري قوله صلىٰ الله عليه وسلم (من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي) وعصمة النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم في عدم تمثل الشيطان به تكون لمن رآه علىٰ صورته الحقيقية التي كان عليها في حياته، وقد كان ابن سيرين رحمه الله إذا قص عليه رجل أنه رأىٰ النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال صف لي الذي رأيته فإن وصف له صفة لا يعرفها قال لم تره قال الحافظ ابن حجر وجدت له ما يؤيده فقد أخرج الحاكم من طريق عاصم بن كليب حدثني أبي قال قلت لابن عباس رأيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم في المنام قال صفه لي قال فذكرت الحسن بن علي فشبهته به قال قد رأيته قال الحافظ وعلىٰ ذلك جرىٰ علماء التعبير قالوا إذا قال الجاهل رأيت النبي فإنه يسأل عن صفته فإن وافق الصفة المروية وإلا فلا يقبل منه وقد نقل القرافي عن العلماء أن الرؤية تصح قطعاً لأحد رجلين أحدهما صحابي رآه فعلم صفته فانطبع في نفسه مثاله فإذا رآه جزم بأنه رأىٰ مثاله المعصوم من الشيطان وثانيهما رجل تكرر عليه سماع صفاته المنقولة في الكتب حتىٰ انطبعت في نفسه صفته

Scanned by CamScanner

فإذا رآه جزم برؤيته وأما غير هذين فلا يحصل له الجزم بل يحتمل أنه رآه ويحتمل أنه من تخييل الشيطان ا.هـ.

السادسة: من رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يسمى صحابياً إذ شرط الصحبة أن تكون الرؤية في حال حياة النبي صلى الله عليه وسلم الدنيوية وفي اليقظة بشرط الإيمان عند الرؤية وعند الموت كما هو مقرر في محله.

السابعة: رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق لأنه معصوم فما رآه النبي صلى الله عليه وسلم في نومه شرع ودين ووحي يستمد منه الأحكام بلا خلاف.

الثامنة: رؤيا الصحابة إذا أقرها الرسول صلى الله عليه وسلم يعمل بها بلا خلاف لا لأنها حجة بل لتقرير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها والتقرير النبوي دليل شرعي كما هو مقرر في محله من كتب الأصول والحديث قال الزركشي لا تثبت الأحكام بالمنام إلاّ في حق الأنبياء وتقريرهم.

التاسعة: هل الرؤية دليل يحتج به أم لا؟
لا بد من تحرير محل النزاع أولاً ثم تقرير الحكم
أ- الرؤى لا تستقل بإثبات الأحكام مطلقاً فلا ترفع حكماً ولا تخصص عاما ولا تقيد مطلقا لعدم عصمة الرائي وهذا محل إجماع.

Scanned by CamScanner

ب- لا اعتداد بالرؤىٰ اتفاقاً إذا خالفت نصاً شرعياً فإن اقتضت ترك واجب أو ارتكاب محرم أو تحريم مباح أو أدت إلىٰ خرم قاعدة شرعية كلية فهي من إلقاء الشيطان ولا يعمل بها إجماعاً قال الإمام النووي رحمه الله قال القاضي عياض لا يقطع بأمر المنام ولا يبطل بسببه سنة تثبت ولا تثبت به سنة لم تثبت وهذا بإجماع العلماء ا.هـ.

وقال الإمام النووي رحمه الله ولا يجوز إثبات حكم شرعي بالمنام لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي وقد اتفقوا علىٰ أن من شرط من تقبل روايته أن يكون متيقظاً لا مغفلا ولا سيء الحفظ ولا كثير الخطأ ولا مختل الضبط والنائم ليس بهذه الصفة فلا تقبل روايته لاختلال ضبطه ا.هـ، وقال ابن الصلاح لو زعم رجل أنه رأىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم في النوم وهو يقول له قولاً يتضمن حكماً شرعيا لا يجوز الاعتماد في ذلك علىٰ ما يراه في النوم وسمعه من رسول الله علىٰ هذا درج أهل العلم الماضون وإنما يعتمد في الأحكام الشرعية ونحوها علىٰ الدلائل الشرعية المعلومة ا.هـ والنقطة أ والنقطة ب محل اتفاق بين العلماء لا نزاع نعلمه في ذلك.

ج- الرؤيا التي لا تخالف الشريعة هل تكون حجة أم لا هنا محل النزاع قال الإمام السبكي إنها ليست بحجة لأن النائم ليس علىٰ يقين من كلامه فمن هنا كان غير حجة وعلىٰ هذا أكثر العلماء وقال أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله في المعونة في الجدل الرؤيا حجة وهو وجه عند الشافعية ولا بأس عندي بالذهاب إلىٰ ذلك ما لم يخالف شرعاً ظاهراً والذي يترجح عند المحققين أنه يعمل بالرؤيا الموافقة للضوابط علىٰ

Scanned by CamScanner

سبيل الاستئناس مع الأخذ في الاعتبار ألا يعتقد أنها حكم الله عز وجل ولا يلتزم بها على جهة المشروعية فعلاً أو تركاً ومن باب أولى أن لا يلزم بها غيره ومن مواضع الاستئناس:

١- إذا وافقت حكماً شرعياً كفعل مندوب أو ترك مكروه فيستحب العمل على وفقها قال الإمام النووي رحمه الله إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يأمره بمندوب أو يرشده إلى فعل مصلحة فلا خلاف في استحباب العمل على وفقه لأن ذلك ليس حكماً بمجرد المنام بل بما تقرر من أصل ذلك الشيء بل ذهب ابن دقيق العيد رحمه الله إلى ما هو أوسع من ذلك فقد قال رحمه الله وإن أمره أي النبي صلى الله عليه وسلم بشيء لم يثبت في اليقظة خلافه استحب العمل به وقال التقي السبكي أنه يحسن العمل بذلك ولكن لا على سبيل الوجوب لاحتياج ذلك إلى دليل ظاهر يدل عليه فدخل في كلام ابن دقيق العيد أمر النبي صلى الله عليه وسلم في الرؤيا بمباح فإنه يستحب فعل ذلك ومن أمثلة العمل بالرؤيا الموافقة للشرع قول الإمام ابن قدامة الحنبلي في المغني يكره التقبيل للصائم لما روي عن عمر أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فرأيته لا ينظر إليَّ فقلت يا رسول الله ما شأني قال ألست تقبل وأنت صائم قال فو الذي بعثك بالحق لا أقبل بعدها وأنا صائم فالرؤيا تضمنت تنفيره صلى الله عليه وسلم لأمر مكروه وهو التقبيل أثناء الصوم فيعمل بها ولا عبرة بمن شنع على ذلك ا.هـ.

٢- يُستأنس بالرؤيا في الترجيح بين الأدلة المتعارضة إذا لم يتمكن الناظر فيها من الترجيح بطرق الترجيح المعروفة وهذا رأي ابن تيمية

Scanned by CamScanner

فإنه يرى أن الرؤيا تعود بالنفع على صاحبها من حيث زيادة الإيمان ولا يلزم غيره قبول ما جاء في رؤياه ويمكن الترجيح بين الأدلة بالرؤيا والإلهام ومن نصوصه في ذلك قوله وتارة يرجح أحدهم إما بمنام وإما برأي مشير ناصح وأما الترجيح بمجرد الاختيار والإرادة التي لا تستند إلى أمر باطن ولا ظاهر لا يقول به أحد من أئمة العلم ا.هـ.

أقول يندرج تحت هذا ما إذا اقتضت الرؤيا ترجيح أحد الأقوال في المسائل الخلافية كفعل ما اختلف في وجوبه كالوتر والأضحية أو ترك ما اختلف في تحريمه كأكل لحم السبع ويسير النبيذ ومثال استعمال هذا النوع من الترجيح يظهر جلياً فيما رواه مسلم عن أبي جمرة الضبعي أنه قال تمتعت ـ أي بالعمرة إلى الحج ـ فنهاني الناس عن ذلك فأتيت ابن عباس رضي الله عنهما فسألته عن ذلك فأمرني بها قال ثم انطلقت إلى البيت فنمت فأتاني آت في منامي فقال عمرة متقبلة وحج مبرور قال فأتيت ابن عباس رضي الله عنهما فأخبرته بالذي رأيت فقال الله أكبر الله أكبر سنة أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم ورواه البخاري بنحوه وفيه فقال ابن عباس أقم عندي فأجعل لك سهماً من مالي قال الحافظ ويؤخذ منه الاستئناس بالرؤيا لموافقة الدليل الشرعي ومراده ترجيح دليل مشروعية التمتع على الدليل المقتضي المنع وكان عبد الله بن الزبير ينهى عن المتعة كما في صحيح مسلم قال الحافظ وكان لا يراها إلا للمحصر ا.هـ فتح الباري.

٣- ومن مواضع الاستئناس بالرؤيا موافقتها لسبب ظاهر.

Scanned by CamScanner

٤- ومن مواضع الاستئناس بالرؤيا كونها بعد الاستخارة في أمر من الأمور وقد سبق ذلك في مبحث الإلهام.

٥- يرىٰ ابن القيم أنه يستأنس بالرؤيا إذا دلت قرائن الأحوال علىٰ صحتها أقول ومثاله تنفيذ الصديق رضي الله عنه لوصية خطيب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ثابت بن قيس وقد ذكر ابن الأثير قصته في أسد الغابة قال روي أنه قتل يوم اليمامة وكان عليه درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم أتاه ثابت في منامه فقال له إني أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إني لما قتلت أمس مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصىٰ الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد كفأ علىٰ الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالدا فمره فليبعث فليأخذها فإذا قدمت المدينة علىٰ خليفة رسول الله يعني أبا بكر فقل له إن عليّ من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق وفلان فاستيقظ الرجل فأتىٰ خالدا فبعث إلىٰ الدرع فأتىٰ بها علىٰ ما وصف وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته ولا يعلم أحد أجيزت وصيته بعد موته سواه وأوردها الهيثمي في المجمع وقال رواه الطبراني وبنت ثابت بن قيس لم أعرفها وبقية رجاله رجال الصحيح وذكرها ابن رجب في الأهوال وقال مثل هذه الرؤية الصادقة تورث ظناً قويا أقوىٰ من إخبار رجل أو رجلين فيجوز للوصي وغيره الاعتماد عليها في الباطن كما إذا علم الوصي بدين علىٰ الموصي غير ثابت فإن له قضاءه وإذا رأىٰ الإمام إنفاذ ذلك ظاهرا كان فيه اقتداء بالصديق.

Scanned by CamScanner

٦- يستأنس بالرؤيا عند المحدثين لبيان أحوال الرواة ومن أمثلة ذلك ما حدث به مسلم أن حمزة الزيات رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فعرض عليه ما سمع من أبان بن أبي عياش فما عرف منه إلاَّ شيئاً يسيراً خمسة أو ستة قال القاضي عياض وهذا ومثله استئناس واستظهار على ما تقرر من ضعف أبان لا أنه يقطع بأمر المنام ا.هـ وفي سنن أبي داود عن أبي عياش أن رسول الله قال من قال إذا أصبح ... الحديث فرأى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم فقال يا رسول الله إن أبا عياش يحدث عنك بكذا وكذا قال صدق أبو عياش قال الشراح ولم تكن الرواية عن أبي عياش بمجرد المنام لأن الرؤيا لا تثبت الأحكام وإنما صارت الرؤيا تؤيد الرواية وتزيد طمأنينة القلب فتلخص أنه يجوز العمل بالرؤيا في الأمور الجائزة أو المطلوبة التي فيها سعة وتحمل الرؤيا على البشارة أو النذارة فقد قرر الشاطبي وابن القيم وابن الحاج أنه يعمل بالرؤيا على سبيل الاستئناس فتكون بشارة أو نذارة بعد العرض على الكتاب والسنة والله أعلم.

Scanned by CamScanner

وقول السائل هل صح أن بعض الأولياء قال من قبَّل قدمي دخل الجنة(١)

---

(١) يحكى ذلك عن الإمام العلامة الولي الصالح المحدث الأصولي الفقيه إسماعيل بن محمد الحضرمي ترجمه العلامة البدر الأهدل في تحفة الزمن والحافظ الشرجي في طبقات الخواص والوشلي في نشر الثناء الحسن جاء في ذكر كراماته أنَّ من قبل قدم الفقيه إسماعيل دخل الجنة حكى الفقيه إبراهيم العلوي عن الفقيه أحمد بن أبي الخير عن والده الفقيه أبي الخير أنه سأل الفقيه إسماعيل عن ذلك فقال قدم علينا بقرية الضحي رجل من أهل الخير فلما صلينا الجمعة صعد المنبر وقال يا أيها الناس رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وسمعته يقول من قبَّل قدم الفقيه إسماعيل الحضرمي دخل الجنة قال الفقيه أحمد بن أبي الخير وكان يقال للرجل المذكور ابن الزعب من أهل حصي وهؤلاء بنو الزعب قوم أهل ولاية وصلاح ويروى عن الفقيه أحمد بن سليمان الحكمي المفتي بمدينة زبيد أنه قال لما سمعت حديث تقبيل قدم الفقيه إسماعيل وقع في نفسي من ذلك شيء ثم اتفق أني قصدت الفقيه إلى منزله بزبيد لقصد السلام والزيارة فلما دخلت عليه قال مرحباً بك جئت لتقبل قدمي ثم مدّ رجليه فقبلتهما قال الإمام اليافعي وكان الجلة من العلماء يقبلون قدمه ا.هـ من نشر الثناء الحسن ج٣ ص١٢٥.

Scanned by CamScanner

وبعضهم قال من صلى خلفي لم تمسه النار(١)؟

جوابه قال شيخنا علامة اليمن(٢) ما قال مثل هذا سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم بل قال يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا(٣)

---

(١) جاء في كرامات السيد العلامة الولي الصالح الإمام أحمد بن إدريس المغربي أن رجلاً اشترى لحماً ووضعه في ثوبه وأدركته الصلاة فصلى خلف الإمام أحمد بن إدريس وبعد انقضاء الصلاة رجع الرجل إلى منزله فطبخ اللحم ووضعه على النار فلم ينضج فزاد في الحطب فلم ينضج فذهب إلى السيد أحمد بن إدريس وأخبره خبر اللحم وأنه صلى خلف السيد أحمد رضي الله عنه فقال السيد أحمد بن إدريس لا تستغرب لحمك لن ينضج فقد بُشِّرنا أن من صلى معنا لا تمسه النار ولحمك صلى معنا.

(٢) السيد محمد بن عبد الرحمن بن حسن بن عبد الباري الأهدل ت ١٣٥٢هـ.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

Scanned by CamScanner

ومثل هذا قد وقع من كثير(١) وهو مردود على صاحبه كائناً من كان والظاهر أنه صدر منهم حال شطحهم أو يكون مما دس عليهم فحاشاهم من الدعاوي الباطلة والتكلم فيما لا يعنيهم(٢)

---

(١) أي من الأولياء والصالحين من المتقدمين والمتأخرين كما هو مبسوط في كتب السير والتراجم وطبقات الأولياء.

(٢) هنا مسألتان:

الأولى قراءة مثل هذه الحكايات في إطار كونها مبشرات تدخل في قوله تعالى ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ (يونس: ٦٤) أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ (يونس: ٦٤) قال هي الرؤيا الحسنة يراها المسلم لنفسه أو لبعض إخوانه وأخرج سعيد بن منصور وأحمد بن مردويه عن أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا نبوة بعدي إلا المبشرات قيل يا رسول الله وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة وأخرج ابن أبي شيبة ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وأصدقهم رؤيا اصدقهم حديثاً ورؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة والرؤيا ثلاث فالرؤيا الصالحة بشرى من الله والرؤيا مما تحزن الشيطان والرؤيا مما يحدث بها الرجل نفسه وإذا رأى أحدكم ما يكره فليقم وليتفل ولا يحدث به الناس وأحب القيد في النوم وأكره الغل القيد ثبات في الدين)

Scanned by CamScanner

ولفظ ابن ماجه (فإذا رأىٰ أحدكم رؤيا تعجبه فليقصها إن شاء وإن رأىٰ شيئاً يكرهه فلا يقصه علىٰ أحد وليقم يصلي وأخرج الحكيم الترمذي وابن مردويه عن حميد بن عبد الله رضي الله عنه أن رجلاً سأل عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن قوله تعالىٰ ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ (يونس:٦٤) فقال عبادة رضي الله عنه سألت عنها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال هي الرؤية الصالحة يراها المؤمن أو ترىٰ له وهو كلام يكلم به ربك عباده في المنام وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة وأخرج الحكيم الترمذي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقول إذا أصبح من رأىٰ رؤية صالحة فليحدثنا بها لأن يرىٰ لي رجل مسلم أسبغ وضوءه رؤيا صالحة أحب إلي من كذا وكذا وفي صحيح مسلم عن ابن عباس أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم كشف الستارة ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه والناس صفوف خلف أبي بكر فقال(يا أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلاَّ الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترىٰ له) وقد جاءت هذه المبشرات في كتب الحديث والسير والتراجم من ذلك ما روىٰ البزار عن نافع عن ابن عمر عن عثمان أنه أشرف عليهم فقال إني رأيت رسول الله في المنام فقا ل يا عثمان إنك تفطر عندنا الليلة فأصبح صائماً فقتل من يومه قال الهيثمي رجاله ثقات وقصة خزيمة بن ثابت أنه رأىٰ فيما يرىٰ النائم أنه سجد علىٰ جبهة النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقصها علىٰ رسول الله فاضطجع النبي صلىٰ الله عليه وسلم وقال صدق رؤياك رواها أحمد وابن أبي شيبة وقال الهيثمي رواه أحمد بأسانيد أحدها متصل والطبراني

Scanned by CamScanner

ورجالها ثقات وكتب الإمام الشافعي رضي الله عنه إلى الإمام أحمد يخبره أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يبشره بالجنة على بلوى تصيبه وهي قصة مشهورة في كتب التراجم وذكرها علماء العقائد في كتب التوحيد وهذه الرؤيا تشبه تماما تبشير النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه بالجنة على بلوى تصيبه وهي عند البخاري في صحيحه فمن قرأ هذه الأخبار في إطار المبشرات وأنها من الأمور التي يستأنس بها ولا يقطع بها فلا حرج إذ لا مخالفة فيها للشريعة أما إذا خالفت الشريعة فهي من إيحاء الشيطان قطعاً.

المسألة الثانية: أن يتلقى العوام هذه الحكايات وكأنها من الأمور المسلمة والحقائق الثابتة وأن من فعل تلك البشارة استحق الجنة قطعاً فهذه هي الطامات والترهات التي حذر منها العلماء كما فعل الشيخ هنا فنحن لا نقطع لأحد بالجنة ولا نقطع بما يأتي في رؤيا من عمل أن من فعله دخل الجنة أو من قرأ هذا الدعاء فرّج الله عنه أو من عمل كذا حصل له الشفاء وما شابه ذلك من القصص المبسوطة في كتب التراجم فالجزم ممنوع والقطع ممنوع وكونها حقائق مسلمة ممنوع لكن قراءتها في إطار المبشرات والاستئناس بذلك وفعله استئناساً وقبوله كرامة فلا حرج في ذلك ما دام لا يخالف الشريعة والله أعلم.

Scanned by CamScanner

وقول السائل هل صح أن الزيلعي قال في مدح بلده اللحية من زارها أو دارها كفي جهنم ونارها وأن الميت بها لا يسئل ولا يلقن(١) كما أشار إلى ذلك العلامة محمد الهندي في قصيدته التي مدح بها الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي صاحب اللُّحَيَّة حيث قال:

إن مات فيها الميت لا يلقن ومن سؤال الملكين يأمن
كرامة في غيرها لا يمكن طوبى لعبد في ثراها يدفن؟

جوابه يعلم من جواب شيخنا السابق لأنا معاشر أهل السنة لا نقطع لأحد بالجنة ولو دفن بقرب سيد الأمة صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن أبي الدنيا وأبو يعلى عن أنس رضي الله عنه قال استشهد رجل منا يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت هنيئاً لك يا بني الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم (ما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره)

---

(١)هو الإمام الولي الصالح الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي الملقب بسلطان العارفين ت ٧٠٤هـ ترجمه الجندي في السلوك ووصفه بالعلم والعبادة والمكاشفة وترجمه البدر الأهدل في تحفة الزمن والشرجي في طبقات الخواص، والوشلي في نشر الثناء الحسن رحمه الله رحمة الأبرار ولم أقف في ترجمته على هذه الدعوى أن من مات في اللحية لا يلقن ومن سؤال الملكين يأمن أو أن من زار اللحية أو سكنها كفي جهنم ونارها وغاية ما ذكر أنَّ من استجار من ظالم في قريته فضلاً عن تربته يكفي الله ذلك المستجير من الظلمة ببركة الشيخ الزيلعي.

Scanned by CamScanner

وعن أنس رضي الله عنه قال توفي رجل من الصحابة فقال رجل آخر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع أبشر بالجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أولا تدري فلعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه) رواه الترمذي وحسنه وقال الحافظ المنذري رواته ثقات (وتلقين الميت بعد الدفن مندوب فقط ولا إثم في تركه بالإجماع وسؤال القبر قد ثبت بالأحاديث الصحيحة القطعية فلا يستثنى منه إلا من استثناه الشارع الذي لا ينطق عن الهوى بنص صحيح صريح لا يقبل التأويل(١)

---

(١) والذين ورد أنهم لا يسألون في القبر بالسنة النبوية هم:
١- **من مات مرابطاً في سبيل الله**: أخرج مسلم في صحيحه عن سلمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرىٰ عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمِن الفتان) وأخرجه الترمذي وحسنه ولفظه (رباط يوم في سبيل الله أفضل وربما قال خير من صيام شهر وقيامه ومن مات فيه وقي فتنة القبر ونُمي له عمله إلىٰ يوم القيامة) وأخرج أبو داود من حديث فضالة بن عبيد أن رسول الله صلىٰ الله وسلم قال: كل ميت يختم علىٰ عمله إلا المرابط فإنه ينمو له عمله إلىٰ يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر وأخرجه الترمذي ولفظه كل ميت يختم علىٰ عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمىٰ له عمله إلىٰ يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر قال الترمذي حديث فضالة حديث حسن صحيح.

Scanned by CamScanner

٢- **الشهيد في سبيل الله**: وأخرج النسائي عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم أن رجلاً قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد قال كفىٰ ببارقة السيوف علىٰ رأسه فتنة وأخرج الترمذي عن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعة ويرىٰ مقعده من الجنة ويجارُ من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع علىٰ رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب وهل ذلك يختص بشهيد المعركة أم يعم كل شهيد رجح السيوطي في شرح الصدور التعميم في كل شهيد وجزم شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في كتابه بذل الماعون أن الميت بالطعن أي الطاعون لا يسئل لأنه نظير المقتول في المعركة وبأن الصابر في الطاعون محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب له إذا مات فيه بغير الطعن لا يفتن أيضاً لأنه نظير المرابط في سبيل الله قال السيوطي وهو متجه جداً ا.هـ.

٣- **من داوم على قراءة سورة الملك كل ليلة**: أخرج الترمذي عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم خباءه علىٰ قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتىٰ ختمها فأتىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني ضربت خبائي علىٰ قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتىٰ ختمها فقال رسول الله هي المانعة هي المنجية

Scanned by CamScanner

تنجيه من عذاب القبر قال أبو عيسىٰ هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وفي الباب عن أبي هريرة ثم ساق حديث أبي هريرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتىٰ غفر له وهي سورة تبارك الذي بيده الملك قال أبو عيسىٰ هذا حديث حسن.

٤- **من قتله بطنه**: أخرج النسائي عن عبد الله بن يسار قال كنت جالساً وسليمان صرد وخالد بن عرفطة فذكروا أن رجلاً توفي مات ببطنه فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهدا جنازته فقال أحدهما للآخر ألم يقل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من يقتله بطنه فلن يعذب في قبره فقال الآخر بلىٰ وأخرجه أحمد في مسنده.

٥- **من مات يوم الجمعة أو ليلتها**: أخرج الترمذي عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر قال الترمذي هذا حديث غريب وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول وأبو نعيم في الحلية قال السيوطي رحمه الله في شرح الصدور مبيناً لم لا يسأل من مات يوم الجمعة بقوله وذلك أن من مات يوم الجمعة له أجر شهيد فكان علىٰ قاعدة الشهداء في عدم السؤال كما أخرج أبو نعيم في الحلية عن جابر قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة أجير من عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء وأخرج حميد في ترغيبه عن إياس بن بكير أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال (من مات يوم الجمعة كتب له أجر شهيد ووقي

Scanned by CamScanner

فتنة القبر وأخرج من طريق ابن جريج عن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم أو مسلمة يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة إلاَّ وقي عذاب القبر وفتنة القبر ولقي الله ولا حساب عليه وجاء يوم القيامة ومعه شهود يشهدون له بالجنة أو طابع وهذا الحديث لطيف حسن صرح فيه بنفي الفتنة والعذاب معاً ا.هـ من شرح الصدور للحافظ السيوطي.

Scanned by CamScanner

قال الزيادي وسؤال القبر عام لكل مكلف ولو شهيداً إلا شهيد المعركة(١) ويحمل القول بعدم سؤال الشهداء ونحوهم ممن ورد فيهم الخبر بأنهم لا يسئلون على عدم الفتنة قال في البغية وسؤال الملكين عام لكل أحد إلا الأنبياء وشهداء المعركة والأطفال(٢) وما ورد من أن من واظب على قراءة تبارك الذي بيده الملك كل ليلة لا يسئل ونحوه يحمل على أنه يخفف عنه في الجواب بحيث أنه لا يفتن في الجواب وقال شيخ مشايخنا محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل ويسئل من مات برمضان يوم الجمعة أو ليلتها لعموم الأدلة القطعية التي بلغت مبلغ التواتر(٣)

---

(١) وقد عرفت أن هذه المسألة خلافية منهم من قصر الوارد على شهيد المعركة ومنهم من عمم في كل شهيد ورجحه السيوطي رحمه الله

(٢) في سؤال الأطفال خلاف ذهب الحنابلة في قول لهم إلى أنهم يسئلون وجزم به القرطبي وذهب الحنابلة في قول آخر إلى عدم السؤال وقال السيوطي هو الصحيح بل الصواب وقد جزم الشافعية بأن الطفل لا يلقن بعد الدفن وأن التلقين يختص بالبالغ وهو دليل على أن الأطفال لا يسئلون وقد أفتى بذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله وقال النسفي من علمائنا الحنفية في بحر الكلام الأنبياء وأطفال المؤمنين ليس عليهم حساب ولا عذاب القبر ولا سؤال منكر ونكير والله أعلم.

(٣) وقد عرفت أن الجماهير على استثناء سؤال من مات يوم الجمعة وليلتها.

Scanned by CamScanner

وقال الباجوري والراجح أن غير الأنبياء وشهداء المعركة يسئلون سؤالا خفيفاً وقيل إن الأنبياء يسئلون أيضاً عن جبريل والوحي الذي أنزل إليهم وقد قال صلى الله عليه وسلم (إن هذه الأمة تفتن في قبورها) رواه البخاري أي وما ذاك إلا لتوافي القيامة خفافاً وهذا من فضل الله ورحمته بهذه الأمة هذا و إذا فهمت هذا فمن أين لنا دليل قطعي على أن من مات باللحية لا يُسئل وهل يجوز تخصيص عموم الأحاديث النبوية الصحيحة القطعية القاضية بالسؤال بكلام غير المعصوم كلا والله إن هذا لشيء عجاب ومن أين عرفنا أن من زار اللحية أو سكن بها يسلم من النار ويستحق بذلك الجنة كلا والله حتى يلج الجمل في سم الخياط ولله در من قال:

ما العلم إلاّ كتاب الله والأثر ... وما سوى ذاك لا عين ولا أثر

إلا هوى وخصومات ملفقة ... فلا يغرنك من أربابها هدر

فعد عن هذيان القوم مكتفيا ... بما تضمنت الأخبار والسور

ولقد أحسن السمعاني حيث قال:

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ... ولا تك بدعياً لعلك تفلح

ولذ بكتاب الله والسنن التي ... أتت عن رسول الله تنجو وتربح

ودع عنك آراء الرجال وقولهم ... فقول رسول الله أزكى وأشرح

ولا تكُ من قوم تلَّهوا بدينهم ... فتطعن في أهل الحديث وتقدح

إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه ... فأنت على خير تبيت وتصبح

Scanned by CamScanner

وقد سئل شيخنا علامة اليمن عما شاع أن من حفظ اسم أبي يزيد البسطامي أو اسم الخضر وأمه وأبيه دخل الجنة فأجاب بقوله لا نقطع لأحد بالجنة ولو حفظ اسم الله الأعظم واسم نبيه المعظم وهذا رجم بالغيب لا ينبغي اعتقاده ففي الحديث الصحيح لما قالت أم العلاء الأنصارية لعثمان بن مظعون الصحابي الجليل رضي الله عنه حين مات فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك بأن الله قد أكرمه والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم قالت والله لا أزكي أحد بعده أبدا.

وقول السائل وما حكم الذين يجذبون ويطعنون في أبدانهم بالسلاح وكذا ما يحصل في بعض الطرايق من بعض المريدين من الشطح وأكلهم الجمر والريحان والأحجار وضرب أنفسهم.

جوابه قد سئل عن فعل هؤلاء العلامة الكبير أحمد بن عبدالله السانه الشافعي(١) فقال هؤلاء قوم همهم طلب المعاش فلا تعريج لهم على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا اتباع صالحي أمته فهم يرتكبون الحرام لأخذ حطام الدنيا ويكاد يخرج بهم ذلك والعياذ بالله إلى الخروج من الإسلام وأمورهم هذه لا يخلو جريانها على أيديهم إما أن يكون للاستدراج أو من السحر والشعبذة المبنية على التخييل وليس لفعلهم حقيقة لأنه ليس بسحر من كل وجه وأياً ما كان فهو فعل ضال

---

(١) أحد أعيان علماء الشافعية بزبيد توفي١١٢٢هـ.

Scanned by CamScanner

مضل خارج عن سنن الهدى إلى سنن الردى انتهى وسئل عن فعل هؤلاء أيضاً شيخ مشايخنا مفتى الديار اليمنية مؤلف الكواكب الدرية على متممة الأجرومية السيد محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل الشافعي(١)

فأجاب بقوله الأفعال المذكورة المحكية عن هؤلاء الحمقى الذين زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل كلها قبيحة لا يرضاها الشرع ولا يحمدها العقل السليم أما الذين يطعنون ويقولون هذا لابن علوان أو للجيلاني فهم قوم غلب عليهم الشر ولعل الله سبحانه علم منهم أنهم إن لم يشتغلوا بطعن أنفسهم أضروا بالخلق لما انطوت عليه ضمائرهم من العتو والفساد فيشغلهم الله تعالى بطعن أنفسهم عن أذية الخلق كرامة لذلك الولي الذي يلهجون بذكره وهم آثمون بفعلهم ذلك وإن لم يضرهم ذلك كرامة لذلك الولي إلا أن في فعلهم ذلك تلبيساً على عباد الله فيظن بهم من يراهم أنهم أولياء خصوا بذلك وهم بغير تلك الصفة لغلبة الفسق عليهم لتركهم رأس الدين وهو الصلاة في أكثر الأوقات كما هو مشاهد منهم أو يظن أنهم سحرة فيسيء الظن بهم وهم ليسوا بسحرة ولا يحسنون السحر وأما الذين يجذبون ويأكلون النار والريحان والأحجار ويضربون أنفسهم فهم أيضاً آثمون بتعاطيهم لأمور لم يرد الشرع بحلها إذ أكل النار مضر بالبدن والعقل وما كان كذلك فأكله حرام والريحان يأكلونه على وجه يضر بالبدن كما قد شوهد ذلك منهم وحينئذ يتعين على من رأى منهم

---

(١) أحد أعيان علماء الشافعية بالمراوعة توفي ١٢٩٨ هـ.

Scanned by CamScanner

شيئاً من ذلك أن ينكر عليهم ثم لا شك أنهم عند أكلهم لتلك النيران والريحان ونحوها تخالطهم وتمازجهم أرواح شيطانية ولتلك الأرواح تكون تلك الأفعال الخبيثة وهذا غير مستبعد بل الذي يدل عليه حالهم عند أكلهم هو ذاك إذ هم حال أكلها لا شعور لهم ولا إحساس ولا يتألمون بها ولا تضرهم وكل ذلك شاهد قوي على مخالطة الشياطين لهم لأن الأنفس الشريرة لها اتصال تام بالأرواح الشيطانية كما أن أرواح الملائكة ملازمة للأنفس الطاهرة المقدسة بحيث إنها تصحبها في أغلب أحوالها ولذا يحصل لها ملكة التحيز والطيران كما يحصل للملائكة وتعينها بالنفث في الروع وتمدها بالقوى عند محاولة قلع بعض الأجسام العظيمة التي لا يقدر العدد الكثير من بني آدم على قلعه إلى غير ذلك من الشواهد على صدق ما قلناه والحاصل أنها أفعال غير محمودة وليس بكرامة لمن فعلها لفقد شرطها وهو الاستقامة بل الطعن كرامة لا بن علوان وقد تكون لغيره وأكل النيران وعدم التضرر بأكلها كرامة للشيخ العمودي أو الجيلاني أو لغيرهما من الأولياء ومعنى كون ذلك كرامة للولي أن الله يشغل بذلك الفعل بعض أتباعه أو زواره لئلا يشغل الناس بشره فيعود ضرره على نفسه لا على غيره لطفاً من الله بخلقه إذ ضرر الواحد أهون من أضرار الكثير ولا شك في مخالطة الجن لهم حال أكلهم الريحان والنيران كما قررناه أولاً ولا بعد في ذلك وعلى كل حال فالإنكار عليهم متعين انتهى جواب شيخ مشايخنا وقال شيخنا علامة اليمن(١) في أثناء جواب له على أفعال أصحاب الحضرة وما يحصل

---

(١) السيد محمد بن عبد الرحمن الأهدل المروعي توفي١٣٥٢هـ.

Scanned by CamScanner

فيها من النشيد من المرد والتصفيق والجذب والطعن وأكل الحيات وغير ذلك ولا يخفى أن هذه الأفعال كلها لم تكن في القرون الثلاثة بل هي من البدع التي لم يحمدها الشرع وقد قال صلى الله عليه وسلم (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وفي رواية (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) رواه مسلم أي من فعل فعلاً لم يكن في زمن صاحب الشريعة ولا دل الكتاب والسنة على مشروعيته فهو مردود على صاحبه غير مقبول منه وقال صلى الله عليه وسلم (أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وإن أفضل الهدى هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار(١)) أي صاحبها فالتقرب إلى الله عز وجل والتعبد إنما يكون بهديه صلى الله عليه وسلم وطريقته وشرعه لا بالقصف والرقص والتصفيق والصراخ واللهو والغنا من الصبيان المرد فإن كل ذلك من رعونات النفس ومحبوباتها وشهواتها وصاحب ذلك مغرور مخدوع غاش للجهال أولئك ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ (الكهف).

---

(١) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه ورواه مسلم من حديث جابر بلفظ أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة)

Scanned by CamScanner

وأما الطعن وأكل النيران وضرب الرأس بالأحجار فقال العلامة الفُلاَّني المغربي إن كان من يصدر منه ذلك من أهل الاستقامة فهي كرامة لذلك وإن لم يكن من أهل الاستقامة فهو من الاستدراج لا من قبيل الكرامة إذ شرطها الاستقامة على حدود الله وجزم شيخنا العلامة الكبير محمد بن أحمد الأهدل بأن جميع ما يفعله المجاذيب من الطعن والضرب وأكل النيران ونحوها كرامة للولي يشغل الله بها ذلك الفاعل كي لا يؤذي الناس بشره وأما أكلهم الحيات فهو مما ينادي على ضلالهم وفسقهم فإن أكل الميتة حرام بالإجماع ولا تكون الكرامة بمعصية الله بإجماع الأمة انتهى ما أردت نقله من جواب شيخنا علامة اليمن والله سبحانه وتعالى أعلم.

وسئل شيخ الإسلام عماد الدين يحي بن إبراهيم المزجاجي الحنفي(١) عن إقامة الحضرة المشتملة على السماع من الصبيان والمرد والرقص والتصفيق والوجد والبدع المشاهدة منهم في هذا الزمان فأجاب بقوله الحمد لله اعلم أيها السائل أرشدني الله وإياك للسلوك قال في التبر المسبوك شرح تحفة الملوك ويجب منع الصوفية الذين يدعون الوجد والمحبة عن رفع الصوت وتمزيق الثياب لأن ذلك حرام عند سماع القرآن فكيف عند سماع الغناء الذي هو حرام خصوصاً في هذا الزمان الذي اشتهر فيه الفسق وظهرت فيه أنواع البدع واشتهرت منهم طائفة تحلوا بحلية العلماء وتزيوا بزي الصالحين والحال أن قلوبهم ملأى من الشهوات والأهواء الفاسدة وهم في الحقيقة ذياب في ثياب

---

(١) أحد أعيان علماء الحنفية بزبيد توفي سنة ١٣٠٤ هـ.

Scanned by CamScanner

نعوذ بالله من شرهم فالعجب منهم أنهم يدعون محبة الله ويخالفون سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لأنهم يصفقون ويصعقون ويرقصون ويطربون وكل ذلك جهل منهم فمن ادعى محبة الله وخالف سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو كذاب وكتاب الله يكذبه ولا شك في ذلك وأيضاً أنهم لا يعرفون ما الله عز وجل ولا يدرون ما محبة الله تعالى وهم قد يصورون في أنفسهم الخشية صورة معشقة وخيال فاسد فيظهرون بذلك وجداً عظيماً وبكاء جسيماً وحركات مختلفة وبعبعة عظيمة والأزباد تنزل من أفواههم حتى أن الجهال والحمقى من العامة يعتقدونهم ويلازمونهم وينسبون أنفسهم إليهم ويتركون شريعة الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فما هم إلا في الدعاوى الفاسدة والأقوال الكاسدة أعاذنا الله وإياكم من شر هؤلاء الطائفة ومن شر الجِنة والناس انتهى جواب المزجاجي(١).

---

(١) نص فقهاء الشافعية والحنابلة في باب التعزير على أنه يعزر من يمسك الحيّة ويدخل النار ويقوم بنحو ذلك من أعمال الشعبذة.

أقول: وبه يقول الحنفية والمالكية.

وقرر الحنابلة في كتبهم: أن إمساك الحيّة محرم وجناية لأنه إلقاء بالنفس إلى الهلاك قال تعالى ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (البقرة:١٩٥).

Scanned by CamScanner

فلو قتلت الحيّة ممسكها من مدّعي المشيخة ونحوه فهو قاتل نفسه لأنه فعل بها ما يقتلُ غالباً.

وأما إمساك الحية مع الظن أنها لا تقتل فشبه عمد بمنزلة من أكل حتىٰ بَشِم فإنه لم يقصد قتل نفسه ونظير ذلك ما يقتل غالباً من المشي في الهواء علىٰ الحبال ونحو ذلك مما يفعله أرباب البطالة والشطارة وتحرم إعانتهم علىٰ ذلك وإقرارهم عليه.

قال الإمام العطار من الشافعية: وأما نزول النيران فلا يحل أصلاً إن كان حالاً صحيحاً فكيف إن كان شعبذة فإن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم استعاذ من النار وقال في حق أولئك الأقوام (لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا) رواه البخاري في صحيحه.

وقال ابن الحاج المالكي في المدخل: ومنهم من يظهر الكرامة بإمساك الثعابين والأنس بها وهذا فيه ما فيه من مخالفة الشرع الشريف والتمويه علىٰ الأمة بما لا حقيقة له إذ إن مثل ذلك يفعله كثير من الناس لمعيشتهم فكيف يُعَدُّ كرامة؟

ومن ذلك أيضاً ما يفعلونه من أكلهم الثعابين بالحياة بمرأىٰ من الناس وذلك محرم أي لو كان صحيحاً لأن أكلها لا يجوز إلاَّ بعد تذكيتها عند من يرىٰ أكلها وهم يأكلونها من غير تذكية بل يؤدبون علىٰ كل أكلة من أكلاتهم تأديباً بليغاً رادعاً ثم إن كان ذلك من غير حقيقة

Scanned by CamScanner

فهو من صنعة النارنجيات والسيمياء وما شاكلها وليس من باب الكرامة في شيء ا.هـ.

وقال ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى: أكل الخبائث وأكل الحيات والعقارب حرام بإجماع المسلمين فمن أكلها مستحلاً لذلك فإنه يستتاب فإن تاب وإلاَّ قتل ومن اعتقد التحريم وأكلها فإنه فاسق عاصٍ لله ورسوله فكيف يكون رجلاً صالحاً؟

ولو ذكى الحية لكان أكلها بعد ذلك حراماً عند جماهير العلماء **لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال** (خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والعقرب والحدأة والفأرة والكلب العقور) فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل ذلك في الحل والحرم وسمّاهن فواسق لأنهن يفسقن أي يخرجن على الناس ويعتدين عليهم فلا يمكن الاحتراز منهن كما لا يحترز من السباع العادِية فيكون عدوان هذا أعظم من عدوان كل ذي ناب من السباع وهن أخبث وأحرم.

وأما الذين يأكلونها ويجعلون ذلك من باب كرامات الأولياء فهم أشرُّ حالاً ممن يأكلها من الفساق لأن كرامات الأولياء لا تكون مما نهى الله عنه ورسوله من أكل الخبائث كما لا تكون بترك الواجبات ا.هـ.

Scanned by CamScanner

وقال العز بن عبد السلام رحمه الله في قواعد الأحكام: الشرع ميزان يوزن به الرجال وبه يتيقن الربح من الخسران فمن رجح في ميزان الشرع كان من أولياء الله.

وتختلف مراتب الرجحان ومَن نقص في ميزان الشرع فأولئك أهل الخسران وتتفاوت خفتهم في الميزان وأخسها مراتب الكفار ولا تزال المراتب تتناقص حتى تنتهي إلى منزلة مرتكب أصغر الصغائر.

فإذا رأيت إنساناً يطير في الهواء ويمشي على الماء أو يخبر بالمغيبات ويخالف الشرع بارتكاب المحرمات بغير سبب محلل أو يترك الواجبات بغير سبب مُجَوَّز فاعلم أنه شيطان نصبه الله فتنة للجهلة وليس ذلك ببعيد من الأسباب التي وصفها الله للضلال فإن الدجال يحيي ويميت فتنة لأهل الضلال وكذلك يأتي الخربة فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل وكذلك يظهر للناس أن معه جنة وناراً فناره جنة وجنته نار.

وكذلك من يأكل الحيات ويدخل النيران فإنه مرتكب الحرام بأكل الحيات وفاتن للناس بدخول النيران ليعتقدوا به في ضلالته ويتابعوه على جهالته ا.هـ.

Scanned by CamScanner

وقال ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى: وإنما هذه المخارق التي يفعلها هؤلاء المبتدعون من الدخول في النار وأخذ الحيات وإخراج اللاذن والسكر والدم وماء الورد هي نوعان:

■ **أحدهما**: أن يفعلوا ذلك بحيل طبيعية مثل أدهان معروفة يدهنون ويمشون في النار ومثل ما يشربه أحدهم مما يمنع سمّ الحيّة مثل أن يمسكها بعنقصتها حتىٰ لا تضره ومثل أن يمسك الحيّة المائية ومثل أن يسلخ جلد الحيّة ويحشوه طعاماً وكم قتلت الحيات من أتباع هؤلاء ومثل أن يمسح جلده بدم أخوين فإذا عرق في السماع ظهر منه ما يشبه الدم ويصنع لهم أنواعاً من الحيل والمخادعات.

■ **النوع الثاني**: وهم أعظمُ عندهم أحوال شيطانية تعتريهم عند السماع الشيطاني فتنزل الشياطين عليهم كما تدخل في بدن المصروع ويزبد أحدهم كما يزبد المصروع وحينئذٍ يباشر النار والحيات والعقارب ويكون الشيطان هو الذي يفعل ذلك كما يفعل ذلك من تقترن به الشياطين من إخوانهم الذين هم شر الخلق عند الناس من الطائفة التي تطلبهم الناس لعلاج المصروع وهم من شر الخلق عند الناس فإذا طلبوا تحلوا بحلية المقاتلة ويدخل فيهم الجن فيحارب مثل الجن الداخل في المصروع ويسمع الناس أصواتاً ويرون حجارة يرمىٰ بها ولا يرون من يفعل ذلك ويرىٰ الإنسي واقفاً علىٰ رأس الرمح الطويل وإنما الواقف هو الشيطان ويرىٰ الناس ناراً تحمىٰ ويضع فيها الفؤوس والمساحي ثم إن الإنسي لحسها بلسانه وإنما يفعل ذلك الشيطان الذي دخل فيه ويرىٰ الناس هؤلاء يباشرون الحيات والأفاعي وغير ذلك.

Scanned by CamScanner

ويفعلون من الأمور ما هو أبلغ مما يفعله هؤلاء المبتدعون الضالون المكذبون الملبسون الذين يدّعون أنهم أولياء الله وإنما هم من أعاديه المضيعين لفرائضه المتعدين لحدوده والجهال لأجل هذه الأحوال الشيطانية والطبيعية يظنوهم أولياء الله وإنما هذه الأحوال من جنس أحوال أعداء الله الكافرين والفاسقين.

ولا يجوز أن يعان هؤلاء على ترك المأمور ولا فعل المحظور ولا إقامة مشيخة تخالف الكتاب والسنة ولا أن يعطى رزقه على مشيخة يخرج بها من طاعة الله ورسوله وإنما يعان بالأرزاق من قام بطاعة الله ورسوله ودعا إلى طاعة الله ورسوله.

وقال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام: قد صنف شيخنا ابن تيمية غير رسالة في أن أحوال هؤلاء وأشباههم شيطانية ومن هذه الأحوال الشيطانية التي تضل العامة أكل الحيات ودخول النار والمشي في الهواء ممن يتعانى المعاصي ويُخِلُ بالواجبات.

فنسأل الله العون على اتباع الصراط المستقيم وأن يكتب الإيمان في قلوبنا وأن يؤيدنا بروح منه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

Scanned by CamScanner

وقد يجيء الجاهل فيقول اسكت لا تتكلم في أولياء الله ولم يشعر أنه هو الذي تكلم في أولياء الله وأهانهم إذ أدخل فيهم هؤلاء الأوباش المجانين أولياء الشياطين قال تعالىٰ ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ (الأنعام:١٢١) ثم قال ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ (الأنعام).

وما اتبع الناس الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب إلاَّ لإخبارهما بالمغيبات ولا عبدة الأوثان إلَّا لذلك ولا ارتبط خلق بالمنجمين إلاَّ لشيء من ذلك مع أن تسعة أعشار ما يحكىٰ من كذب الناقلين.

وبعض الغفلاء تراه يخضع للمولهين والفقراء والنصابين لما يرىٰ منهم وما يأتي به هؤلاء يأتي بمثله الرهبان فلهم كشوفات وعجائب ومع هذا فهم ضلال من عبدة الصلبان فأين يُذهبُ بك؟

ثبتنا الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الأخرىٰ وإياك ا.هـ.

Scanned by CamScanner

وقال شيخنا علامة اليمن وإقامة الحضرة على الهيئة المشاهدة في هذا الزمان حرام وفي المسجد أشد حرمة لقول النبي صلى الله عليه وسلم إنما بنيت المساجد لما بنيت له(١) أي من الذكر والعبادة لا سيما إذا شغل متعبدا ولقد أحسن من قال:

يا طالب العلم صارم كل بطال وكل غاو إلى الأهواء ميال
واعمل لعلمك سرا وعلانية ينفعك يوما على حال من الحال
خذ ما أتاك من الأخبار من أثر شبهاً بشبه وأمثالاً بأمثال
ولا تميلن يا هذا إلى بدع تضل أصحابها بالقيل والقال
ألا فكن أثريا خالصاً فهما تعش حميداً ودع آراء ضلال

وقول السائل وهل أصحاب الكرامات من الأولياء أفضل ممن ليس له كرامات منهم؟

جوابه لا يلزم أن يكون كل من له كرامة من الأولياء أفضل ممن ليس له كرامة منهم فقد يكون من ليس له كرامة منهم أفضل من بعض من له كرامة لأن الكرامة قد تكون لتقوية يقين صاحبها ودليلاً على صدقه وعلى فضله لا على أفضليته وإنما الأفضلية تكون بتقوى الله وقوة اليقين وكمال المعرفة بالله عز وجل قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(الحجرات:١٣)

---

(١) رواه مسلم.

Scanned by CamScanner

وقال الجنيد قد مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش رجال أفضل منهم يقيناً ولأنَّ الكرامة قد تقع لكثير من المحبين والزهاد ولا تقع لكثير من العارفين والمعرفة أفضل من المحبة عند الأكثرين وأفضل من الزهد عند الكل فكل من كان أتقى لله وأقوى يقيناً وأكمل معرفة كان أفضل فالاستقامة خير من ألف ألف كرامة.

Scanned by CamScanner

وقول السائل وهل يجوز الحلف بالأنبياء والأولياء؟

جوابه لا ينبغي الحلف بغير الله تعالى قال ابن مسعود رضي الله عنه لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليَّ من أحلف بغيره صادقاً(١) وقال صلى الله عليه وسلم (من حلف بغير الله فقد أشرك) رواه أحمد والترمذي قال المناوي أي فعل فعل أهل الشرك إذ كانت أيمانهم بآبائهم وما يعبدون قال بعض المحققين وحمل بعضهم الحديث على الزجر والتغليظ وليس كذلك فإنه على ظاهره حيث يحلفون بهم معتقدين فيهم أنهم يضرونهم في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وتراهم يتجاسرون بالحلف بالله ولا يتجاسرون على الحلف بهم لاعتقادهم أن من حلف بولي حانثاً يضره في بدنه وماله وأولاده نعوذ بالله من هذا الاعتقاد(٢)

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير وإسناده صحيح.

(٢) جاء الإسلام وأهل الجاهلية يحلفون بآلهتهم على جهة العبادة والتعظيم لها مضاهاة لله سبحانه وتعالى عما يشركون كما قال الله عز وجل واصفاً لحالهم ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (البقرة) فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك حماية لجناب التوحيد فقال صلى الله عليه وسلم (من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي أي قال قولا شابه به المشركين لا أنه خرج بذلك من الملة والعياذ بالله

Scanned by CamScanner

فإن العلماء متفقون على أن الحالف بغير الله لا يكون كافراً حتى يعظِّم ما يحلف به كتعظيم الله تعالى وكفره حينئذ من جهة التعظيم لا من جهة الحلف نفسه فافهم وكذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشبه بأهل الجاهلية في حلفهم بآبائهم افتخاراً بهم وتقديساً لهم وتقديماً لأنسابهم على أخوة الإسلام جاعلين ولاءهم وعداءهم على ذلك فقال صلى الله عليه وسلم (ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله وإلاَّ فليصمت) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وعلة هذا النهي قد بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الآخر الذي أخرجه أحمد والترمذي (لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي الناس كلهم بنوا آدم وآدم خُلِق من تراب) وفي القرآن قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾(البقرة:٢٠٠) قال المفسرون كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم فيقول الرجل منهم كان أبي يطعم ويحمل الحمالات ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم أما الحلف بما هو معظم في الشرع كالنبي صلى الله عليه وسلم والإسلام والكعبة فلا مشابهة فيه لحلف المشركين بوجه من الوجوه وإنما منعه من منعه من العلماء أخذاً بظاهر عموم النهي عن الحلف بغير الله وأجازه من أجازه كالإمام أحمد بن حنبل في أحد قوليه رضي الله عنه وتعليل ذلك بأنه صلى الله عليه وسلم أحد ركني الشهادة التي لا تتم إلا به

Scanned by CamScanner

لأنه لا وجه فيه للمضاهاة بالله تعالىٰ بل تعظيمه بتعظيم الله له وظاهر عموم النهي عن الحلف بغير الله تعالىٰ غير مراد قطعاً لإجماعهم علىٰ جواز الحلف بصفات الله تعالىٰ فهو عموم أريد به الخصوص وفي فتح الباري للحافظ ابن حجر قال ابن المنذر اختلف أهل العلم في معنىٰ النهي عن الحلف بغير الله فقالت طائفة هو خاص بالأيمان التي كان أهل الجاهلية يحلفون بها تعظيماً لغير الله تعالىٰ كاللات والعزىٰ والآباء فهذه يأثم الحالف بها ولا كفارة فيها وأما ما كان يؤول إلىٰ تعظيم الله كقوله وحق النبي والإسلام والحج والعمرة والهدي والصدقة والعتق ونحوها مما يراد به تعظيم الله والقربة فليس داخلاً في النهي وممن قال بذلك أبو عبيد وطائفة ممن لقيناه واحتجوا بما جاء عن الصحابة من إيجابهم علىٰ الحالف بالعتق والهدي والصدقة ما أوجبوه مع كونهم رأوا النهي المذكور فدل علىٰ أن ذلك عندهم ليس علىٰ عمومه إذ لو كان عاماً لنهوا عن ذلك ولم يوجبوا فيه شيئاً ا.هـ وهنا مسألة مهمة يكثر الخلط فيها ويكثر السؤال عنها وهي مسألة الترجي أو تأكيد الكلام بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم أو بغيره مما لا يقصد به حقيقة الحلف مثل بحجر الإمام ومثل جاه الله عليك ومثل وحياة نظري ومثل وغلاوة أمك ومثل ورأس أولادي ومثل يكون هذا آخر زادي وما شابه ذلك من الألفاظ مثل الله والنبي فهذا من باب الترجي لا من باب الحلف فلا يدخل في النهي أصلاً بل هو أمر جائز لا حرج فيه حيث ورد نظيره في كلام النبي صلىٰ الله عليه وسلم وكلام الصحابة الكرام رضي الله عنهم فمن ذلك ما رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال

Scanned by CamScanner

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم (أما وأبيك لتنبأنه أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء وحديث الرجل النجدي الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام وفي آخره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أفلح وأبيه إن صدق) أو دخل الجنة وأبيه إن صدق رواه مسلم وأبو داود وفي صحيح مسلم وسنن ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله نبئني بأحق الناس مني بحسن الصحبة فقال نعم وأبيك لتُنبأنَّ أمك) وعند أحمد في مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بطعام من خبز ولحم فقال ناولني الذراع فَنُوِول ذراعاً فأكلها ثم قال ناولني الذراع فَنُوِول فأكلها ثم قال ناولني الذراع فقال يا رسول الله إنما هي ذراعان فقال صلى الله عليه وسلم وأبيك لو سكت ما زلت أناول منها ذراعاً ما دعوتُ به وعند أحمد في مسنده عن أبي العشراء عن أبيه قال قلت يا رسول الله أما تكون الذكاة إلا في الحلق أو اللّبة؟ فقال وأبيك لو طعنت في فخذها لأجزأتك وجاء في قصة الأقطع الذي سرق عقداً لأسماء بنت عميس رضي الله عنهما أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال له وأبيك ما ليلك بليل سارق أخرجه مالك في الموطأ والشافعي في مسنده وجاء في الصحيحين قول امرأة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما (لا وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات) تعني طعام أضيافه وفي كلام الله عز وجل قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾

Scanned by CamScanner

(النساء) على قراءة جر الأرحام ما يدل على صحة ما قررناه فقد روى الطبري بسنده إلى إبراهيم في تفسيرها قال يقول الرجل أسألك بالله والرحم وروى الطبري بسنده إلى مجاهد هذا قول الرجل أسألك بالله وبالرحم وروى الطبري بسنده إلى الحسن البصري هو قول الرجل أنشدك بالله والرحم قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم ليس هذا حلفاً وإنما هو كلمة جرت عادة العرب أن تدخلها في كلامها غير قاصدة بها حقيقة الحلف والنهي إنما ورد بمن قصد حقيقة الحلف لما فيه من إعظام المحلوف به ومضاهاته بالله سبحانه وتعالى فهذا هو الجواب المرضي وقال البيضاوي هذا اللفظ من جملة ما يزاد في الكلام لمجرد التقرير والتأكيد ولا يراد به القسم كما تزاد صيغة النداء لمجرد الاختصاص دون القصد إلى النداء نقله الحافظ في الفتح ومن هنا تعرف أنَّ ثمة فرقاً بين الحلف والترجي فالحلف بالمخلوق منهي عنه والترجي وتأكيد الكلام بسيدنا النبي صلى الله عليه وسلم أو آل البيت أو غير ذلك من ألفاظ الترجي مما لا يقصد به حقيقة الحلف أمر مشروع وجائز لا حرج على فاعله لوروده في كلام النبي صلى لله عليه وسلم وكلام الصحابة رضي الله عنهم وجريان عادة الناس عليه بما لا يخالف الشرع الشريف وليس هو حراماً ولا شركاً والله أعلم.

Scanned by CamScanner

ولهذا(١) كتب في حق عموم أهل السنة والجماعة الفرقة الوهابية(٢) رسائل عديدة في إشراكهم حتى أنهم يعبرون عنا معاشر أهل السنة والجماعة بالمشركين وإذا تمكنوا بواحد منا قالوا اقتلوا المشرك(٣)

---

(١)ولهذا الاعتقاد الفاسد الذي وجد عند بعض العوّام الجهال كتبت الفرقة الوهابية رسائل عديدة في تكفير عموم أهل السنة والجماعة وهذا خطأ عظيم إذ لا يجوز التعميم في موطن التخصيص.

(٢)نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب النجدي توفي١٢٠٦هـ وأقرب تعريف بالوهابية هو قول العلامة سليمان بن عبد الوهاب النجدي وهو أعرف الناس بأخيه قال اليوم ابتلي الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنة ويستنبط علومها ولا يبالي من خالفه ومن خالفه فهو عنده كافر هذا وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال الاجتهاد ولا والله ولا عشر واحدة ومع هذا راج كلامه على كثير من الجهال فإنا لله وإنا إليه راجعون ا.هـ من الصواعق الإلهية لسليمان بن عبد الوهاب رحمه الله.

(٣)ونصوصهم في تكفير أهل السنة كثيرة منها على سبيل المثال قول حفيد محمد بن عبد الوهاب النجدي عبد الرحمن حسن النجدي في الدرر السنية في الأجوبة النجدية في الأشاعرة الذين هم سواد الأمة الأعظم وهم أهل السنة والجماعة ما نصه (وهذه الطائفة التي تنسب إلى أبي الحسن الأشعري وصفوا رب العالمين بصفات المعدوم والجماد فلقد أعظموا الفرية على الله وخالفوا أهل الحق من السلف والأئمة

Scanned by CamScanner

وأتباعهم وخالفوا من ينتسبون إليه فإن أبا الحسن الأشعري صرح في كتابه الإبانة والمقالات بإثبات الصفات فهذه الطائفة المنحرفة عن الحق قد تجردت شياطينهم لصد الناس عن سبيل الله فجحدوا توحيد الله في الإلهية وأجازوا الشرك الذي لا يغفره الله فجوزوا أن يعبد غيره من دونه وجحدوا توحيد صفاته بالتعطيل فالأئمة من أهل السنة وأتباعهم لهم المصنفات المعروفة في الرد على هذه الطائفة الكافرة المعاندة كشفوا فيها كل شبهة لهم وبينوا فيها الحق الذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله وما عليه سلف الأمة وأئمتها من كل إمام رواية ودراية ا.هـ ومن شهادة العلماء على محمد بن عبد الوهاب وأتباعه بتكفيرهم مخالفيهم أكتفي بنقل شهادتين:

الأولى: لخاتمة المحققين العلامة ابن عابدين الحنفي في رد المحتار مطلب في أتباع ابن عبد الوهاب الخوارج في زماننا قوله ويكفرون أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم علمت أن هذا غير شرط في مسمى الخوارج بل هو بيان لمن خرجوا على سيدنا علي رضي الله عنه وإلا فيكفي فيهم اعتقاد كفر من خرجوا عليه كما وقع في زماننا من أتباع محمد بن عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون وأنَّ من خالف اعتقادهم مشركون واستباحوا بذلك قتل أهل السنة وقتل علمائهم حتى كسر الله شوكتهم وخرب بلادهم وظفر بهم عسكر المسلمين عام ١٢٣٣هـ ا.هـ.

Scanned by CamScanner

الشهادة الثانية: لمفتي الحنابلة محمد بن عبدالله النجدي ت ١٢٩٥هـ في كتابه السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ولم يترجم فيه لمحمد بن عبد الوهاب لأنه لا يعده من العلماء المعتبرين ولكن ترجم لوالده العلامة عبد الوهاب بن سليمان النجدي فقال في ترجمته ما نصه وهو والد محمد صاحب الدعوة التي انتشر شررها في الآفاق لكن بينهما تباين مع أن محمداً لم يتظاهر بالدعوة إلاَّ بعد موت والده وأخبرني بعض من لقيه عن بعض أهل العلم عمن عاصر الشيخ عبد الوهاب هذا أنه كان غضبان على ولده محمد لكونه لم يرض أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته ويتفرس فيه أن يحدث منه أمراً فكان يقول للناس يا ما ترون من محمد من الشر فقدر الله أن صار ما صار وكذلك ابنه سليمان أخو الشيخ محمد كان منافياً له في دعوته ورد عليه رداً جيداً بالآيات والآثار لكون المردود عليه لا يقبل سواهما ولا يلتفت إلى كلام عالم متقدماً أو متأخراً كائناً من كان غير الشيخ تقي الدين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فإنه يرى كلامهما نصاً لا يقبل التأويل ويصول به على الناس وإن كان كلامهما على غير ما يفهم وسمّى الشيخ سليمان رده على أخيه فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب وسلّمه الله من شره ومكره مع تلك الصولة الهائلة التي أرعبت الأباعد فإنه كان إذا باينه أحد ورد عليه ولم يقدر على قتله مجاهرة يرسل إليه من يغتاله في فراشه أو في السوق ليلاً لقوله بتكفير من خالفه واستحلاله قتله وقيل إنَّ مجنوناً كان في بلده ومن عادته أن يضرب من واجهه ولو بالسلاح فأمر محمد أن يعطى سيفاً ويدخل على أخيه الشيخ سليمان

Scanned by CamScanner

وهو في المسجد وحده فأُدخِلَ عليه فلما رآه الشيخ سليمان خاف منه فرمى المجنون السيف من يده وصار يقول يا سليمان لا تخف إنك من الآمنين ويكررها مراراً ولا شك أن هذه من الكرامات ا.هـ.

فائدة: من أوائل اليمانيين الذين ردوا على محمد بن عبد الوهاب النجدي بدعته العلامة محمد بن ناصر الحازمي اليمني ت١٢٨٣هـ له رسالة في مشاجرة بين أهل مكة وأهل نجد في العقيدة وهي مخطوطة والله أعلم.

Scanned by CamScanner

والمصيبة العظمى من بعض الفقهاء الذين يأمرون العوام عند توجه الحلف عليهم بالحلف بالولي ويقولون إن فيه إظهار الحق فانظر كيف يتوسلون إلى إظهار الحق الدنيوي بضياع الدين من أصله فلا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

تنبيه:

قال البجيرمي في حواشي الإقناع ما يفعله بعض العوام من طلب الخصم ليحلف له عند قبر ولي لا أصل له ولا يعد بامتناعه ناكلاً بل الظاهر حرمة ذلك وقال الأشخر ولا يغلظ بمشاهد الأولياء وإنما يغلظ بما ذكره العلماء وقد صرح في التحفة بأن نحو المريض لا يغلظ بالمكان وهو نحو منبر الجامع قال وهو حينئذ حرام قلت ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (الحديد:٤) والله هو المحلوف به بكل مكان وإنما نشأ هذا ممن لا يقدر الله حق قدره واعلم أن بيان الأحكام الشرعية مما يجب على العلماء وليس فيما ذكرته تنقيص الولي كما يظنه بعض من لا خلاق له بل هذا مما يرضي الولي ولو كان حياً وسئل عن ذلك لأجاب بالحق وأغضبه نسبة التأثير له وتأمل قوله تعالى في حق سيدنا عيسى عليه السلام ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ (الزخرف:٥٩) والله الهادي.

Scanned by CamScanner

وقول السائل بينوا حكم النذر للأنبياء والأولياء مع البسط في ذلك؟

جوابه قال في الفتاوي الكاملية(١) وغيرها من كتب المذاهب ولا يخفى ما حصل لكثير من العوام بسبب تعظيم قبور الأولياء وإرخاء الستور عليها من الضرر العظيم في اعتقادهم فإنهم يعتقدون في الأولياء التأثير مع الله تعالى حتى أنهم تركوا النذر لله عز وجل وهو مشروع وأكثروا من النذر للأولياء والتقرب إليهم وتركوا الحلف بالله جل وعلا حتى صار عندهم كالعدم ولا يتجاسرون على الحلف بهم لاعتقادهم أن من حلف بولي حانثاً يضره في بدنه وماله وأولاده نعوذ بالله من هذا الاعتقاد إذا عرفت هذا فاعلم أن النذر للأنبياء والأولياء وصلحاء الأمة باطل حرام لأن النذر إنما يكون لله تعالى وأما النذر الذي ينذره أكثر العوام كأن يقول يا سيدي فلان يعني به ولياً من الأولياء أو نبياً من الأنبياء إن رد غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب أو الفضة أو الطعام أو الشمع أو الزيت كذا أو أذبح لك كبشاً فهو باطل بالإجماع لأنه نذر لمخلوق وهو لا يجوز لأن النذر عبادة فلا تكون لمخلوق والمنذور له ميت والميت لا يملك وإن

---

(١) هذا الكلام منقول من الفتاوي الكاملية للعلامة محمد كامل الطرابلسي الحنفي وفيه بعد ما ذكر والعبد الفقير لا ينكر ولاية الأولياء وكراماتهم نفعنا الله تعالى بهم وبأسرارهم أجمعين ولكن أُحذِّر من اعتقاد أنهم يؤثرون مع الله تعالى ومما يوصل إلى ذلك من الحلف بغيره تعالى والله تعالى الموفق ا.هـ ص٢٦٤.

Scanned by CamScanner

ملك بل إنه إن اعتقد أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى كفر اللهم إلاَّ إن قال اللهم يا الله إني نذرت لك إن شفيت مريضي أو قضيت حاجتي أن أطعم الفقراء الذين بمقبرة الأهدل أو الخزان أو الشيخ صديق أو أشتري حصراً لمساجدهم أو زيتاً لوقودها أو دراهم لمن يقوم بشعائرها إلى غير ذلك مما يكون فيه نفع للفقراء والنذر لله عز وجل وذكر الشيخ إنما هو محلٌ لصرف النذر لمستحقيه القاطنين برباطه أو مسجده فيجوز بهذا الاعتبار ويصرف للفقراء خاصة ولا يجوز صرفه لغني ولو كان ذا نسب بذلك الولي مالم يكن فقيراً إذ مصرف النذر الفقراء ولم يثبت في الشرع صرفه للأغنياء قال ابن عابدين ويحرم النذر للمخلوق ولا ينعقد ولا تشتغل الذمة به لأنه حرام ولا يجوز لخادم الشيخ أخذه إلا أن يكون فقيرا أو له عيال فقراء عاجزون فيأخذونه على سبيل الصدقة المبتدأة وأخذه أيضاً مكروه ما لم يقصد به الناذر التقرب إلى الله تعالى وصرفه إلى الفقراء ويقطع النظر عن نذر الشيخ ويجوز الصرف لغير الخادم والمنتسب إلى الشيخ والقاطن بمحله ولو كانوا فقراء لأن الفقير لا يتعين وليس لهم نزعه من الفقير الآخر إلا إذا كان الناذر عينه في نذره وكان فقيراً كما في الفتاوى الكاملية(١) من كتب الحنفية والله أعلم.

---

(١)ص٢٦٤، ٢٦٥

Scanned by CamScanner

قال في أحسن الغايات وأقبح من هذا ما يقدم من النذور للجماد والنبات كشجرة مسجد السلطان الحنفي المعروف عند العامة بالشيخة خضراء(١)

---

(١) قال في البحر الرائق وأما النذر الذي ينذره أكثر العوّام على ما هو مشاهد كأن يكون لإنسان غائب أو مريض أو له حاجة ضرورية فيأتي بعض الصلحاء فيجعل سترة على رأسه فيقول يا سيدي فلان إن رد غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء كذا أو من الشمع كذا أو من الزيت كذا فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه منها أنه نذر مخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون للمخلوق ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك ومنها إن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى واعتقاده ذلك كفر اللهم إلا إن قال يا الله إني نذرت لك إن شفيت مريضي أو رددت غائبي أو قضيت حاجتي أن أطعم الفقراء الذين بباب السيدة نفيسة أو الفقراء الذين بباب الإمام الشافعي أو الإمام الليث أو أشتري حُصراً لمساجدهم أو زيتاً لوقودها أو دراهم لمن يقوم بشعائرهما إلى غير ذلك مما يكون فيه نفع للفقراء والنذر لله عز وجل وذكر الشيخ إنما هو محل لصرف النذر لمستحقيه القاطنين برباطه أو مسجده أو جامعه فيجوز بهذا الاعتبار إذ مصرف النذر للفقراء وقد وجد المصرف ولا يجوز أن يصرف ذلك لغني غير محتاج ولا لشريف منصب لأنه لا يحل له الأخذ ما لم يكن محتاجاً فقيراً ولا لذي النسب لأجل نسبه ما لم يكن فقيراً ولا لذي علم لأجل علمه

Scanned by CamScanner

ما لم يكن فقيراً ولم يثبت في الشرع جواز الصرف للأغنياء للإجماع على حرمة النذر للمخلوق ولا ينعقد ولا تنشغل الذمة به ولأنه حرام بل سحت ولا يجوز لخادم الشيخ أخذه ولا أكله ولا التصرف فيه بوجه من الوجوه إلا أن يكون فقيراً أو له عيال فقراء عاجزون عن الكسب وهم مضطرون فيأخذونه على سبيل الصدقة المبتدأة فأخذه أيضاً مكروه ما لم يقصد به الناذر التقرب إلى الله وصرفه إلى الفقراء ويقطع النظر عن نذر الشيخ فإذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل إلى ضرائح الأولياء تقرباً إليهم فحرام بإجماع المسلمين ما لم يقصد بصرفها للفقراء الأحياء قولاً واحداً.

Scanned by CamScanner

وفي فتاوى شيخ شيخنا العلامة شافعي زمانه السيد محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل ومن نذر لولي ميت فإن قصد التقرب لذات الميت أو تمليكه كالحي كما يفعله بعض الجهال فالنذر باطل وإن قصد ذرية الولي أو خدام تربته أو فقراء مشهده أو نحو ذلك مما يصح قصده كالتصدق به عنه صح النذر ويصرف فيما قصده وإن أطلق ولم يرد شيئاً عمل بالعرف المطرد حالة النذر لأنه منزل منزلة الشرط كما في الوقف وقال ابن حجر في فتاويه وحيث قصد بالنذر تعظيم القبر أو البقعة أو التقرب إلى من دفن فيها كما هو الغالب من العامة فهو نذر باطل غير منعقد انتهى.

وقال شيخ مشايخنا أيضاً الذبح بقرب قبر ولي مثلاً حيث قصد به التصدق على فقراء ذلك المحل كان قربة فإن قصد الذابح تعظيم الميت أو مشهده خرج عن كونه قربة وفي فتاوى أبي زرعة فيمن يزور قبور الصالحين ويقول متى حصل لي كذا أجيء لك بكذا إن لم يقترن به لفظ التزام ولا نذر لم يلزمه شيء وإن أقترن به ذلك فإن أراد التصدق على المجاورين لزمه الوفاء به وإن أراد تمليك الميت فهو لاغ لا يجب به شيء انتهى كلام شيخ مشايخنا وقال تلميذه شيخنا السيد محمد عبد الرحمن حسن الأهدل فأما قصد تمليك الميت فهو مما لا يقصده إلاَّ زائل العقل.

Scanned by CamScanner

وقال مفتي الديار اليمنية السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل(١) ولم يرد نص من الكتاب والسنة بالنذر للمصطفى صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأنبياء والأولياء بل الذي ورد به النص عن النبي صلى الله عليه وسلم عكس ذلك وهو نهيه صلى الله عليه وسلم عن النذر المتقرب به إلى الله تعالى وهو ما ثبت في الصحيحين أنه نهى عن النذر وقال أنه لا يرد شيئا وإنما يستخرج به من البخيل وقال شيخ مشايخنا السيد محمد بن أحمد والنذر بضرب الطبل للولي أو غيره كما يفعله بعض الجهال باطل لا ينعقد بل هو جهل وأي مصلحة أو ثواب يدخل على الميت به ولكن الجهل عم وطم وأفق النهار أظلم فلا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

وقال شيخ مشايخنا أيضاً ولا يصح النذر لجبريل بشيء مطلقا وكذا غيره من الملائكة سواء كان المنذور به مالياً أم غيره لأنه لا يملك وثواب القراءة إنما يصل إلى الميت وجبريل الآن حي فيبطل النذر انتهى قلت مذهب الحنفية له أن يجعل ثواب ما قرأه أو تصدق به إلى حي ويكتب الله ثواب ذلك في صحايف الحي ولا يحرم القاري والمتصدق من الثواب ففضل الله واسع وكرمه عميم وسئل الإمام أحمد بن حنبل عن رجل قرأ الفاتحة وجعل ثوابها إلى روح أربعة أشخاص فهل يصل إلى كل واحد ثواب ربع الفاتحة فأجاب بأنه يحصل لكل واحد منهم ثواب جميع الفاتحة لسعة فضل الله وكرمه قلت وقواعد مذهبنا لا تأباه.

---

(١) أحد صدور علماء الشافعية بزبيد ومسند الديار اليمنية المتوفى ١٢٥٠هـ.

Scanned by CamScanner

وقال شيخ مشايخنا ومن الجهالات العامة والمصائب الطامة النذر للنسور بذبح شاة فلا يجب الوفاء بذلك وقد قررت عدم جوازه في بعض مؤلفاتي انتهى كلام شيخ مشايخنا وسئل العلامة الكبير جمال الدين محمد بن عمر حشيبري(١) مفتي الشافعية بجهات وادي سردود عن الذبح والنشوح بالموز والبيض والسمن وغير ذلك لأجل الجن الذين يقال لهم أجوم البحر ويرمون بهذه الأشياء في البحر هل هو حرام أم لا وإذا ذبح الإنسان لدفع شر الجن مع نية التقرب إلى الله عز وجل وتصدق بذلك هل يجوز أم يحل أو لا؟

فأجاب بقوله الحمد لله اعلم أن الذبح لأجل الجن والنشوح بما ذكر حرام ويكفر مستحله ولا فرق في النشوح بين قليله وكثيره لأنه إضاعة مال ويحرم أكل ما ذبح لأجل الجن قال النووي في شرح مسلم وأما الذبح لغير الله تعالى فالمراد أنَّ من ذبح باسم غير الله تعالى كمن ذبح للصنم أو للصليب أو للجن أو لموسى أو لعيسى أو للكعبة أو نحو ذلك كل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة سواءً كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً نص عليه أصحابنا فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعياذ بالله كان ذلك كفراً فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار مرتداً انتهى كلام النووي.

---

(١) هو أحد أعيان علماء الشافعية توفي سنة ٧١٨هـ.

Scanned by CamScanner

تنبيه:

حديث لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله به وفي رواية لو اعتقد أحدكم على حجر لنفعه الله به قال الحافظ ابن حجر لا أصل لذلك وقال ابن تيميه إنه موضوع مكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم بل هو من كلام أهل الشرك والبهتان فإن عباد الأصنام أحسنوا ظنهم بها فكانوا هم وإياها من حطب النار انتهى.

وقول السائل وإذا ذبح إنسان لدفع شر الجن مع نية التقرب إلى الله تعالى فهل يجوز أم لا؟

جوابه نعم يجوز ولا يكون حراماً وكذا ما ذبح للسلطان عند قدومه استبشاراً به فهو كذبح العقيقة لولادة المولود ومثل هذا لا يوجب التحريم قال الرافعي خلافاً لما أفتى به أهل بخارى من التحريم فيما ذكره عنهم إبراهيم المروزي من أصحابنا انتهى وقال شيخ مشايخنا السيد محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل في فتح العلام شرح إرشاد العوام ومن ذبح تقرباً إلى الله تعالى لدفع شر الجن عنه لم يحرم أو بقصد هم حرم عليه وكذا يقال في الذبح للكعبة أو قدوم السلطان وما يذبح عند قبور الأولياء بقصد إطعام المحتاجين ليتيسر اجتماعهم هناك حل وإن قصد به تعظيم الولي والتقرب بذبيحة إليه لم يحل ويكون ميتة انتهى وفي بعض أجوبة شيخ مشايخنا أيضا ويجوز اعتقاد أن في الأرض الفلانية جناً وأن يطرح لهم أكلاً لأن الجن يأكلون ويشربون كالإنس وفي صحيح البخاري في قصة الذي كان يأخذ من تمر الصدقة

Scanned by CamScanner

وأبو هريرة يمسكه ثم يفلته من يده حين يشكو الجوع والعيال ما يشهد لذلك.

وفي بعض أجوبته أيضاً أنه يجوز الذبح عند دخول العروس بيت زوجها لدفع شر الجن وفي حاشية السقاف الشافعي ويحرم الذبح تقرباً إلى السلطان أو غيره عند لقائه فإن قصد الاستبشار بقدومه فلا بأس أو ليرضي غضبانا جاز لأنه لا يتقرب به إلى الغضبان بخلاف الذبح لنحو الصنم أو ذبح للجن حرم إلا إن قصد التقرب إلى الله ليكفيه شرهم فيسن بل لو ذبح لا بقصد التقرب إلى الله ولا إلى الجن بل لدفع شرهم فهو كالذبح لإرضاء غضبان انتهى قلت وقواعد مذهبنا لا تأباه ومنه يعلم جواز ذبح العقيرة التي تذبح لإطفاء غيظ الأمير ودفع غضبه وخوف بطشه ودفع شره وأما الهَجَر فهو إلزام الأمير للجاني بذبح شاة مثلاً والتصدق بها على الفقراء فهو من باب التعزير بالمال وهو لا ينبغي في مذهبنا على المعتمد والإثم على الأمير هذا ما ظهر لفهمي القاصر في الهجر وإن وجد نص في المذهب فالعمل عليه والله أعلم(١).

---

(١) مسألة الهَجَرّ ملخصها كالتالي:

١- الهَجَرّ نوع من التأديب بالمال حيث يحكم على المخطئ أن يرد اعتبار من أخطأ في حقه بشراء شاة أو ثور يسوقها ليسلمها لمن أخطأ في حقه ولمن رُدَّ اعتباره بالهجر المذكور أن يذبح ذلك أو أن يعفو عن من أخطأ في حقه ويرد عليه الهجر بقول مقبول مرجوع أي مقبول اعتذارك مرجوع مالك إليك.

Scanned by CamScanner

٢- هذه المسألة من مسائل الفقه الإسلامي لا من مسائل الاعتقاد.
٣- حكم الهجر يتخرج في الفقه على مسألة التعزير بالمال وهي مسألة خلافية المعتمد عند الحنفية والشافعية عدم جواز التعزير بالمال وعليه لا يجوز الهجر ويرى المالكية والحنابلة جواز التعزير بالمال وهو منقول عن أبي يوسف من أصحابنا الحنفية وعليه يجوز الهجر.
٤- ذبح الهجر لا يعد شركاً لأنه يذبح على اسم الله عز وجل ولا علاقة له بالعقائد والتوحيد ويجوز الأكل منه على قول من أجاز التعزير بالمال ولا ينبغي الأكل منه على رأي من لا يجيز التعزير بالمال والله أعلم.

Scanned by CamScanner

وقال شيخ مشايخنا في فتاويه ولو نذر إن حصل له ولد أن يسميه باسم رجل من الصالحين فوقع له ذلك وجب عليه الوفاء بالنذر إن كان مما يتبرك به كأسماء الأنبياء والصالحين انتهى وكتب عليه تلميذه شيخنا علامة عصره السيد محمد بن عبد الرحمن بن حسن الأهدل أقول الموافق لقاعدة الباب أنه لا يجب إلا فيما هو سنة كعبد الله وعبد الرحمن واسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قلت وعلى قواعد الحنفية لا يلزمه ذلك والله أعلم.

Scanned by CamScanner

وقول السائل إن شفى الله مريضه فليزر به جده النبي صلى الله عليه وسلم أو الولي فلان مثلاً وليقرأ المولد النبوي فحصل المعلق عليه هل يلزم ذلك أم لا؟

جوابه أن مذهب الشافعية أنه يلزمه ذلك لأن الزيارة للأحياء والأموات قربة حض عليها الشارع وقراءة المولد النبوي قربة أيضاً لاشتماله على ذكر بعض أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله وقد كنت سألت شيخنا علامة عصره عما يفعله بعض الناس من نذرهم لزيارة الشيخ عبد القادر الجيلاني ثم إنهم يزورون محلاً في قرية الضحي ويزعمون أنه مقام الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وأنه يكفي عما بذمتهم من الزيارة فقال لي من نذر لله زيارة الجيلاني رضي الله عنه فيلزمه الوصول إلى قبره ببغداد ولا يكفيه زيارة أي محل ولو زار المصطفى ما برأت ذمته قلت هذا مذهب الشافعية وأما مذهب الحنفية فلا يلزم الناذر الوفا بالزيارة ولا بالمولد وكتبهم طافحة بذلك والله أعلم.

قال صاحب الفتاوى الأسعدية(١) أفتى الشيخ محمد سعيد المنوفي مفتي الشافعية بمكة المكرمة أن النذر للنبي صلى الله عليه وسلم يصرف لمصالح الحجرة المطهرة لا لذريته صلى الله عليه وسلم وإن

---

(١) العلامة محمد مصطفى أفندي.

Scanned by CamScanner

كانوا مستحقين ثم كتبت على جوابه وأما عندنا فالنذر للنبي صلى الله عليه وسلم غير صحيح والله أعلم(١) انتهى كلام الأسعدية(٢)

---

(١) أقول النذر عبادة مشروعة وهو لا يصح عند السادة الحنفية إلا إذا كان قربة مقصودة وكان من جنسها واجب شرعي ومن أجل ذلك صح النذر بالتصدق عندهم لأن الصدقة من جنسها فرض وهو الزكاة ولما كانت الزكاة لا تصح للأغنياء لم يصح نذر الصدقة لهم فإن النذر بإعطاء الأغنياء أصالة أو تبعا نذر لمخلوق وهو لا يجوز وليس هو قربة مقصودة ولا من جنسها واجب شرعي قال الحصكفي في الدر ومن نذر نذراً مطلقاً أو معلقاً بشرط وكان من جنسه واجب أي فرض كما سيصرح به تبعاً للبحر والدرر وهو عبادة مقصودة خرج الوضوء وتكفين الميت ووجد الشرط المعلق به لزم الناذر ولم يلزم الناذر ما ليس من جنسه فرض كعيادة مريض وتشييع جنازة ودخول مسجد ولو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم أو الأقصى لأنه ليس من جنسها فرض مقصود وهذا هو الضابط كما في الدرر قلت ويزاد ما في زوائد الجواهر وألاَّ يكون مستحيل الكون فلو نذر صوم أمس أو اعتكافه لم يصح نذره وفي القنية نذر التصدق على الأغنياء لم يصح ما لم ينو أبناء السبيل وتمام العبارة كما في البحر نذر أن يتصدق بدينار على الأغنياء ينبغي أن لا يصح قلت وينبغي أن يصح إذا نوى أبناء السبيل لأنهم محل للزكاة والله أعلم.

(٢) ج١ص١٥٧.

Scanned by CamScanner

وأما النذر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أو بقراءة القرآن فيلزم وأما النذر بقراءة صحيح البخاري أو الموطأ مثلاً فيلزم عند الشافعية وأما على قواعد الحنفية فلا يلزم والله أعلم.

وقول السائل وهل يجوز الاستمداد من روحانية الأولياء؟
جوابه نعم(١)

---

(١)وهاك بعض النصوص من الكتاب والسنة الدالة على جواز الاستمداد:

أولاً من القرآن الكريم: النص الأول :

قال الله تعالى ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ (الأنفال).

في هذا النص بيان أن الصحابة رضوان الله عليهم استغاثوا بالله سبحانه فاستجاب لهم فأغاثهم وأمدهم بألف من الملائكة عليهم السلام والملائكة من جنود الله تعالى يمدهم بحوله وقوته ويمد بهم من يشاء من عباده والذي يمد الملائكة وهو الله تعالى قدرته قابلة من حيث التعلق أن يمد بها من شاء من عباده وأن يمد بهم غيرهم لأن الخلق جميعاً سواء من حيث الإمكان والحدوث وجواز تعلق صفات الله تعالى بهم ومن الذي أوجب على الله تعالى أن يمد الملائكة ويمد بهم فقط ولا يمد بالأنبياء والأولياء والصالحين؟ مع العلم أن الجميع حولهم وقوتهم بالله سبحانه وتعالى وما التفريق بين الملائكة والأنبياء والأولياء إلا من قبيل التفريق بين المتماثلين ولا يقوله أحد من المحققين وقد ثبت في الحديث القدسي الصحيح قول الله تعالى (وما يزال عبدي يتقرب إلي

Scanned by CamScanner

بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه) رواه البخاري أليس هذا نصاً أن الله يمد أحبابه وأصفياءه بإمداد خاص يكونون به عنده كبعض ملائكته؟ فإن قيل لم لم يغث الله الصحابة بذاته وأغاثهم بملائكته؟

فالجواب: قال علماء التوحيد إعطاء الله تعالى عباده من باب الحكمة أي الأسباب أحب إليه من إعطائه لهم من باب القدرة أي بلا أسباب فالله هو المعطي عند الأسباب وهو المعطي بلا أسباب وهو الوهاب بالأسباب وهو الوهاب بلا أسباب ونحن في عالم يسمى عالم الشهادة رتب الله تعالى فيه المقادير على الأسباب بحكمته ألا تنظر كيف أعطى الله تعالى بعض الملائكة تدبير أمور هذا العالم فقال ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥ ﴾ (النازعات) أسند التدبير إليهم مجازا لأنهم قائمون بإبراز مقادير الله تعالى في السموات والأرض بأمره ومشيئته وبحوله وقوته ولم يقع أن الله تعالى أغاث أحداً بتجل ذاتي منه سبحانه من غير أن يلطّفه بالدوائر الإمكانية بدوائر الأسماء والصفات رحمة منه سبحانه وإنما أ غاثهم بالأسباب لأنها لا قيام لها بنفسها وإنما قيامها به سبحانه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن) رواه الشيخان وقد أسند الحق تعالى ما أبرزه على يد عباده إليه في آيات كثيرة منها قوله تعالى ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (الأنفال:١٧) ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ (التوبة:١٤) ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ

Scanned by CamScanner

بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾ (التوبة: ٥٢) ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (الصافات).

النص الثاني:

قال تعالى ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (الأنفال:١٢) في هذا النص أن الله تعالى أمد ملائكته بمعيّةٍ خاصة وأمرهم لوجود هذا الإمداد الإلهي لهم أن يثبتوا الذين آمنوا وفيه أنه أسند التثبيت إليهم مجازاً لأن الله تعالى هو المثبت الحقيقي فلو أن رجلاً مؤمناً قال (يا ملائكة الله ثبتوني) أو قال (اللهم ثبتني بملائكتك) لا يكون مشركاً لأنه يعلم حق العلم أن تثبيتهم له حاصل بمعية الله تعالى التي لهم وبأمر إلهي موجه إليهم ومن المعلوم في العقيدة أن خواص البشر وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أفضل عند الله من خواص الملائكة عليهم السلام وإذا ثبتت فضيلة للملائكة نصاً فهي ثابتة لمن هو فوقهم وأعلى منهم رتبة ومنزلة من باب أولى فيكون للأنبياء والمرسلين من المعية الإلهية والتأييد الإلهي الثابت لهم بصفة الاختصاص ما يثبت به الله تعالى كل من آمن بهم في حياتهم الدنيوية أو البرزخية على حد سواء ولو أن مؤمناً طلب من الله أن يثبته بنبيه وأن يُمِدَّه به لم يكن بذلك مشركاً كما توهم بعضهم.

النص الثالث:

قال تعالى ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (آل عمران)

Scanned by CamScanner

فالنص ظاهر في أن المُمِدَّ هو الله سبحانه وتعالىٰ وأن مظهر الإمداد وصورته خمسة آلاف من الملائكة حولهم وقوتهم بالله سبحانه وتعالىٰ فالذي يمد بالملائكة يمد بغيرهم من خلقه إذا شاء لأن جميع الخلق حولهم وقوتهم به سبحانه وتعالىٰ وما هذا التعاون الظاهر في عالم الشهادة بين البشر وقضاء حوائج بعضهم علىٰ أيدي البعض الآخر إلا وجه من وجوه الإمداد الإلهي الذي يجريه عليهم بحوله وقوته من غير أن يكون لأحد منهم تأثير ذاتي في شيء من تلك المقادير وقد ثبت في الحديث الصحيح قول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عند بروز أي قدر من تلك المقادير علىٰ يد أحد من الخلق (قدر الله وما شاء فعل) رواه مسلم، وثبت في الحديث الصحيح كذلك قول أنس بن مالك رضي الله عنه خدمت رسول صلىٰ الله عليه وآله وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشي تركته لم تركته قال ولا لامني أهلي علىٰ شيء إلا قال دعوه فإنه لو قدر لكان وثبت في الحديث الصحيح كذلك قوله عليه الصلاة والسلام (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله) رواه أبو داود، ومعنىٰ ذلك ما شاء الله كان وإن لم يشأه الخَلْق وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الخلق.

النص الرابع:

قال تعالىٰ ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (الأنفال) فالنص ظاهر في أن المؤيِّد هو الله تعالىٰ والمُؤيَّد هو رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم والمؤيد بهم هم المؤمنون ومعنىٰ قوله تعالىٰ (فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ) أي كافيك الله فهو

Scanned by CamScanner

يتولى كفايتك وحياطتك فالذي يؤيدّ بالمؤمنين ويُعِزُّ بهم دينه ويفتح على أيديهم يؤيد بسادات المؤمنين من الأولياء والصديقين والأنبياء والمرسلين والذين لا فرق في إمداد الله لهم بين حياتهم الدنيوية وحياتهم البرزخية فلو قال رجل لأخ له مؤمن أيدني بتأييد الله لك أو أمدني بمدد الله عندك أو دعا الله تعالى بقوله (اللهم أيدني بعبادك المؤمنين كما أيدت نبيك محمداً صلى الله عليه وسلم) لم يكن مشركاً بل ذلك هو محض الإيمان وحقيقته.

فإن قيل: ما معنى قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (الأنفال).

فالجواب: ذكر الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره أقوالاً وهي: قيل المعنى حسبك الله وحسبك المهاجرون والأنصار فيكون قوله (وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ) في موضع رفع قال أبو جعفر سمعت علي بن سليمان يقول يكون عطفاً على اسم الله جل وعز أي حسبك الله ومن اتبعك قال ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم (يكفيني الله عز وجل وأبناء قيلة) يعني الأنصار وهذا قول مروي عن الحسن.

وقيل: المعنى كافيك الله وكافي من اتبعك وقيل يجوز أن يكون المعنى (وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ) حسبهم الله ويجوز أن يكون (من) في موضع نصب على معنى: يكفيك الله ويكفي من اتبعك وكفاية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين تكون من عالم القدرة إذا شاء الله تعالى ذلك وربما تكون تلك الكفاية من عالم الحكمة وعلى هذا

Scanned by CamScanner

يخرج قول الحسن رحمه الله تعالى، ومثله قوله تعالى ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ (الحجر) وكانوا خمسة من رؤساء المشركين من أهل مكة فكفاه الله تعالى إياهم وأهلكهم بسيدنا جبريل عليه السلام كما أجمعت عليه كلمة المفسرين وعلى هذا عندما يقول المسلم: حسبنا الله ونعم الوكيل يكون المعنى يكفينا الله سبحانه وتعالى ما شاء كيف يشاء بقدرته أو بحكمته سبحانه وتعالى وهذا كدعاء الغلام المؤمن في حادثة الأخدود الثابتة في الصحيح بقوله (اللهم اكفنيهم بما شئت وكيف شئت).

النص الخامس:

قال تعالى ﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ (التوبة:٤٠) فالنص ظاهر في أن المؤِّيد هو الله والمؤَّيد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤَّيد بهم جنود غير مرئيين لعموم البشر وربنا عز وجل قال في نص قرآني آخر ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الفتح:٧) وأنبياء الله ورسله وأولياؤه من جنوده ولا يشك في هذه الحقيقة مؤمن صحيح الإيمان فالذي يؤيد بجنود غير مرئية من العالم العلوي يؤيد بجنود غير مرئية من العالم السفلي ومن المقطوع به أن أرواح عباد الله المقربين من أنبياء وصديقين وشهداء جوالة في الملكوت تروح حيث شاءت قال تعالى ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الواقعة) قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى (بلغنا أن أرواح المقربين تروح حيث شاءت) نقل ذلك عنه الشيخ ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابه (الروح) فالأرواح إذن من جنود الله تعالى

Scanned by CamScanner

ويجوز شرعاً وعقلاً أن يؤيد الله بها من يشاء من عباده بعد مفارقة أجسادها فالذي يدعو الله تعالىٰ قائلاً (اللهم أيدني بجنود من السماء والأرض أو يا جنود الله في السموات والأرض أيدوني بتأييد الله لكم أو عندكم) لا يخرج عن الإيمان ولا يكون من المشركين.

النص السادس:

قال الله تعالىٰ مخاطباً سيدنا عيسىٰ بن مريم عليه الصلاة والسلام ومخبراً عنه ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ (المائدة:١١٠) ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ (البقرة:٨٧) فالمؤِّيد هو الله والمؤَّيد هو عيسىٰ بن مريم عليه السلام والمؤيد به هو روح القدس سيدنا جبريل عليه السلام فالذي يؤِّيد بجبريل وهو روح وغيب ومن عالم اللطائف النورانية يؤيد بسيدنا محمد بعد انتقاله إلىٰ حياة البرزخ لأنه بتجرده عن جسمه المادي الملكي رجع إلىٰ حقيقته وهي روح وغيب ومن عالم اللطائف النورانية فهو في برزخه كجبريل بل هو أفضل منه إجماعاً ويؤيد الله بمن شاء من أهل البرزخ من أنبياء وأولياء بعد تجردهم عن المادة الأرضية وقد أُسند مجازاً إلىٰ عيسىٰ عليه السلام إحياء الموتىٰ وإبراء الأكمه والأبرص قال الله تعالىٰ حكاية عنه ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ٤٩) فما دام قد وجد الإذن الإلهي لعبد محبوب عنده فلا ضير في الإسناد المجازي لمن ظهر ذلك علىٰ يديه والمدد كذلك لا يوجد إلا بإذن إلهي فلا حرج في إسناد المدد مجازاً لمن ظهر علىٰ يديه والمجاز مستعمل في نصوص الكتاب والسنة يعلم هذا كل من له إلمام ولو يسيراً باللغة والبلاغة

Scanned by CamScanner

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ (الأنفال:٢) فإسناد الزيادة إلى الآيات مجاز لأنها سبب في الزيادة والذي يزيد حقيقة هو الله تعالى وحده ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن جبريل عليه السلام ﴿ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ (مريم).

فإسناد الوهب إليه مجاز والواهب حقيقة هو الله تعالى وحده وقوله تعالى ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ ﴾ (النازعات) فإسناد التدبير إلى الملائكة مجاز والمدبر حقيقة هو الله تعالى وقوله تعالى ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ﴾ (المزمل:١٧) فإسناد الجعل إلى اليوم مجاز عقلي والجاعل حقيقة هو الله تعالى وقوله تعالى ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ ﴾ (يس:٣٦) فإسناد الإنبات إلى الأرض مجاز والمنبت حقيقة هو الله تعالى والنصوص كثيرة تعلم بالمدارسة والبحث وقد ثبت دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضي الله عنه عندما كان يقول الشعر في المسجد النبوي ويهجوا المشركين بقوله له (قل وروح القدس معك) وفي رواية (قل وروح القدس يؤيدك) وفي رواية (اللهم أيده بروح القدس) أخرجها الإمام البخاري في صحيحه، فهل كان النبي مشركاً عندما أسند التأييد والمعية إلى جبريل بدلاً من أن يسندها إلى الله تعالى؟ حاشاه من ذلك بل هو سيد الموحدين صلى الله عليه وسلم فهو يشهد أن روح القدس وغيره من الخلق كلهم قيامهم بالله تعالى وحولهم وقوتهم به عز وجل وليس لهم أي تأثير ذاتي في إمداد أو تأييد وهذا الإسناد اللفظي إلى السبب ما هو إلا إسناد مجازي لا يغيب أهل التوحيد بسببه عن الحقيقة الإيمانية أن

Scanned by CamScanner

الله تعالى بيده مقادير كل شيء وأنه هو المنفرد بالإيجاد والإمداد وأنه خالق ذلك على يد الخلق بعضهم لبعض لا شريك له في الملك ولا في الخلق وله الحمد وحده وهو الخلاق العليم.

النص السابع:

قال الله تعالى ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ (التحريم) المولى هو الناصر والمؤيد والمعين وهذا النص ظاهر أن الله ناصره وجبريل وصالح المؤمنين وقدم في الآية صالح المؤمنين على الملائكة وكلهم ناصروه ومؤيِّدوه ألا يكفي أن يقول الله تعالى فإن الله هو مولاه؟ ولم قرن نصرة جبريل وصالح المؤمنين والملائكة بنصرته تعالى؟

والجواب: إن نصرتهم وتأييدهم له صلى الله عليه وسلم مظهر من مظاهر نصرة الله له في عالم الشهادة وعن طريق الأسباب من باب الحكمة فلو أن قائلاً قال اللهم انصرني بجبريل أو يا جبريل انصرني أو اللهم انصرني وأيدني بصالح المؤمنين وبملائكتك أو يا أيها الصالحون ويا أيها الملائكة انصروني وكان يعتقد أنه لا تأثير لهم من حيث ذواتهم وأنهم مظاهر يجري الله تعالى عليهم أقداره ونصره لم يكن مشركاً كما زعم الجاهلون وذلك لأن الله تعالى ذكر في هذا النص أن جبريل والصالحين والملائكة ممن ينصر الله تعالى بهم ويؤيد.

Scanned by CamScanner

النص الثامن:

قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ فصلت (٣٠ - ٣١) من المعلوم المقطوع به أن الملائكة لا تتنزل إلا بأمر من الله تعالى قال سبحانه ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ (مريم:٦٤) ولا شك أن الله أمرهم أن يطمئنوا المؤمنين وأن يذهبوا عنهم أسباب الخوف والحزن وأن يبشروهم بالجنة وأن يخبروهم أنهم أولياء لهم أي ناصرون مؤيدون وهذا معنى من معاني دفاع الله تعالى عن المؤمنين ودفعهم عنهم لقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ (الحج: ٣٨) وفي قراءة (إن الله يدفع عن الذين آمنوا) وذكر الحق تعالى عن ذاته أنه ولي الذين أمنوا وجعل في هذا النص ملائكته أولياء للذين أمنوا واستقاموا وجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض والنصوص كلها عامة التعلق بالمؤمنين في جميع البرازخ في الدنيا وفي الآخرة لأن المؤمنين لم يسلب عنهم وصف الإيمان بانتقالهم إلى البرزخ فيكون بين المؤمنين من أهل البرزخ ولاية للمؤمنين في الدنيا ويكون للملائكة ولاية لجميعهم وولاية المؤمنين والملائكة مظهر ولاية الله تعالى لعباده المؤمنين التي تفضل بها عليهم من الأزل وإلى مالا نهاية له من الأبد يقول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (المائدة:٥٥) ويقول أيضاً ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (المائدة) فمن قال يا أوليائي من ملائكة الله ومن عباده المؤمنين

Scanned by CamScanner

أنصروني وأيدوني وأمدوني لم يكن مشركاً بل كان عاملاً بالنصوص القرآنية القطعية وذلك كمال الإيمان.

النص التاسع:

قال الله تعالى عن عباده الأبرار والمقربين ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (الزمر:٣٤) عندية الله تعالى منزهة عن الزمان والمكان لأنهما لا يجريان عليه سبحانه وتعالى بل هما ظرفان حادثان للمظروف الحادث فكل من كان من عباد الله المحبوبين كانت له عندية الله وهي معيته وتأييده وكان له ما يشاء سواء كان حياً حياة دنيوية أو برزخية أو أخروية وهؤلاء هم المرادون بالحديث القدسي السابق (فإذا أحببته كنت سمعه وبصره) الحديث وفي الجنة يشترك معهم في هذه الخاصية هناك جميع أهل الإيمان من أتباعهم لقوله تعالى ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ (ق).

ثانياً من السنة النبوية:

الحديث الأول: أخرج الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم) الحديث فالحديث يدل على أن أهل الموقف كلهم أجمعوا على الاستغاثة بالأنبياء عليهم السلام وذلك بإلهام من الله تعالى لهم وهو دليل على ندب التوسل والاستغاثة بهم في الدنيا والآخرة وقد أجيبوا

Scanned by CamScanner

بعد هذه الاستغاثة وهذا أدل دليل أن الاستغاثة عند الشدائد بأكابر المقربين من أعظم مفاتيح الفرج ومن أسباب رضى رب العالمين ولو كانت هذه الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين نوعاً من أنواع الشرك لحكم على جميع أهل الموقف بالشرك ولكانوا مستوجبين لغضب الأنبياء والمرسلين ولكان على الأنبياء ألا يغيثوهم بل يقولوا لهم استغيثوا بالله والواقع يومئذ خلاف ذلك فقد أغاثهم الأنبياء والمرسلون عليهم السلام على رغم أنوف المنكرين فلم يكن ذلك من الشرك في شيء أبداً.

الحديث الثاني: عن عتبة بن غزوان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل: يا عباد الله أغيثوني وفي رواية أعينوني فإن لله عباداً لا ترونهم) رواه الطبراني في المعجم الكبير وقال: وقد جرب ذلك فهذا الحديث صريح في جواز الاستغاثة والنداء لمن لا نراهم من عباد الله تعالى ويدخل فيهم الأحياء حياة برزخية ممن لهم الروح فيروحون حيث شاؤوا وقد تقدم ما يدل عليه وقد عمل بهذا الحديث الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ففي شعب الإيمان للبيهقي وفي كتاب المسائل قال عبد الله بن الإمام أحمد سمعت أبي يقول (حججت خمس حجج منها اثنتين راكباً وثلاثة ماشياً أو ثنتين ماشياً وثلاثة راكباً فضللت الطريق في حجة وكنت ماشياً فجعلت أقول: يا عباد الله دلونا على الطريق فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق).

Scanned by CamScanner

الحديث الثالث: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد أعينوا عباد الله) قال الهيتمي في مجمع الزوائد رواه البزار ورجاله ثقات وقال الحافظ في تخريج الأذكار حسن الإسناد غريب وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس موقوفاً.

الحديث الرابع: ذكر الإمام النووي رحمه الله تعالى في الأذكار قول النبي صلى الله عليه وسلم (إذا انفلتت دابَّة أحدكم في فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا عليَّ فإن لله حاضراً سيحبسه عليكم) رواه الطبراني في المعجم الكبير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وذكره ابن القيم رحمه الله في كتابه الوابل الصيب، وذكر أن شيخه ابن تيمية رحمه الله تعالى عمل به، وقال الإمام النووي رحمه الله بعد أن ذكر الحديث حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنه انفلتت له دابة أظنها بغلة وكان يعرف هذا الحديث فقاله فحبسها الله عليهم في الحال وكنت أنا مرة مع جماعة فانفلتت منها بهيمة وعجزوا عنها فقلته فوقفت في الحال بغير شيء سوى هذا الكلام.

الحديث الخامس: ذكر الإمام النووي رحمه الله تعالى في الأذكار (عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه خدرت رِجْل رَجُل عنده فقال له اذكر أحب الناس إليك فقال يا محمد فذهب خدره) رواه ابن السني وعن مجاهد رحمه الله تعالى قال (خدرت رِجْل رَجُلٍ عند ابن عباس

Scanned by CamScanner

رضي الله عنهما فقال له ابن عباس أذكر أحب الناس إليك فقال محمد صلى الله عليه وسلم فذهب خَدرُه) رواه ابن السني وذكر ذلك أيضاً ابن تيمية رحمه الله تعالى في الكلم الطيب، وذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله أن شعار المسلمين في موقعة اليمامة كان (يا محمداه) البداية والنهاية قال بعض المحققين وإذا جاز السؤال بالأعمال فبالنبي صلى الله عليه وسلم أولى لأنه أفضل المخلوقات والأعمال منها والله أعظم حباً له صلى الله عليه وسلم من الأعمال وغيرها **أقول** وتبين بهذه الأحاديث أنه ليس في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في ندائه أو الاستغاثة به شيء من الشرك وإلا لكان أولئك الأئمة من الصحابة وتابعيهم مشركين حاشاهم من ذلك بل هم خُلَّصُ أهل التوحيد والإيمان.

فإن قيل: هذه الأحاديث ضعَّفها بعض أهل عصرنا من أدعياء العلم بالحديث وأصوله.

فالجواب: ما من حديث منها إلا وقد حسنه بعض أئمة هذا الشأن المعتبرين كما تقدمت الإشارة إليه ومن ضعفه من هؤلاء الأدعياء فإنما ضعفه بالرأي والهوى لأن هذه الأحاديث مخالفة لبدعته الضلالة فلم يجد سبيلاً إلا تضعيف الحديث وعلى تقدير ضعفه فهو محجوج بعمل الأئمة الأعلام به ومن المعلوم عند المحدثين أن الحديث الضعيف يتقوى بعمل بعض الأئمة به ويصير من قسم المقبول إذا تلقته الأمة بالقبول قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في السنن الكبرى

Scanned by CamScanner

بعد أن روى حديث صلاة التسبيح وكان عبد الله ابن المبارك يفعلها وتداولها الصالحون بعضهم عن بعض وفيه تقوية للحديث المرفوع.

فإن قيل: ما معنى الجاه الذي يتوسل به إلى الله تعالى؟

فالجواب: الجاه هو المنزلة التي يختص الله بها من يشاء من عباده فالله سبحانه متصف بصفة تسمى صفة الاختصاص قال عز وجل ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ (آل عمران:٧٤) والنبوة والرسالة والولاية الخاصة ليست مكتسبة بل هي محض فضل إلهي واجتباء واختصاص رباني يكون بسببها لذلك العبد منزلة عند الله تعالى تسمى الجاه قال الله عز وجل في صفة الاجتباء ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ (الشورى) وقال سبحانه في إثبات الجاه والوجاهة والمكانة لبعض أنبيائه وملائكته عليهم السلام النصوص التالية:

١- قال في حق سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾ (الأحزاب) أي ذا وجاهة.

٢- وقال في حق سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (آل عمران).

٣- وقال عن سيدنا جبريل عليه السلام ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ (التكوير) أي صاحب مكانة.

ومن المقطوع به أنه إذا ثبتت فضيلة لنبي أو ملك ثبت مثل ذلك لجميع الأنبياء عليهم السلام لأنهم خواص البشر وهم أفضل من خواص الملائكة فالإنسان عندما يتوسل إلى الله تعالى بجاه نبي أو ولي فإن ذلك

Scanned by CamScanner

يعني أنه توسل إلى الله تعالى بفعل من أفعاله عز وجل خلقه عز وجل لذلك النبي صلى الله عليه وسلم سماه الله تعالى جاهاً وبصفة من صفاته عز وجل سماها عز وجل اختصاصاً وهذا من التوسل إلى الله تعالى بصفاته وأفعاله وهو مجمع على جوازه عند أهل الحق.

فإن قيل: كيف نعرف أن لهذا العبد منزلة عند الله؟

فالجواب: نعرف ذلك بتعريف الله تعالى لنا إما بإخباره في كتابه الكريم كالنصوص المتقدمة وإما بإخبار رسله عليهم السلام لنا بفضلهم كالصحابة المشهود لهم تعييناً وكبعض التابعين مثل أويس القرني رحمه الله تعالى وإما بأن يجعل الله لهم القبول عند الخاصة والعامة من عباده الصالحين فيقبل بقلوبهم إلى محبتهم وبألسنتهم للثناء عليهم فنستدل بذلك أن لهم جاهاً ومنزلة عند الله لأن الصالحين شهداء الله في أرضه يقبل شهادتهم على عباده وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في بيان ذلك مخاطباً أصحابه رضي الله عنهم ومن هو على شاكلتهم من عباده الصالحين (أيما عبدٍ أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة وأيما عبد أثنيتم عليه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض) أخرجه الشيخان فإذا أردت أن تعرف منزلة عبدٍ عند الله تعالى فانظر إلى منزلته عند الصالحين من سلف الأمة وخلفها وانظر إلى شهادة العلماء الربانيين فيه.

Scanned by CamScanner

فإن قيل: كيف نوفق بين هذه الأدلة المتقدمة وبين حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه الطبراني رحمه الله تعالى مرفوعاً (إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله؟

أجاب بعض أهل العلم المحققين جزاه الله خيراً بقوله:

إن المراد هو إثبات حقيقة التوحيد في أصل الاعتقاد وهو أن المغيث حقيقة هو الله تعالى والعبد ما هو إلا واسطة في ذلك **أقول** هذا الحديث لا يعارض الأحاديث الدالة على جواز التوسل والاستغاثة وإنما فيه بيان أنه لا تأثير للنبي صلى الله عليه وسلم في شيء من المقادير التي يجريها الله تعالى على يديه في حياته الدنيوية والبرزخية وقد أنزل الحق تعالى نفسه منزلة عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم في كثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (النساء: ٨٠) وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الفتح: ١٠) وهذا الحديث متوافق مع تلك الآيات في بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم حوله وقوته بالله عز وجل وعندما حمل النبي صلى الله عليه وسلم الأشعريين رضي الله عنهم قال لهم ما حملتكم ولكن حملكم الله تعالى رواه الشيخان والله أعلم.

Scanned by CamScanner

وقد وجدت بخط شيخنا علامة عصره مفتي الثقلين السيد محمد بن عبد الرحمن حسن عبد الباري الأهدل ما صورته:

قال العلامة مفتي الديار اليمنية الذي بلغ رتبة أهل الاجتهاد الشيخ عبد الخالق بن علي المزجاجي الحنفي المتوفي سنة ١٢٠١هـ في بعض رسائله ما لفظه:

فإن قلت هل يجوز الاستمداد من روحانية الأولياء كما يفعله بعض الناس اليوم قلت الاستمداد من الأولياء إن كان بمعنى طلب المدد منهم بتوجههم إلى الله سبحانه وتعالى مع براءتهم عن الحول والقوة والاتصاف بدوام العبودية ومعناه التوسل إلى الله بهم في المهمات فهذا جائز قد فعله الفاروق رضي الله عنه بعم نبيه صلى الله عليه وسلم(١) ولكن هذا لا يكون إلاَّ عند فتور اليقين وضعف نوره والأولى للمؤمن الصادق القوي الإيمان أن لا يجعل بينه وبين الله عز وجل واسطة في ذلك قال تعالى ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (المائدة) وقال عز من قائل ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ (الطلاق:٣) وقال سبحانه وتعالى ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ ﴾ (الزمر:٣٦)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ولفظه (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال: فيسقون).

Scanned by CamScanner

وكان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر قام إلى الصلاة(١) وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (البقرة:١٥٣) وذلك عند ترادف الهموم والغموم التي لا يكمل معها التوجه إلى الله في بعض الحالات وقد كان عليه الصلاة والسلام من قوة الإيمان واليقين مما لا مزيد عليه وكان مع ذلك لا يستعين إلا بالصبر والصلاة المفضين إلى دوام التوجه إلى الله سبحانه وقد قال صلى الله عليه وسلم إن لله نفحات ألا فتعرضوا لها وقال صلى الله عليه وسلم (إن ربنا ينزل كل ليلة ... الحديث(٢) فتبين لك أن باب الله مفتوح للقاصدين لا يغلق إلاَّ إذا طلعت الشمس من مغربها فينبغي للعبد التوجه إلى الله عز وجل على الدوام، وأما الاستمداد بمعنى طلب النفع منهم ودفع الضر فلا وجه له أصلاً لأنهم في مقام الفقراء الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً فكيف لغيرهم فهذا نبي الله ما أمرنا الله بالاستمداد منه أصلاً بل أمرنا الله أن ندعوا له بالصلاة عليه في التشهد وغيره وسؤال الوسيلة له تحقيقا لكونه في مقام الفقر الذاتي

---

(١)روى أبو داود من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة فهو حديث حسن صحيح حزبه بالباء أي نزل به أمر مهم أو أصابه هم أو غم وروي بالنون من الحزن أي نزل به أمر أوقعه في الحزن صلى أي بادر إلى الصلاة تسهيلاً للأمر الذي نزل به كما في شرح سنن أبي داود للعيني وشرح المشكاة لملا القاري.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

Scanned by CamScanner

والعبودية الخالصة وإذا ضعف نور اليقين وتوجه إلى الله تعالى بأنبيائه وأوليائه فلا بأس في ذلك فقد ورد في بعض الأدعية ما يقتضي جواز ذلك أحياناً وهو رخصة والعزيمة الفزع إلى الصلاة في كل أمر ينوبه وإياك أن تتوهم مما ذكرنا بغض أولياء الله تعالى فإن ذلك من كمال محبتهم والغيرة عليهم أن يوصفوا بما ليس لهم فيه شيء وهذا من باب النصيحة فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انتهى ما نقله شيخنا عن المزجاجي ساكتا عليه أقول في قلبي شيء من قوله ولكن هذا لا يكون إلا عند فتور اليقين وضعف نوره والأولى للمؤمن الصادق القوي الإيمان الخ مع فعل سيدنا عمر له بمحضر جم غفير من الصحابة فهل كان في إيمان هؤلاء الصحابة ضعف يقين كلا والله إن إيمانهم لأقوى من إيمان جميع الخلق ما عدا الأنبياء ولو اقتصر على قوله أن الفعل رخصة والترك عزيمة(١) لكن أولى له وأسلم من أن يأتي بهذا الكلام الغير لائق بالمقام كيف وقد ورد في الأحاديث ما يقتضي جواز فعل ذلك كما أقرَّ به ولا يخفى أن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه والله الهادي.

---

(١) أقول لا يخفى أن العلماء قد اختلفوا في أيهم أفضل الدعاء مجرداً عن التوسل أو مصحوباً به على قولين الأول عدم التوسل ولو بالعمل الصالح أفضل والثاني التوسل أفضل كما هو مقرر في محله وقد بسطته في غير هذا الموضع.

Scanned by CamScanner

تنبيه:

قال الفخر الرازي في تفسيره والذي جربته طول عمري أن الإنسان كلما عول على أمر من الأمور على غير الله ولم يرجع إلى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه فهذه التجربة قد استمرت لي من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه إلى السابع والخمسين فعند هذا استقر قلبي على أنه لا مصلحة للإنسان في التعويل على شيء سوى فضل الله وإحسانه انتهى.

قال التاج السبكي وما ذكره حق ومن حاسب نفسه وجد الأمر كذلك وإن فرض أحد عول في أمر على غير الله وحصل له ذلك فاعلم أنه لا يخلوا عن أحد رجلين إما رجل ممكور به والعياذ بالله وإما رجل يطلب شراً وهو يحسب أنه خير لنفسه ويظهر له ذلك بعاقبة ذلك الأمر فما أسرع انقلابه في الدنيا قبل الآخرة إلى أسوء الأحوال ومن شاء اعتبار ذلك فليحاسب نفسه انتهى كلام التاج السبكي وهو صحيح فيمن يعتقد أن الأسباب هي الفعالة وأما من يعتقد أن الفعَّال الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى وأنه لا مانع لما أعطى ولا راد لما قضى جل وعلا وأن ذات الأسباب غير فعاله فلا محذور في ذلك لأن السعي في السبب لا ينافي في التوكل قال عز من قائل ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ (الملك) وقال تعالى لمريم ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ ﴾ (مريم)

Scanned by CamScanner

وقال صلى الله عليه وسلم (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً) رواه النسائي والترمذي وحسنه فأثبت لها رواحاً وغدواً مع أن الكسب ليس برازق بل الرازق هو الله تعالى قال بعض العلماء الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل فمن جعل السبب موجباً فقد أخطأ ومن محاه ولم يجعل له أثراً فقد أخطأ ومن جعل السبب سبباً والمسبب هو الفاعل فقد أصاب وفي الحديث (لا ترضين أحداً بسخط الله ولا تحمدن أحداً على فضل الله ولا تذمن أحداً على مالم يؤتك الله فإن رزق الله تعالى لا يسوقه إليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهية كاره وإن الله تعالى بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في السخط) رواه الطبراني(١).

---

(١) أقول رواه الطبراني في الكبير وقال الهيتمي فيه خالد بن يزيد العمري متهم بالوضع ورواه البيهقي من طريق آخر بإسناد ضعيف ورواه هناد السري في الزهد موقوفاً على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

Scanned by CamScanner

وفي بعض الأحاديث وإن العبد له رزقه فلو اجتمع عليه الثقلان الجن والإنس على أن يصدوا عنه شيئاً من ذلك ما استطاعوا رواه الطبراني قال صلى الله عليه وسلم (لو فر أحدكم من رزقه أدركه كما يدركه الموت) رواه الطبراني بإسناد حسن وكتب الفخر الرازي رقعة إلى السلطان محمد خوارزم شاه في حاجة عرضها عليه في شأن بعض الصلحاء وكتب فيها رفعت قضيتي إلى الله فإن أعطيتها فالله هو المعطي وأنت المشكور وإن منعتها فهو المانع وأنت المعذور والسلام.

وقول السائل ما حكم الزيارة المعروفة التي تجعل للأولياء في كل سنة ويرحلون إليها في أيام موسم الزيارة ويجتمع فيها الرجال والنساء ويختلطون مع بعضهم كموسم الحج وما يقع فيها من المفاسد والتكلف ما لا يخفى على كل ذي بصيرة؟

جوابه قد سئل عن هذا شيخ مشايخنا السيد محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل مؤلف الكواكب الدرية على متممة الأجرومية فأجاب بقوله اعلم أيها السائل أن اختلاط الرجال بالنساء في الأيام المذكورة حرام شديد التحريم يجب على كل قادر الزجر عنه ففي كتاب النعمة الكبرى على العالم لشيخ الإسلام علامة عصره ابن حجر الهيتمي المكي صاحب التحفة ما حاصله ومن القبائح الشنيعة التي تحصل في زفة المواليد بمكة المشرفة اختلاط الرجال والنساء في المسجد الحرام وعند خروجهم إلى زيارة محل المولد المشهور على أقبح هيئة وأشنع رؤية ويسمون ذلك زفة المولد وذلك أن النساء يتزّين بأحسن حليهن وحللهن ويتطيبن بأطيب طيبهن ثم يخرجن مختلطات بالرجال اختلاطاً

Scanned by CamScanner

فاحشاً بحيث يقع في تلك الليلة من المفاسد والقبايح ما تصم منه الآذان ويقول الموفقون عند سماع أخباره ليت ذلك ما كان انتهى فإن قلت كيف يمكن أن يقال بأن اختلاطهن بالرجال في موسم الزيارة محرم وقد حصل اختلاطهن بالرجال بعرفة ومنى والمطاف وغير ذلك ولم يقل أحد بمنعهن من تلك العبادات لأجل الاختلاط قلت هذا قياس مع الفارق لأن الحج من أركان الدين يجب على الخلق كافة إن استطاعوا ومع ذلك فكل مأمور بترك الطيب والزينة وسائر دواعي الزنا بل والجماع الحلال وتوعد كلاً بإبطال الحج بذلك والإثم العظيم وأن الإحرام هيئة مذكرة لذلك وغالب النساء لهن محارم ولا كذلك في جميع ما ذكر الاختلاط في المواليد ونحوها فإنا نشاهدهم يخرجون للزيارات بالملابس والطيب والهيئة التي يطمع فيهن كل مفتر وفاجر وعبارة كتابي المسمى نشر الأعلام بشرح البيان والإعلام للسيد أبي بكر بن أبي القاسم الأهدل رحمه الله وهذا لفظها مع المتن (وتكره) أي الزيارة تنزيها (للنساء) والخناثا مطلقاً خشية الفتنة ورفع أصواتهن بالبكاء لعدم صبرهن وللخبر الصحيح لعن الله زائرات القبور(١) (إلاَّ زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فتستحب) لهن لعموم الأخبار الواردة في الحث عليها (وألحق بها بعضهم زيارتهن قبور الأولياء) والأنبياء والعلماء بالأولى (والصالحين والشهداء) قال الأذرعي إن صح فأقاربها أولى بالصلة من الصالحين انتهى وظاهره أنه لا يرتضيه لكن ارتضاه غير واحد وجزموا به ونفرق

---

(١)رواه الإمام أحمد والترمذي وقال حسن صحيح.

Scanned by CamScanner

بين نحو العلماء والأقارب بأن القصد إظهار تعظيم نحو العلماء بإحياء مشاهدهم وأيضاً فزوارهم يعود عليهم منهم مدد أخروي لا ينكره إلا المجرمون بخلاف الأقارب (وينبغي تخصيصه) أي استحباب زيارتهن من ذكر (بالعجائز المبتذلات) أي غير المتزينات بطيب أو حلي أو ثوب زينة كما في الخروج لصلاة الجماعة) بل أولى ثم محل هذا التخصيص (حيث ذهبن للمشهد) كذهابهن للمسجد أي غير مستورات الأشخاص (بخلاف ما إذا كن بنحو هودج) مما يستر أشخاصهن من الأجانب فإنه تستحب لهن الزيارة ولو شابه والله أعلم، إذ لا خشية فتنة هنا فعلم من كلامه أنه حيث ترتب على خروجهن لزيارة الصالحين مفسدة كاختلاطهن بالرجال حرم ذلك ووجب منعهن من الخروج إليها لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح انتهى.

هذا ومما يؤيد ما ذكرناه ما قاله ابن حجر أيضاً في النعمة الكبرى حيث قال ومنها أي القبايح الشنيعة أن أكثر الناس في عملهم المواليد لا يمنعون النساء من إشرافهن على الرجال ونظرهن إليهم وذلك قبيح لأنه إما محرم على المعتمد من مذهبنا أو مكروه على مقابله ومحل الكراهة حيث لا شهوة ولا خشية فتنة وإلا حرم اتفاقاً والواقع من النساء في المواليد كثيراً ما يترتب عليه الشهوة والفتنة هذا في نظر النساء إلى الرجال وأما نظر الرجال إليهن المرتب غالباً على نظرهن للرجال وإشرافهن عليهم فحرام على الأصح عندنا وإن لم تكن هناك شهوة ولا خشية فتنة انتهى جواب شيخ مشايخنا محمد بن أحمد.

Scanned by CamScanner

وقال ابن الوردي وأفتى قاضي القضاة علامة عصره كمال الدين محمد بن علي الزملكاني الشافعي بتحريم الاجتماع بمشهد روحين ودير الزربة وأشباههما ومنع من شد الرحال إليه ونودي بذلك في المملكة الحلبية فإنه كان يشتمل على منكرات وبدع وعملت في تحريم ذلك المقامة المشهدية وهي طويلة ومشهورة انتهى كلام ابن الوردي.

وسئل العلامة المحقق الشيخ محمد بن إبراهيم المزجاجي الحنفي(١) عن الاجتماع لهذه الزوائر السنوية كما يفعلون الآن على الأولياء؟

فأجاب بقوله الحمد لله اعلم أن الزوائر السنوية التي تجعل عند قبور الأولياء وما يجمع فيها من المعاصي والفجور قد عدها الحبر العلامة مفتي الديار اليمنية الذي بلغ رتبة أهل الاجتهاد الشيخ عبد الخالق بن علي المزجاجي الحنفي(٢) في بعض مؤلفاته من البدع القبيحة التي ظلموا بها أولياء الله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم(٣)

---

(١) أحد علماء الحنفية بزبيد لم أقف على تاريخ وفاته رحمه الله.

(٢) توفي ١٢٠١هـ.

(٣) هنا مسألتان **الأولى**: زيارة قبور الأولياء والصالحين وهذه سنة باتفاق أهل السنة ولا مانع منها ولو بشد الرحال إليها.

الثانية: ما يحدث من المحرمات في هذه الحوليات من اختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك من المفاسد ولا شك أنه حرام لا يقره شرع ولا يقبله دين.

Scanned by CamScanner

وقول السائل هل يسن تعظيم آخر ربوع من صفر وتزينهم فيه كالعيد بل أكثر كما يفعله بعض الناس في الأمصار؟

جوابه قد سئل عن هذا شيخ مشايخنا السيد محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل فأجاب بقوله إن تعظيم آخر ربوع من صفر وإظهار الزينة فيه لم أعلم فيه خبراً ولا أثراً وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا عدوى ولا صفر)(١) وهو نفي لما كان يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الأشياء الردية لصفر وإحلالهم المحرم وتحريمهم صفر أفاد ذلك شراح الحديث فما يفعله البعض من الناس من تعظيم آخر ربوع فيه من قسم البدعة المكروهة لأن المعظم لذلك غير متبع للنبي صلى الله عليه وسلم إذ المشروع في شرعه الشريف تعظيم يومي الفطر والأضحى وقد جاء عن كثير من السلف الإنكار على من سمى ثامن شوال عيد الست مع أنه إظهار للسرور بصيام أيام ورد في الشرع الحث على صيامها فكيف يسوغ حينئذ تعظيم يوم لم يرد الشرع بتعظيمه ولا ورد في فضله خبر ولا أثر سوى حديث لا عدوى ولا صفر وقد جاء في القرآن تسميته يوم نحس مستمر وعذب الله فيه أمماً كذبوا المرسلين وجاء في حديث ما أنزل الله عذابا على قوم إلاَّ في يوم الأربعاء أو ليلة الأربعاء(٢) فلا يليق في مثل هذا اليوم إظهار الزينة بل المستحب للعبد

---

(١) روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ وجاء في الأربعاء أحاديث تدل على ذمه وأخرى تفيد مدحه يأتي بيانها قريباً.

Scanned by CamScanner

فيه إظهار الخشوع والخضوع لله وإكثار الابتهال والتضرع والاستغفار لقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (الأنفال) وأما إظهار التعظيم والزينة في هذا اليوم ففيه مراغمة للشرع الشريف من حيث أن فاعل الزينة متلبس بخلاف ما هو اللائق به وإذا كان الخلاف واقعاً بين العلماء في عمل المولد النبوي بشهر ربيع الأول والحال أنه لإظهار السرور بمولد سيد البشر فما بالك بعمل الولائم وإظهار الزينة في شهر صفر فهو أمر منكر بالاتفاق وقلما يسلم مظهر تعظيمه من رزية في عامه ويعلم ذلك باستقراء أحوال المعظمين له ومن القبيح شرعاً تكثير سواد أهل البدعة والرضا بفعلهم ويكفي في زجر هؤلاء المبتدعين بتعظيم مالم يعظمه الله قول النبي صلى الله عليه وسلم (كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)(١) أي صاحبها ولا تغتر بكثرة المبتدعين فإن قالوا رأينا من يفعل ذلك من الأسلاف فقل لهم ليس هذا من الإنصاف فقد ذم الله من خالف الشرع وتبع طريقة الآباء فقال ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الزخرف) والله أعلم انتهى جواب شيخ مشايخنا وهو في غاية الحسن(٢)

---

(١) رواه مسلم.

(٢) شهر صفر أحد الشهور الإثني عشر الهجرية وهو الشهر الذي بعد المحرّم قال بعضهم سُمّي بذلك لإصفار مكة من أهلها أي خلوها من أهلها إذا سافروا فيه وقيل سموا الشهر صفراً لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من لقوا صفراً من المتاع أي يسلبونه متاعه فيصبح

Scanned by CamScanner

لا متاع له كما في لسان العرب وكان من عادة الجاهلية التشاؤم بصفر فأبطل الإسلام ذلك قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لا عدوىٰ ولا طيرة ولا صفر ولا هامة وقد قرر العلماء أن الأيام لا تأثير لها في شؤم ولا سعادة هذا هو الأصل ومع ذلك جاءت روايات متعارضة في شأن الأربعاء وعلىٰ الأخص آخر أربعاء في الشهر وعلىٰ وجه أخص آخر أربعاء في صفر فمن الروايات الذامة ما يلي:

١- قوله صلىٰ الله عليه وسلم يوم الأربعاء يوم نحس مستمر قال السخاوي طرقه كلها واهية أقول جاء في تفسير قوله تعالىٰ ﴿ يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ ﴾ (القمز) عن ابن عباس كان آخر أربعاء في الشهر أفني صغيرهم وكبيرهم أقول فهو يوم نحس علىٰ الكفار الذين أصابهم العذاب ولا يلزم من ذلك استمرار النحس فيه إلىٰ يوم القيامة فافهم.

٢- روىٰ أبو يعلىٰ عن ابن عباس وتمّام في فوائده وابن عدي عن أبي سعيد مرفوعاً يوم الأربعاء لا أخذ ولا عطاء قال السخاوي إسناده ضعيف.

عن موسىٰ الرضا عن آبائه إلىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال يوم الأربعاء يوم شؤم يتطير فيه الناس ذكره الاثنا عشرية في كتبهم مسلسلاً بآل البيت ولا يصح عنهم رضي الله عنهم وأرضاهم والاثنا عشرية الإمامية يتشاءمون من يوم الأربعاء خصوصاً الذي لا يدور وهو آخر أربعاء في الشهر ففي وسائل الشيعة باب كراهة اختيار الأربعاء للسفر وطلب الحوائج خصوصاً في آخر الشهر وذكر الشيخ محمد الغوث منهم في كتابه المسمىٰ بالجواهر الخمسي أنه ينزل في كل

Scanned by CamScanner

سنة ثلاث مائة ألف ألف بلية وعشرون ألف كلها في يوم الأربعاء الأخير من شهر صفر فيكون ذلك اليوم أصعب أيام السنة وذكر الإمامية في كتبهم صلاة نافلة آخر ربوع من الشهر أربع ركعات يقرأ بعد الفاتحة في الأولى الكوثر ١٧مرة وفي الثانية الإخلاص ٣مرات وفي الثالثة الناس وفي الرابعة الفلق ولهم أدعية خاصة بآخر ربوع في صفر وكل ذلك من بدعهم وأباطيلهم وحاول هؤلاء الاستدلال بما في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول غطوا الإناء وأوكوا السقاء فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء وفي رواية أنه قال فإن في السنة يوماً ينزل فيه وباء وزاد في آخر الحديث قال الليث فالأعاجم عندنا يتقون ذلك في كانون الأول ا.هـ.

أقول كانون الأول هو ديسمبر ولا يلزمنا شيء من ذلك إذ لا حجة في فعل العجم ولا غيرهم من الناس إذ لم يكن للفعل مستنداً شرعياً وقد قال بعض الشراح إن ذلك اليوم ينزل فيه البلاء هو آخر ربوع من صفر ولا دليل على ذلك فغاية ما في الحديث الصحيح إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن يوم في السنة ينزل فيه البلاء ولم يرد تحديده ولا بيانه فنحن نؤمن بذلك اليوم الذي ينزل فيه البلاء ولا ندري ما زمانه والله أعلم وقابل هذا من جعل من يوم الأربعاء يوم سعد مستدلاً بما جاء في صحيح مسلم خلق النور يوم الأربعاء ومتنه منكر كما قرره جمع من الحفاظ وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن

Scanned by CamScanner

النبي صلى الله عليه وسلم دعا في مسجد الفتح ثلاثاً يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين فعرف البشر في وجهه قال جابر لم ينزل بي أمر مهم غليظ إلاّ توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الإجابة رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وجاء في رواية في جزء ابن الغطريف فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين الظهر والعصر قال المنذري إسناد أحمد جيد وقال الهيتمي في المجمع رجال أحمد ثقات وصححه السيوطي في سهام الإصابة وفي ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب رحمه الله في ترجمة إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الدمشقي وذكر من توخيّه أوقات الإجابة وأماكنها ويواظب على الدعاء يوم الأربعاء بين الظهر والعصر ا.هـ وفي تفسير القرطبي المالكي وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الإجابة وذلك كالسحر ووقت الفطر وما بين الأذان والإقامة وما بين الظهر والعصر في يوم الأربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض وعند نزول المطر والصف في سبيل الله كل هذا جاءت به الآثار ويأتي بيانها في مواضعها ومثله في تفسير ابن عادل الحنبلي وفي تفسير روح المعاني للألوسي الحنفي واستحب بعضهم غرس الأشجار فيه لخبر ابن حبان والديلمي مرفوعاً من غرس الأشجار يوم الأربعاء وقال سبحان الباعث الوارث آتته أُكلها ا.هـ.

Scanned by CamScanner

والذي يتلخص من هذا كله أن التشاؤم بالأيام والشهور منهي عنه في الإسلام فالأمور بيد الله يفعل الله ما يشاء ويختار فالأمور تجري بأسبابها بقدرة الله عز وجل وينبغي للمسلم إذا رأى ما يكره أن يقول ما جاء في الحديث عند أبي داود (اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الفأل ويكره الطيرة، والزمان كله خلق الله وفيه تقع أفعال بني آدم فكل زمان شغله المؤمن بطاعة الله زمان مبارك عليه وكل زمان شغله العبد بمعصية الله فهو مشؤوم عليه فالمشؤوم في الحقيقة هو معصية الله عز وجل كما قال ابن مسعود رضي الله عنه إذا كان الشؤم في شيء ففيما بين اللحيين يعني اللسان ا.هـ لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي.

وأختم هذه التعليقة بمقالة نفيسة لشيخ مشايخنا العلامة محمد الطاهر بن عاشور حيث قال بعد مقدمة عن اعتقادات أهل الجاهلية وإبطال الإسلام لها ومن الضلالات التي اعتقدها العرب اعتقاد أن شهر صفر مشؤوم وأصل هذا الاعتقاد نشأ من استخراج معنى مما يقارن هذا الشهر من الأحوال في الغالب عندهم وهو ما يكثر فيه من الرزايا بالقتال والقتل وذلك أن شهر صفر يقع بعد ثلاثة أشهر حُرُماً نسقاً وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وكان العرب يتجنبون القتال والقتل في الأشهر الحرم لأنها أشهر أمن قال الله تعالى ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ ﴾ (المائدة:٩٧) فكانوا يقضون الأشهر الحرم على إحن من تطلب الثارات والغزوات وتشتت حاجتهم في تلك الأشهر فإذا جاء صفر بادر كل من في نفسه

Scanned by CamScanner

حنق على عدوه فثاوره فيكثر القتل والقتال ولذلك قيل إنه سمي صفر لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من لقوه صفراً من المتاع والمال أي خلواً منهما قال الذبياني يحذر قومه من التعرض لبلاد النعمان بن الحارث ملك الشام في شهر صفر

لقد نهيت بني ذبيان عن أقر وعن تربعهم في كل أصفار

ولذلك كان كل من يريد العمرة منهم لا يعتمر في صفر إذ لا يأمن على نفسه فكان من قواعدهم في العمرة أن يقولوا إذا برأ الدبر وعفا الأثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر ثم قال بعد كلام فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشاؤم بصفر وذكر حديث الباب لا عدوى ولا طيرة ولا صفر رواه البخاري واختلف العلماء في المراد من صفر في هذا الحديث فقيل أراد الشهر وهو الصحيح وبه قال مالك وأبو عبيدة معمر بن المثنى وقيل أراد مرضاً في البطن سمي الصفر كانت العرب يعتقدونه معدياً وبه قال ابن وهب ومطرف وأبو عبيد القاسم بن سلام وفيه بعد لأن قوله لا عدوى يغني عن قوله ولا صفر وعلى أنه أراد الشهر قيل أراد إبطال النسيء وقيل أراد إبطال التشاؤم بشهر صفر وهذا الأخير هو الظاهر عندي ووجه الدلالة فيه أنه قد علم من استعمال العرب أنه إذا نفي اسم الجنس ولم يذكر الخبر أن يقدر الخبر بما يدل عليه المقام فالمعنى هنا لا صفر مشؤوم إذ هذا الوصف هو الوصف الذي يختص به صفر من بين الأشهر وهكذا يقدر لكل منفي في هذا الحديث على اختلاف رواياته بما يناسب معتقد أهل الجاهلية فيه وسواء كان هذا المراد من الحديث أم غيره فقد اتفق علماء الإسلام على

Scanned by CamScanner

أن اعتقاد نحس هذا الشهر اعتقاد باطل في نظر الإسلام وأنه من بقايا الجاهلية التي أنقذنا الله منها بنعمة الإسلام وقد أبطل الإسلام عوائد الجاهلية فزالت من عقول جمهور المؤمنين وبقيت بقايا في عقول الجهلة الأعراب البعداء عن التوغل في تعاليم الإسلام فلصقت تلك العقائد بالمسلمين شيئاً فشيئا مع تخييم الجهل بالدين بينهم ومنها التشاؤم بشهر صفر حتىٰ صار كثير من الناس يتجنب السفر في شهر صفر اقتباساً من حذر الجاهلية السرفية خوفاً من تعرض الأعداء ويتجنبون فيه ابتداء الأعمال خشية أن لا تكون مباركة وقد شاع بين المسلمين أن يصفوا شهر صفر بقولهم صفر الخير فلا أدري هل أرادو به الرد علىٰ من يتشاءم به أم أرادوا التفاؤل لتلطيف شره كما يقال للملدوغ سليم وأياً ما كان فذلك الوصف مؤذن بتأصل عقيدة التشاؤم بهذا الشهر عندهم ولأهل تونس حظ عظيم من اعتقاد التشاؤم بصفر لا سيما النساء ضعاف النفوس يسمينه ربيب العاشوراء ليجعلوا له حظاً من الحزن فيه وتجنب الأعراس والتنقلات ومن الناس من يزيد ضغثاً علىٰ إبالة فيضم إلىٰ عقيدة الجاهلية عقيدة أجهل منها وهي اعتقاد أن يوم الأربعاء الأخير من صفر هو أنحس أيام العام ومن العجب أنهم ينسبون ذلك إلىٰ الدين الذي أوصاهم بإبطال عقائد الجاهلية فتكون هذه النسبة ضلالة مضاعفة يستندون إلىٰ حديث موضوع يروىٰ عن ابن عباس أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر وقد نص الأئمة علىٰ أن هذا حديث موضوع فإذا ضم ذلك إلىٰ التشاؤم بشهر صفر من بين الأشهر أنتجت هذه المقدمات الباطلة نتيجة مثلها وهي أن آخر أربعاء من شهر صفر أشأم

Scanned by CamScanner

أيام العام وأهل تونس يسمونها الأربعاء الكحلاء أي السوداء كناية عن نحسبها لأن السواد شعار الحزن والمصائب عكس البياض.
قال أبو الطيب في الشيب:

أبعد بعدت بياضاً لا بياض له لأنت أسود في عيني من الظُلَمِ

وهو اعتقاد باطل إذ ليس في الأيام نحس قال مالك رحمه الله الأيام كلها أيام الله وإنما يفضل بعض الأيام بعضاً بما جعل الله له من الفضل فيما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأجل هذا الاعتقاد الباطل قد اخترع بعض الجهلة المركبين صلاة تصلى صباح يوم الأربعاء الأخير من صفر وهي صلاة ذات أربع ركعات متواليات تقرأ في كل ركعة سورة من القرآن مكررة متعددة وتعاد في كل ركعة ويدعو عقب الصلاة بدعاء معين وهي بدعة ضلالة إذ لا تُتَلقى الصلوات ذوات الهيئات الخاصة إلا من قبل الشرع ولم يرد في هذه الصلوات من جهة الشرع أثر قوي ولا ضعيف فهي موضوعة وليست من قبيل مطلق النوافل لأنها غير جارية على صفات الصلوات النوافل فليحذر المسلمون من فعلها ولا سيما من لهم حظ من العلم ونعوذ بالله من علم لا ينفع وهوى متبع ا.هـ مقال شيخ مشايخنا.

وقابل هذا التشاؤم من جعل من آخر أربعاء في صفر عيداً بلبس جديد الثياب ومضاهاة عيد الفطر والأضحى وهذا غلو مرفوض وميزان الحق الاعتدال لا إفراط ولا تفريط فالأيام خلق الله والله يفعل ما يشاء ويختار والله أعلم.

Scanned by CamScanner

ومنه يعلم حكم تعظيم أول خميس من رجب(١) وآخر خميس منه ونحو ذلك والله أعلم.

---

(١) هنا مسألتان:

الأولى: يذكر الشيعة في كتبهم أعمال أول خميس من رجب وذكروا لتلك الأعمال فضائل كبيرة ذكرها السيد في الإقبال والمجلسي في إجازة بني زهرة وصاحب جواهر البحار ذكر في ج٩٥كتاب أعمال الأيام وذكر ما يتعلق بأول خميس من رجب ولهم في هذا اليوم استحباب الصيام وفي ليلة الجمعة الأولى من رجب صلاة ابتدعوها يسمونها صلاة الرغائب وتُسمّى أيضاً الصلاة الإثناعشرية وهي عبارة عن اثني عشر ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليم يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وإنا أنزلناه في ليلة القدر ٣مرات وقل هو الله أحد اثنا عشر مرة فإذا فرغ منها صلى على النبي بصيغة معينة ٧٠ مرة ثم يسجد ويأتي بأنواع من الدعاء إلى آخر ما ذكروا من البدع والأباطيل التي لا تصح نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن رجب الأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب أول ليلة جمعة من شهر رجب كذب وباطل لا يصح ا.هـ هذا كله من البدع التي يلزم اجتنابها وهي من دسائس الشيعة، ومن الأباطيل قول بعض العامة عند غسل أولاده أول خميس في رجب يا خميس أول رجب نجنا من الحصبة والجرب ويسمونه كرامة رجب فهذا كله باطل وظلال لا يصح والله أعلم.

Scanned by CamScanner

المسألة الثانية: عناية أهل تهامة باليمن بأول خميس من رجب على أساس تاريخي يقول إن دخول الإسلام إلى اليمن كان بتهامة يوم الخميس الأول من رجب وفي الجبال يوم الجمعة الأولى من رجب فيظهر الناس الفرح والسرور بنعمة الإسلام على أهل اليمن فهذا أمر حسن وقد جاء ما يدل على الفرح بنعمة الإسلام فيما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال خرج معاوية رضي الله عنه على حلقة في المسجد فقال ما أجلسكم؟ قالوا جلسنا نذكر الله قال آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا ما أجلسنا إلا ذاك قال أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله أقلّ عنه حديثاً مني إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم؟ قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا قال آلله ما أجلسكم إلا ذاك قالوا والله ما أجلسنا إلا ذاك قال أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة ا.هـ ولا بد أن يكون الاحتفاء بنعمة الإسلام علينا بما يوافق شرع الله ويظهر شكر النعمة والله أعلم.

Scanned by CamScanner

تنبيه:

حديث من بشرني بخروج صفر بشرته بدخول الجنة وحديث من بشرني بخروج نيسان ضمنت له الجنة وحديث من بشرني بخروج آذار بشرته بالجنة موضوعة مكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم كما نص على ذلك الحفاظ(١) والله أعلم.

وقول السائل ما حكم ما يفعله بعض الناس من الترشرش بالماء في يوم عاشوراء واتخاذ هذا اليوم عيداً واجتماع الصبيان إلى أبواب البيوت بزجر وصياح لأجل الاستعطاء من أهل المحلات فمن أعطاهم أثنوا عليه ومن منعهم سبوه ومزقوا عرضه وما حكم إيقاد النار في رؤوس الجبال في ليلة عاشوراء؟

جوابه هذه الأفعال كلها من البدع وقد روي في بعض الأحاديث أصحاب البدع كلاب النار(٢) وقد سئل عن مثل هذا السؤال علامة عصره مفتي الديار اليمنية السيد سليمان بن يحي بن عمر الأهدل الزبيدي(٣) فأجاب بقوله لا أصل لما ذكر في السنة الرفيعة وإنما هذه الأفعال من جملة البدع المحدثة الشنيعة المستبشعة الفضيعة التي

---

(١) منهم العجلوني في كشف الخفا والشوكاني في الفوائد المجموعة وملا علي القاري في الأسرار المرفوعة وابن تيمية.

(٢) حديث كلاب النار أهل البدع رواه أحمد والدار قطني في الأفراد كما في كنز العمال واللالكائي والآجري من حديث أبي أمامه مرفوعا ورواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن أبي أوفى وسنده ضعيف.

(٣) أحد أعيان علماء الشافعية بزبيد توفي سنة ١١٩٧ هـ.

Scanned by CamScanner

تؤذن بقلة اكتراث مرتكبيها بالدين وانخراطهم في مسلك الشياطين وقد ظهر في هذا اليوم أعني يوم عاشورا من أنواع البدع غرائب وعجائب أصل نشؤها غلو طائفتين مبتدعتين وهما الرافضة والخوارج أما الأولى فغلوها في حب سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما المقتول في مثل هذا اليوم اتخذته مأتماً ذكر الذهبي في العبر أن في سنة ٣٥٢هـ ألزم معز الدولة أهل بغداد بالنوح والمأتم على الحسين رضي الله عنه وأمر بغلق الأسواق ومنع الطباخين من عمل الأطعمة وخرجت نساء الرافضة منشرات الشعور مضمخات الوجوه يلطمن ويفتن الناس وهذا أول ما نيح عليه رضي الله عنه و في هذه السنة أيضاً عملت الرافضة عيد الغدير في ١٨ذي الحجة وصلوا صلاة العيد بالصحراء انتهى كلام الذهبي (وأما الثانية فغلوها في بغضه رضي الله عنه) اتخذته عيداً وكلتا الطائفتين مبتدع خارج عن السنة وقد ذكر العلماء أنه لم يرد عنه صلى الله عليه وسلم في وظائف يوم عاشورا شيئاً يصح لأن مجموع ما ورد فيه موضوع كما في سفر السعادة للمجد الشيرازي مؤلف القاموس عن الحاكم ومن جملتها الاكتحال اتفقت أئمة الحديث على أن الاكتحال فيه بدعة والمراد تخصيصه بذلك فمن فعله فيه لحاجة له إليه حينئذ فلا بأس به نعم جاء في أمر التوسعة على العيال فيه ما يعول عليه كما في جواهر العقدين للسمهودي(١) في هذا.

---

(١) التوسعة على الأهل والعيال يوم عاشوراء سنة نبوية جليلة قواها كبار الحفاظ ونص على استحبابها فقهاء المذاهب الأربعة وجرت عليها عادة جماهير الأمة عبر الأمصار والأعصار وقد جاءت عن النبي صلى

Scanned by CamScanner

الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة منهم جابر بن عبدالله وعبدالله بن مسعود وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم وأمثل هذه الطرق وأقواها حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أخرج الحافظ أبو عمر بن عبد البر في الاستذكار من طريق شعبة عن أبي الزبير عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم يقول من وسع علىٰ نفسه وأهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته قال جابر بن عبدالله جربناه فوجدناه كذلك وقال أبو الزبير مثله وقال شعبة مثله قال الحافظ أبو الحسن بن القطان في فضائل عرفة إسناد هذا الحديث حسن قال الحافظ العراقي في جزء التوسعة هو علىٰ شرط مسلم وقد ورد الأثر بهذه السنة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخرج الدار قطني في الأفراد وابن عبد البر في الاستذكار عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال من وسع علىٰ أهله يوم عاشورا وسع الله عليه سائر سنته قال يحي بن سعيد جربنا ذلك فوجدناه حقاً قال الحافظان العراقي والسخاوي إسناده جيد وقال سفيان بن عيينة جربنا ذلك خمسين سنة فلم نر إلاَّ سعة وسنة التوسعة قوّاها جمع من الحفاظ كالإمام عبد الملك بن حبيب من المالكية والحافظ البيهقي وأبي موسىٰ المديني وأبي الفضل ابن ناصر والعراقي والحافظ ابن حجر في الأمالي والسخاوي والسيوطي وغيرهم ومن ضعف أسانيد أحاديثها أو بعضها فقد قواها بمجموعها كما صنع البيهقي في الشعب حيث قال وهذه الأسانيد وإن كانت ضعيفة فهي إذا ضم بعضها إلىٰ بعض أخذت قوة والله أعلم

Scanned by CamScanner

ونقل الحافظ ابن الملقن في شرحه على البخاري عن أبي موسى المديني قوله في حديث التوسعة حديث حسن وقال الحافظ السيوطي في الدرر المنتثرة رداً على من ضعف حديث التوسعة كلا بل هو ثابت صحيح وقد نص علماء المذاهب الأربعة على استحباب التوسعة يوم عاشوراء قال الحافظ البدر العيني في شرح معاني الآثار وبالجملة هو يوم عظيم معلوم القدر عند الأنبياء والنفقة فيه مخلوفة ثم روى حديث جابر ا.هـ.

وقال ابن عابدين نعم حديث التوسعة ثابت صحيح كما قال الحافظ السيوطي في الدرر ا.هـ رد المحتار وقال ابن العربي المالكي في شرح الموطأ وأما النفقة فيه والتوسعة فمخلوفة باتفاق إذا أريد بها وجه الله وأنه يخلف الله بالدرهم عشراً وقال العلامة الصاوي في حاشيته على الشرح الصغير ويندب في عاشوراء التوسعة على الأهل والأقارب وفي حاشية الجمل من كتب الشافعية ويستحب فيه التوسعة على العيال والأقارب والتصدق على الفقراء والمساكين من غير تكلف فإن لم يجد شيئاً فليوسع خلقه ويكف عن ظلمه ا.هـ وجاء في المبدع شرح المقنع من كتب الحنابلة ينبغي فيه التوسعة على العيال سأل ابن منصور أحمد عنه قال نعم وعلى هذا فلا عبرة بمن أنكر ذلك والله أعلم.

Scanned by CamScanner

وبالجملة فلا يصح في هذا الباب شيء سوى الصوم(١) قال ابن القيم وقد اتخذه بعض الجهال للإدِّهان والتزين والاكتحال وجعلوه موسماً لذلك كالعيد وقابلهم آخرون بأفسد من فعلهم فاتخذوه مأتماً وعكفوا فيه على التألم والحزن لأجل استشهاد سيدنا الحسين رضي الله عنه فيه والطائفتان مبتدعتان خارجتان عن السنة.

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم النبي صلىٰ الله وآله وسلم المدينة فرأىٰ اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال ما هذا قالوا هذا يوم صالح هذا يوم نجىٰ الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسىٰ قال فأنا أحق بموسىٰ منكم فصامه وأمر بصيامه أخرجه البخاري في صحيحه وعن السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم (كان يصوم عاشوراء) رواه مسلم وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال (صيام يوم عرفة أحتسب علىٰ الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده وصيام يوم عاشوراء أحتسب علىٰ الله أن يكفر السنة التي قبله أخرجه مسلم فصيام عاشوراء سنة قولية وفعلية عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ويترتب عليه تكفير ذنوب سنة قبله كما في الحديث أعلاه وصيامه علىٰ ثلاث مراتب أعلاها صيام التاسع والعاشر والحادي عشر وثانيها صيام العاشر مع يوم قبله أو يوم بعده وثالثها الاقتصار علىٰ صيام عاشورا وهو لا يخرج الصيام عن كونه سنة عند الشافعية ويرىٰ الحنفية أن الاقتصار علىٰ صيام العاشر وحده مكروه تنزيهاً.

Scanned by CamScanner

قال بعض العلماء وما أصاب سيدنا الحسين في هذا اليوم إنما هو كرامة له من ربه تعالى ومزيد حظوة ورفعة درجته فالذي ينبغي للموفق إذا حضره هذا اليوم وتذكر فيه تلك المصيبة أن يشتغل بكثرة الاسترجاع والأعمال الصالحة ما استطاع مع صومه له لحثه صلى الله عليه وسلم على صيامه وليحذر من قصد تخصيصه بشيء مما ابتدعه أهل الجهالات والله سبحانه الموفق وقال الشيخ ابن حجر في الصواعق المحرقة وإياك ثم إياك أن تشتغل فيه ببدع الرافضة ونحوهم من الندم والنياحة والحزن(١)

---

(١) وضرب الجسد وإسالة الدم ونحو ذلك من التصرفات والمظاهر المخالفة للشريعة بدعة مذمومة لا يجوز إتيانها وقد جاء في ذم النياحة نصوص كثيرة منها:

ما في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس مِنّا من ضرب الخدود وشقّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية) وفي الصحيحين (بريء رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصالقة والحالقة والشاقة).

الصالقة: هي التي ترفع صوتها بالندب.

والحالقة: التي تحلق رأسها عند المصيبة.

والشاقة: التي تشق ثوبها.

Scanned by CamScanner

وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة وقال النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم (صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة مزمار عند نعمة ورنة عند مصيبة) رواه البزار ورواته ثقات قاله المنذري رحمه الله، وعند أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد حسن كما قاله المنذري لما افتتح رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مكة رن إبليس رنة اجتمعت إليه جنوده فقال إيأسوا أن تردوا أمة محمد علىٰ الشرك بعد يومكم هذا ولكن افتنوهم في دينهم وأفشوا فيهم النوح وعند أبي داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم النائحة والمستمعة فكما يحرم فعل النياحة يحرم استماعها فكن من هذا علىٰ بال والله أعلم.

Scanned by CamScanner

إذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين وإلاَّ لكان يوم وفاته صلى الله عليه وسلم أولى بذلك وأحرى(١)

---

(١) وهو سيد الأولين والآخرين صلىٰ الله عليه وسلم وقد مات الصديق رضي الله عنه مسموماً وخرج الفاروق من الدنيا شهيداً طعن وهو يصلي بالناس الفجر وكذا عثمان رضي الله عنه خرج شهيداً صائماً وسال دمه علىٰ القرآن الكريم وكذا علي رضي الله عنه خرج من الدنيا شهيداً وهو خارج من بيته لصلاة الفجر ومات الحسن رضي الله عنه مسموماً وخرج أسد الله حمزة من الدنيا شهيداً وكم من الصحب الكرام نال الشهادة ومات أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم ورضي الله عن أمهات المؤمنين ومات إبراهيم ابن رسول الله والقاسم وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ولم يحصل شيء من هذه النياحة ومعلوم ما قاله النبي صلىٰ الله عليه وسلم يوم مات ولد بنته لله ما أعطىٰ ولله ما أخذ ولتصبر ولتحتسب وما قاله يوم وفاة ولده إبراهيم إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون وكل هؤلاء سبقوا الحسين رضي الله عنه إلىٰ الجنة ولم يثبت عن الحسين أنه فعل هذه المآتم علىٰ جده صلىٰ الله عليه وسلم ولا علىٰ الخلفاء الأربعة ومنهم والده علي رضي الله عنه ولم يفعل ذلك علىٰ أمه بضعة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ولا علىٰ أخيه الحسن بل نقل الشيعة أنفسهم عن الحسين رضي الله عنه نهيه عن النياحة جاء في بحار الأنوار للمجلسي ج٨٢صـ١٠٣ ووسائل الشيعة ج١٢صـ٩٠عن أبي عبد الله قال من أنعم الله عليه بنعمة فجاء عند تلك النعمة بمزمار فقد

Scanned by CamScanner

كفرها ومن أصيب بمصيبة فجاء عند تلك المصيبة بنائحة فقد كفرها وفي رواية فقد أحبطها وجاء في منتهى الآمال للقمي ج١ص٤٨١ والملهوف لابن طاووس صـ٥٠ قال الحسين لأخته زينب يا أخيه اتقي الله وتعزي بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأن أهل السماء لا يبقون وأن كل شيء هالك إلا وجه الله تعالى الذي خلق الخلق بقدرته فيعودون وهو فرد وحده أبي خير مني وأمي خير مني وأخي خير مني ولي ولكل مسلم برسول الله أسوة فعزاها بهذا ونحوه ثم قال لها يا أختاه إني أقسمت عليك فأبري قسمي إذا أنا قتلت فلا تشقي عليّ جيباً ولا تخمشي وجهاً ولا تدعي عليّ بالويل والثبور وجاء في كتب الشيعة عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قوله في كتابه إلى رفاعة بن شداد إياك والنوح على الميت ذكره في بحار الأنوار وجامع أحاديث الشيعة وجاء في الكافي من كتبهم ج٣صـ ٢٢٦قول جعفر الصادق رضي الله عنه لا يصلح الصياح على الميت ولكن الناس لا يعرفون وقوله من ضرب يده على فخذه عند المصيبة حبط عمله وجاء في بحار الأنوار ج٨٢ صـ ١٢٨عن موسى بن جعفر الصادق قال نعي إلى الصادق جعفر بن محمد إسماعيل بن جعفر وهو أكبر أولاده وهو يريد أن يأكل وقد اجتمع ندماؤه فتبسم ثم دعا بطعامه وقعد مع ندمائه وجعل يأكل أحسن من أكله سائر الأيام ويحث ندماءه ويضع بين أيديهم ويعجبون منه لا يرون للحزن أثراً فلما فرغ قالوا يا ابن رسول الله لقد رأينا عجباً أُصِبتَ بمثل هذا الابن وأنت كما ترى قال مالي لا أكون كما ترون وقد جاء في خبر أصدق الصادقين إني ميت وإياكم

Scanned by CamScanner

أو يبدع الناصبة المتعصبين على أهل البيت والجهال المقبلين للفاسد بالفاسد والبدعة بالبدعة والشر بالشر من إظهار غاية الفرح والسرور واتخاذه عيداً وإظهار الزينة فيه كالخضاب والاكتحال ولبس جديد الثياب وتوسيع النفقات وطبخ الأطعمة والحبوب الخارجة عن العادات واعتقادهم أن ذلك من السنة والسنة ترك ذلك كله فإنه لم يرد في ذلك شيء يعتمد عليه ولا أثر صحيح يرجع إليه انتهى إذا علمت ذلك كله فالواجب على ولاة الأمر منع الرعاع والغوغاء المذكورين من الأفعال التي حكاها السائل وزجرهم عنها بما يرونه زاجراً لهم وكذا أولياء الصبيان المذكورين يجب عليهم نهيهم عن ذلك وكل قادر على النهي عن ذلك من قادة الناس فعليه النهي عنه ويثاب على ذلك الثواب الجزيل بالقصد الجميل والله الموفق انتهى.

=وإن قوماً عرفوا الموت فجعلوه نصب أعينهم ولم ينكروا من خطفه الموت منهم وسلموا لأمر خالقهم عز وجل وفي فقه الشيعة قول الطوسي في المبسوط ج١ص١٨٩ البكاء ليس به بأس وأما اللطم والخدش وجز الشعر والنوح فإنه كله باطل محرم إجماعاً فماذا بقي لأباطيل أرباب الحسينيات بعد هذا الذي حررته والله أعلم.

Scanned by CamScanner

تنبيه:

ما يذكر في كتب الترغيب أن آدم عليه السلام تاب الله عليه في يوم عاشورا واستواء سفينة نوح على الجودي كان يوم عاشورا وإبراهيم نجاه الله من النار يوم عاشورا وفداء الذبيح بالكبش يوم عاشورا وأيوب عافاه الله من البلاء في يوم عاشورا ويونس أخرجه الله من بطن الحوت يوم عاشوراء ويعقوب اجتمع بيوسف يوم عاشوراء والتوراة نزلت يوم عاشوراء وما أشبه ذلك من الأخلاط فكله كذب لا أصل له انتهى(١).

---

(١) والأمر كما قال المؤلف رحمه الله فإنه لم يصح من هذه الأخلاط شيء عن النبي صلى عليه وسلم غير أن يوم عاشوراء يوم نجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وجنده واستواء سفينة نوح على الجودي في يوم عاشوراء جاء في رواية للإمام أحمد من طريق شبيل بن عوف عن أبي هريرة رضي الله عنه وهو اليوم الذي استوت فيه السفينة على الجودي فصامه نوح شكراً ذكره الحافظ في الفتح ولم يتكلم عنه بشيء فهو حسن عنده كما تقرر في محله وجاء في الجملة ما يدل على أن يوم عاشوراء يوم توبة أي زماناً لقبولها وإجابتها فعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن كنت صائماً شهراً بعد رمضان فصم المحرم فإنه شهر الله فيه يوم تاب فيه على قوم ويتوب فيه على قوم آخرين) رواه ابن أبي شيبة في المصنف والترمذي وحسّنه والدارمي وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً هذا يوم تاب الله فيه على قوم فاجعلوه صلاة وصوماً يعني يوم عاشوراء أخرجه الحافظ

Scanned by CamScanner

أبو موسىٰ المديني وحسنه وكان الحنفاء يدلون أهل الجاهلية علىٰ التوبة من الذنوب العظام في يوم عاشوراء فعن دلهم بن صلاح الكندي قال سألت عكرمة عن صوم يوم عاشوراء ما أمره؟ قال أذنبت قريش ذنباً في الجاهلية فعظم في صدورهم فسألوا ما تبرئتهم منه؟ قالوا صوم يوم عاشوراء يوم عشر من المحرم أخرجه أبو بكر الباغندي المتوفىٰ ٢٨٣هـ في أماليه وعن الأسود بن يزيد وقال سألت عبيد بن عمير عن صوم عاشوراء فقال إن قوماً أذنبوا فتابوا فيه فتيب عليهم فإن استطعت أن لا يمر بك إلا وأنت صائم فافعل أخرجه ابن جرير في تهذيب الآثار وتوبة الله فيه علىٰ آدم مروية عن ابن عباس وعبيد بن عمير وعكرمة وقتادة وغيرهم من السلف كما في كتب المفسرين والله أعلم.

Scanned by CamScanner

وقول السائل ما هو الزار وهل يجوز ضرب الدف لأجل التداوي من الزار أم لا؟

جوابه قد سئل عن هذا شيخ مشايخنا السيد محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل فأجاب بقوله قال في القاموس الزور وسط الصدر العقل والخيال يرى في النوم انتهى وبهذا يعلم أن الذي تسميه الناس الزار أصله الزور بالواو وقلبوها ألفاً فقالوا زار وأنه يراه الشخص في نومه فيفزع لذلك وربما يرى أنه يجامعه ويلاعبه فيحدث من ذلك أمراض ردية وأفكار ربما إن استمرت به أفضى به ذلك إلى الخفقان بل وإلى الجنون وهو في الأصل من عشق الجني للإنسي كما أخبرني من وقع له ذلك وكان يأتيه عند نومه صورة امرأة حسنة تلاعبه وتوانسه وربما واقعها ولم تزل به حتى خشي أن يهلك وعولج بشيء من أسماء الله تعالى وحجابات تمنع وصول تلك الصورة إليه فحجبه الله عنها وبريء فالزار حينئذ مرض من الأمراض التي تصيب بني آدم ويطلب علاجها فمن عرف لذلك دواء لم يعرف في الشرع حرمته جاز له أن يعالج به فإن انتفع بالضرب بالدف واللعب غير المحرم جاز ذلك فقد يكون في ذلك شفاؤه لأن الحركات لها تأثير في دفع بعض الأمراض عن البدن فان اقترن بذلك اجتماع رجال ونساء محرم حرم حينئذٍ لعارض الاجتماع وقد قال الشيخ الجرهزي(١) في جواب له على هذه المسألة أن فعل النساء لمن بها ذلك جائز لأن ضرب الدف والغناء لمن ينفعه ذلك دواء يجوز فعله إذ للنغمات تأثير في النفوس فتستلذ النفوس وتقوى

---

(١) أحد أعيان علماء الشافعية بزبيد توفي سنة ١٢٠١هـ.

Scanned by CamScanner

وكلما قويت اندفع الشيطان كما هو المشاهد هذا ما انخط عليه جوابه ولو اعتقد أحد مثلاً أن المريض من الزار فيه شيطان يخيل له تخيلات فاسدة وأنه يخرج بضرب الدف ونحوه مما لا حرمة فيه فلا محذور في الاعتقاد المذكور لأن الشيطان قد يدخل جوف الإنسان كما يفيده قوله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم(١)

وقد قال العلماء الأصح أن دخول الجني في الإنسي ممكن قال الشيخ العلامة سليمان بن إبراهيم العلوي الزبيدي الناس مجمعون على وجود ذلك انتهى جواب شيخ مشايخنا وفي روض المجال في الرد على أهل الضلال ومن الألفاظ المقربة للكفر قول شيخة الزار وقت غنائها يا حبيبي وتعني بذلك الشيطان المارد حقها الذي هو من الجن وقد ثبتت عداوته بنص القرآن الشريف لبني آدم فكيف يقال له يا حبيبي أو يا خليلي أو يا سيدي مثلاً فليحترز من هذا القول غاية الاحتراز نعوذ بالله من الهوى والهوان وتسلط الجان والنفس الأمارة بالسوء والخذلان انتهى كلام روض المجال(٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) ذكر العلامة محمد بن حسن فرج توفي سنة ١٣٠٦هـ في كتابه النفحة العطرة ج٤صـ٤٤٣ نص جواب الجرهزي عن الزار الذي لخصه المصنف هنا وتعقبه بقوله قلت ما أجاب به رحمه الله بناه على ما ذكر في السؤال من أن الجني يخرج بما يفعله النسوة من ضرب الدف ووجود النغمات والحقيقة كلها على خلاف ذلك كما هو محقق لدى المزوّرات من الأمور التي لو اطلع المجيب على بعضها لجزم بحرمة

Scanned by CamScanner

ذلك ولم يتوقف وقد سمعت بعض ذلك وتحققته من غير طريق فالبعض مما يتظاهر به النساء والبعض مما يتكلم عنه فأما خروجه بالمرة بمعنى أنه يفارق صاحبته ولا يعود إليها فذلك أمر مقطوع عندهم بعدمه ولا يرتبون عليه أمورهم ولا يخطر لهم ببال بل الواقع أن الجني إذا عشق المرأة لحقها مرض شديد بالمرة ولا يرتفع عنها ذلك المرض إلا إذا التزم له النسوة بما يريده من الذبح وصوغ شيء من الفضة تلبسه المرأة كالخواتم والخيشات ونحو ذلك ويسمون ذلك التحكيم وإذا حصل ذلك الالتزام ارتفع المرض حالاً ثم بعد ذلك متى ضرب لها الدف على الكيفية المعروفة نزل ولعبت المرأة وحصل لها عدم الشعور وحينئذ يقال يحصل استعمال الشيطان لها وقد أخبرني بعض من أثق به أنه حصل للنساء من أجواره حضرة فيها ضرب دفٍ للزار واجتماع كثير من المزورات وعنده بعض العارفين وهو في سن التمييز فكتب له في جبينه ويديه ودخل على أولئك النساء فحلف بالله العظيم أنه رأى على رقبة كل امرأة قرداً وهو يقبلها حال اللعب ومن العجب أن النسوة يسمون الزار سيداً أو شريفاً ويقولون له الله ينفعنا بهم وببركاتهم ويقولون بعضهم أشراف وبعضهم غير أشراف فانظر إلى هذا الجهل والغرور من جعل الكافر بالله شريفاً ومن أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيداً من سادات الناس وجعله من جملة السادة ويعتقدون في ذلك الكافر الخير وقد أخبرني بعض الثقات من النساء أن بعض النساء يمنعها قراءة القرآن وأموراً يذكرها النساء منها أنه إذا لم يرض بالتزوج ولم تتزوج المرأة فإن تزوجت حصل الضرر على

Scanned by CamScanner

الزوج أو عليها وبينت أموراً لم يسع التكلم بها والناس في هذا الداء وهذا التداوي مغرورون مخادعون لبسّ عليهم إبليس وجنوده ودس لهم في ذلك دسائس كثيرة ويظن الجهال أن ذلك مرض من جملة الأمراض يزول بهذا العلاج وما عرفوا حقيقة الأمر المعروفة عند الشارع وهي أن الشيطان يوصل النفع للإنسان إذا أطاعه في المعصية إما معصية مجردة عن الكفر أو مقرونة به وحينئذ يساعد الإنسان على ما يطلبه ويعينه عليه فهو يكفي المرأة شدة المرض إذا رضيت به يكون عاشقاً لها متحكماً فيها بما يشاء ولا يرتفع شر مرضه إلا إذا تحكمت له ووقعت تحت طاعته فيظن الجاهل أنها انتفعت وهي انتفعت من بعض دنياها ومحقت دينها ولهذا لا يلحق إلا بعض الفاسقات والمخدوعات وأما النساء الصالحات المحفوظات من رب السموات والأرض فلا يتداوين إلا من أرباب الصلاح بالرقى الشرعية والأوفاق الجائزة والرواتب المحمدية ونحو ذلك عافانا الله وجميع المسلمين من اتباع الشيطان وحزبه وحفظنا إلى أن نلقاه محبين محبوبين بجاه سيد خلقه وشفيعهم صلى الله عليه وسلم وبما قررناه يعلم أن الزار الموجود من قبيل الشيطان لا من قبيل السحر والكهانة فإنهما علمان معروفان غير الزار المذكور وأما الضمان به فإذا وجد من صاحبه أمور موجبة للضمان وثبت ذلك على وجه الشرع وجب وإلا فلا والله أعلم ا.هـ جواب العلامة محمد حسن فرج رحمه الله.

Scanned by CamScanner

وجاء في فتاوىٰ دار الإفتاء المصرية ما نصه (الزار نوع من دجل المشعوذين الذين يوحون إلىٰ ضعفاء العقول والإيمان بأن المريض أصابه مس من الجن وأن لأولئك الدجالين القدرة علىٰ علاجه وتخليصه من آثار هذا المس بطرقهم الخاصة ومنها إقامة الحفلات الساخرة المشتملة علىٰ الاختلاط بين الرجال والنساء بصورة مستهجنة والإتيان بحركات وأقوال غير مفهومة والزار بطريقته المعروفة أمر منكر وبدعة سيئة لا يقرها الدين ويزداد نكراً إذا اشتملت علىٰ شرب الخمور وغير ذلك من الأمور غير المشروعة التي أشار إليها السائل أما ما قد يصاحب حفلات الزار من إقلاق الراحة والأضرار الأخرىٰ التي ذكرها السائل فهي أمور لا تقرها الشريعة ويستطيع من لحقه شيء من هذه الأضرار أن يلجأ إلىٰ الجهات المختصة لمنع ذلك ا.هـ.

أقول الذي يتلخص من مسألة الزار ما يلي:

١- جرىٰ الخلف في حقيقة الزار هل هو داء من الأدواء أم ضرب من الوهم والخيال وعلىٰ الثاني فهو ممنوع ابتداءً.

٢- وعلىٰ القول الأول بأنه مرض اختلف فيه هل هو من السحر والكهانة أم من مس الشيطان.

٣- الذي عليه الأكثر أنه من قبيل مس الشيطان.

٤- الرقية الشرعية هي العلاج الصحيح لهذا الداء.

٥- يجوز استعمال الدف بالطريقة المشروعة لمعالجة هذا المرض إن احتيج إلىٰ ذلك.

Scanned by CamScanner

٦- الدجل الحاصل في مسألة الزار والتحكيم المشار إليه والرقص الصاخب والاختلاط المحرم والكلمات غير المفهومة والاعتقادات الفاسدة والمعاشرة الباطلة بين الجن والإنسية المصابة بالزار وما شابه ذلك من أكل أموال الناس بالباطل وخداعهم إن مثل هذه الأمور الشنيعة تخرج الزار من المرضية إلى الدجل والمخالفة للشريعة وكل ذلك باطل ومحرم ومذموم لا يجوز إقراره وإقلاق السكينة العامة وإزعاج الجيران لا يجوز شرعاً والله أعلم.

Scanned by CamScanner

وأفتى أيضاً شيخ مشايخنا السيد محمد بن أحمد بأن الزار عيب في الرقيق وغير عيب في النكاح قال وهو ظاهر من كلامهم لأن العيب في الرقيق ما نقص العين أو القيمة وهذا ينقصها وفي النكاح محصور فيما ذكروه من العيوب الخمسة وليس هذا منها والداخل في عموم كلامهم بمنزلة المنصوص عليه انتهى والله أعلم وقال شيخ مشايخنا أيضاً في فتاويه وأمر الزار مشهور فحيث أرسل صاحب الزار زاره إلى أجد وناله منه ضرر فحاله كحال السحر لأنه يعمل عمله فقد ذكروا أن السحر يمرض ويقتل وهذا كذلك على أنه عند التحقيق نوع من أنواع السحر لترتبه على استخدام روحانية الجن والشياطين قال ولو اعترف بقتله بالعين فلا ضمان ولا كفارة والمؤثر هو الله تعالى ا.هـ.

Scanned by CamScanner

وقول السائل ماهي البُدَة وهل تميت الشخص ثم تحييه وتقلبه حماراً أم لا أوضحوا لنا ما قيل فيها مع البسط جزيتم خيرا؟

جوابه قال في الفوائد المكية قال إسحاق بن محمد جعمان فعل البدة من السحر الحرام فيجب على الحاكم زجرهم وتأديبهم بما يراه زاجراً لهم ومن جملة أفعالهم أنهم يقلبون الإنسان حماراً وهذا غير مستبعد منهم فقد قال البغوي في تفسيره إن السحر يؤثر في قلب الأعيان فيجعل الآدمي على صورة حمار ويجعل الحمار على صورة كلب وأكثر ما يوجد هذا الفعل من خبيث النساء وهو يؤيد قول الفخر الرازي إن السحر والعين لا يكونان في فاضل انتهى ما قاله في الفوائد المكية.

قلت قال الجمل في حاشيته على الجلالين وذهب قوم إلى أن الساحر قد يقلب بسحره الأعيان ويجعل الإنسان حماراً بحسب قوة السحر وهذا واضح البطلان لأنه لو قدر على هذا لقدر أن يرد نفسه إلى الشباب بعد الهرم وأن يمنع نفسه من الموت ا.هـ كلام الجمل.

Scanned by CamScanner

وذكر شيخ مشايخنا السيد محمد بن أحمد في حاشيته على شرح ابن قاسم الغزي على مختصر أبي شجاع في كتاب الجنايات ما لفظه قلت ومن ذلك ما هو مشهور في أرضنا باليمن من أمر البدة فإنها تقتل الشخص ثم تعود فيه الحياة فبعود الحياة يسقط عنها القصاص والدية كما هو ظاهر وقد أخبرني الثقة أن امرأة ماتت بالبدة ودفنت بعد الغسل والتكفين والصلاة ثم حرس أبوها قبرها في الليل فجاءت امرأة في صورة حمار ثم انقلبت في صورة طائر ثم في صورة كلبة فإذا هي آدمية قائمة ثم دنت من القبر ونادت الميتة فأخرجتها فأمسكها أبوها وذهب بها إلى بيته كأن لم يكن بها شيء وعاشت بعد ذلك زماناً طويلا انتهى كلام شيخ مشايخنا في حاشيته.

وكتب عليه تلميذه شيخنا العلامة وحيد عصره وفريد زمانه مفتي الإنس والجن السيد محمد بن عبد الرحمن بن حسن عبد الباري الأهدل ما لفظه قلت إن شيخي المذكور رجع عن هذا الكلام في آخر عمره وكان ينكره ويقول إنها من العين والعين حق بنص الحديث انتهى ما كتبه شيخنا وفي الفوائد المكية والذين يؤذون بالعين تختلف أحوالهم في ذلك فمنهم من يصيد بالعين الطير من الهواء ويقلع الشجر العظيم من الثرى وآخر إنما يصل لتمريض لطيف ومن خواص النفوس ما يقتل وفي الهند جماعة إذا ركبوا أنفسهم لقتل شخص مات ثم إن شق صدره في الوقت لا يوجد قلبه لانتزاعهم له من صدره بالهمة والعزم ويجربون ذلك بالرمان فيجمعون عليه همتهم فلا توجد فيه حبة وفي اليمن قوم يسمون أنفسهم بالبداة فعلهم يقارب فعل هؤلاء انتهى

Scanned by CamScanner

كلام الفوائد المكية فإذا علمت هذا عرفت أن فعل البدة من باب الإصابة بالعين الخبيثة ففي الحديث العين حق تستنزل الحالق أي الجبل العالي تدكدكه(١).

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً (العين حق تستنزل الحالق) أخرجه أحمد والحاكم وهو حديث حسن وعند أحمد في مسنده وهو حديث صحيح عن أبي ذر رضي الله عنه إن العين لتولع بالرجل بإذن الله حتىٰ يصعد حالقاً ثم يتردىٰ منه قال المناوي في فيض القدير أي إن عين العائن من الإنسان أو الجان لتعلق بالرجل أي الكامل الرجولية فالمرأة ومن هو في سن الطفولية أولىٰ بإذن الله أي بتمكينه وإقداره حتىٰ يصعد حالقاً أي جبلاً عالياً ثم يتردىٰ ويسقط منه.

Scanned by CamScanner

وروي في الحديث أيضاً العين حق تدخل الرجل القبر والجمل القدر(١) أي فتنفصل من عين العاين قوة سمية تتصل ببدن المعيون

---

(١) أخرج أبو نعيم في الحلية وابن عدي بإسناد حسن عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (العين تدخل الرجل القبر وتدخل الجمل القدر) أي إذا أصابته مات أو أشرف على الموت فذبحه مالكه وطبخه في القدر يعني أن العين داء والداء يقتل ا.هـ وأخرج أحمد ومسلم قوله صلى الله عليه وسلم (العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين) وعند أحمد والترمذي وقال حسن صحيح من حديث أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله إن ولد جعفر تسرع إليهم العين أفأسترقي لهم؟ فقال نعم لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين قال الحافظ إنما جرى الحديث مجرى المبالغة في إثبات العين لا أنه يمكن أن يرد القدر شيء إذ القدر عبارة عن سابق علم الله وهو لا راد لأمره ا.هـ.

وحاصل المعنى لو فرض أن شيئاً له قوة بحيث يسبق القدر لكان العين لكنها لا تسبق فكيف غيرها ا.هـ.

والمطلوب الاستعاذة من العين فعند ابن ماجه قوله صلى الله عليه وسلم (استعيذوا بالله من العين فإن العين حق) وعند الترمذي وقال حسن غريب عن أبي سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما والمطلوب الرقية للعين ففي الصحيحين عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في بيتها جارية في وجهها

Scanned by CamScanner

فيخلق الله تعالى الهلاك عندها كما يخلقه عند شرب السم وهو في الحقيقة فعل الله تعالى ولا ينكر ذلك إلاَّ معاند ويقرب من ذلك المرأة

=سفعة فقال استرقوا لها فإن بها النظرة وجاء في الرقية من العين حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال رأىٰ عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل فقال ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة فلبط سهل فأتىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عامراً فتغيظ عليه وقال علام يقتُلُ أحدكم أخاه ألا بركت اغتسل له فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبته وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ثم صب عليه فراح سهل مع الناس ليس به أي بأس رواه مالك وأحمد ومما يدل علىٰ التبريك عند رؤية ما يعجب حديث عامر بن ربيعة قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم (إذا رأىٰ أحدكم من نفسه أو ماله أو من أخيه ما يعجبه فليدع بالبركة فإن العين حق) رواه الطبراني والحاكم ويندب كذلك أن يقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله روىٰ البزار وابن السني قوله صلىٰ الله عليه وسلم (من رأىٰ شيئاً يعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم تضره العين) وسنده ضعيف وذكر بعض العلماء أن مما ينفع للعين قول اللهم إني أسألك من فجأة الخير وأعوذ بك من فجأة الشر ثلاثا في الصبح وثلاثا في المساء إن كانت به عين ذهبت وإن لم تكن به عين كان ذلك الدعاء وقاية له وحفظا والرقية بالفاتحة ثابتة في الصحيح والفاتحة شفاء من كل داء إلا السام يعني الموت علىٰ لسان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فليحرص المعيون علىٰ قراءتها مع المعوذتين يحصل الشفاء بإذن الله عز وجل والله أعلم.

Scanned by CamScanner

الحائض تضع يدها في إناء اللبن فيفسد وتدخل البستان فتضر بكثير الغروس بغير مس والصحيح ينظر إلى الأرمد فقد يرمد ويتثاءب واحد بحضرته فيتثاءب هو ومن الأفاعي جنس إذا وقع بصره على الإنسان هلك ويمنع العاين من مداخلة الناس كالمجذوم بل أولى قاله المناوي في شرح الجامع الصغير والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقول السائل ما حقيقة النباش الذي يوجد في الجبال ويأكل الميتة وأنه لا ينبش إلاَّ من برجه الحمل.

جوابه قد سئل عن هذا شيخ مشايخنا السيد محمد بن أحمد عبدالباري الأهدل فأجاب بأن النباش المذكور في السؤال سبع متوحش من السباع الضارية يسكن المواضع البعيدة عن السكان له قوة عظيمة في الشم يدرك بها الموتى كما جعل الله تعالى للنسر قوة شم يدرك بها الميتات وليس هو شيطان كما يزعمه بعض الناس وأما كون ذلك مختصاً بمن نجمه الحمل فلعل ذلك والله أعلم أنه لما كان مرتسماً في أفكار العوام أن برج الحمل من مادة حمل بمعنى أخذ صاروا يحرصون على حراسة من كان برجه الحمل فيشاهدون النباش يقصده فظنوا أن ذلك مختص به وليس مختصاً به وليس كذلك بل يأخذ من قدر الله عليه ذلك ويأكله وليس أخذ النباش مزرياً بقدر الميت لأن كثيراً من الأخيار أكلتهم السباع وذلك من جملة ما تكفر به السيئات ويوجب له من الله تعالى المثوبات هذا ما انحط عليه جواب شيخ مشايخنا.

Scanned by CamScanner

وقول السائل ما هو المسفل وهل يعمل بقوله أم لا؟

جوابه قد سئل العلامة محمد بن زياد الوضاحي الزبيدي(١) عن المسفل بالسين المهملة والفاء وهو الذي يسئل عن أحوال الموتى فيخبر بها بعد أن ينام في محل خال من السكان فربما أخبر عن حال الميت وبأموره التي له أو عليه فتوجد كما أخبر فهل هذا من أخبار الجن للمسفل أم لا وأين يوجد هذا المسفل فأجاب بقوله أن المسفل المذكور يوجد في بلاد اليمن لا سيما في الجبال وأن ما يخبر به من قبيل الأخبار بالرؤيا المنامية ومن المقرر عند أصحابنا أنه لا يجب العمل بالرؤيا على الرائي فإذا أخبر عن الميت أنه يأمرهم برد الشيء الفلاني لصاحبه فلا يجب عليهم امتثال أمره فإن وقع في نفوسهم صدقه فالأولى لهم العمل بقوله حيث لا مانع كمحجور عليه في الورثة وقد عمل سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه بقول شخص من الصحابة بعد موته وليس للحاكم إجبار الورثة على العمل بقول المسفل المذكور وقد قالوا لا يجب العمل بما يراه النائم عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحكام مع أن رؤيته حق ولا يتمثل به الشيطان لأن الرائي لا يضبط انتهى جواب ابن زياد الوضاحي الشرعبي وهو غير ابن زياد المقصري المشهور عصري ابن حجر قلت وقد حدث الآن التنويم المغناطيسي والظاهر أن الذي يخبر به المنوَّم بفتح الواو في حال تنويمه من قبيل الأخبار بالرؤية المنامية مع أن المنوم بفتح الواو إذا استيقظ من التنويم لا يعلم ولا يدري ما قاله في تلك الحالة والله أعلم.

---

(١) أحد أعيان علماء الشافعية بزبيد توفي سنة ١١٣٥هـ.

Scanned by CamScanner

وقول السائل ما حكم عمل المقذِّي والمقذِّية؟

جوابه قد سئل عن هذا الكلام العلاّمة محسن بن علي الجبلي فأجاب بجواب مبسوط حاصله أن فعل المقذي ليس من قبيل السحر بل هو من قبيل الخواص وتعلق الوهم بحصول الشيء وأورد على ذلك شواهد من كلام الأطباء وغيرهم قاله العلامة عبد الرحمن بن سليمان الأهدل وسئل عن ذلك أيضاً العلامة لطف الله بن محمد حجر الزبيدي فأجاب بأن ما يخرجه المقذي من باطن الشخص مجرد تخيل لا حقيقة له أصلاً قال العلامة النمازي ولقد رأيت بعض السحرة يدخل قضيباً من حديد نحو الذراع في لسانه يكون بعد أن يدلعه حتى يكون خارجاً عن شفته نحو الكف ثم يتكفف الناس فهالني أمره ثم سألته برفق عن حقيقة ذلك فقال هو تخيل وكيف أدخله في لساني حقيقة ودون ذلك بكثير لا يمكن أحداً الصبر عليه انتهى قلت وقد رأيت بعض المقذين يجعل في أظفار يده كات هندي ويعجنه بالماء في العطبة حق المقذى التي يجعلها على البطن فترى كاللقمة في رأي العين بسبب الكات الهندي فأنكرت عليه ذلك فاختلس وقد ذكر طنطاوي جوهري أن بعض الناس يجعل في أصابعه دهانا يستخرج من الضفادع ثم يسرجها فتسرج بغير تألم لأصابعه وبعضهم يجعل دهاناً في قدميه ويقعد على ساحل البحر فيخرج الحوت ويلحس محل الدهان من قدم الرجل المذكور فيظن بعض الناس أن هذا من أولياء الله تعالى قال بعض الأفاضل ولا مانع أن يكون فعل المقذي من قبيل الاستدراج بالعبد نعوذ بالله من ذلك وقال شيخ مشايخنا السيد محمد بن أحمد الأهدل وقد شاهدنا جماعة يأكلون الجمر وهو يتوقد ويقولون في ذلك الوقت

Scanned by CamScanner

يا عمودي وسألت بعضهم هل تجدون لذلك ألماً فقال لا نجد له ألماً قط ولا شك أن هذه كرامة للعمودي لأنه من كبار أولياء الله تعالى لأن هؤلاء الذين تظهر على أيديهم هذه الخوارق أكثرهم عوام لا يدرون ما السحر ولا يعرفون الشعبذة والتمويه وليس ما يجري على أيديهم كرامة لهم لغلبة الفسق عليهم لتركهم رأس الدين وهو الصلاة في أكثر الأوقات كما هو مشاهد منهم فمن عرف حالهم قطع بما قلته انتهى ما قاله شيخ مشايخنا ومنه يعلم أن فعل المقذي قد يكون كرامة للولي الذي يلهج بذكره المقذي ولأن المقذين أكثرهم أسوء حالاً في الدين من الذين يأكلون الجمر وهذا هو المتعين ونرى المرضى المقعدين يرحلون إلى بلد يختل أفواجاً أفواجاً فتمسح عليهم المرأة التي هناك وتنادي الشيخ الربع الولي المدفون هناك فيقوم المقعد يمشي لوقته وقد عجزت الأطباء عن علاجه ولقد وصلت بنفسي هناك فرأيت المرأة المذكورة لا تصلي ولا تعرف شروط الصلاة ولا مفسداتها فسبحان الفعال لما يريد.

Scanned by CamScanner

وقول السائل ما حكم المفولة التي تضرب بالحصى وتخبر عما أضمره السائل لها وربما تصيب في بعض ذلك وما حكم لقمة الخانوق التي تجعل للمتهمين ومن عجز عن إساغتها قويت عليه التهمة وضبط في الشيء الضائع وما حكم فعل المندل أيضاً وأصحاب المندل يجعلون حبراً أو ماء في إناء ويأمرون أحد الصبيان ينظر فيه ويتلون بعض آيات قرآنية وأسماء أعجمية ويزعمون أن الجن تحضر ويراهم الصبي المذكور ويمثلون له صورة السارق مع السرقة وربما كتبوا له اسم السارق فمن أخبر به الصبي المذكور أنه رآه في المندل ضبطوه.

جوابه إن هذه الأفعال كلها من الكهانة كما نص على ذلك علماء الإسلام قال العلامة الحافظ المنذري الكاهن الذي يخبر عن بعض المضمرات فيصيب بعضها ويخطئ أكثرها ويزعم أن الجن تخبره وقال الأردبيلي في شرح المصابيح الكاهن الذي يخبر عما يكون في المستقبل ويدعي معرفة الأسرار والعراف الذي يتعاطى معرفة الضالة ونحوها وقال الأردبيلي في الأنوار إن من اعتقد علم الغيب فقد كفر في الصحيح وقال المحقق ابن عابدين بعد كلام والحاصل أن الكاهن من يدعي معرفة الغيب بأسباب مختلفة فلهذا انقسم إلى أنواع متعددة كالعراف والرمال والمنجم وهو الذي يخبر عن المستقبل بطلوع النجم وغروبه والذي يضرب بالحصى والذي يزعم أنَّ له صاحبا من الجن يخبره عما سيكون والكل مذموم شرعاً محكوم عليهم وعلى من صدقهم بالكفر ففي الحديث من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم رواه أحمد وقال صلى الله عليه وسلم ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه وقال صلى الله عليه

Scanned by CamScanner

وسلم من أتى كاهناً فسأله عن شيء حجبت عنه التوبة أربعين ليلة فإن صدقه بما قال كفر وقال صلى الله عليه وسلم من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد بريء مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ومن أتاه غير مصدق لم يقبل الله له صلاة أربعين ليلة روى الثلاثة الأحاديث المذكورة الطبراني ومن الكهانة اعتقاد أن من عقد على امرأة أو دخل بها في ليلة حلول القمر منزلة الدبران أو سعد الذابح فإنه يموت من تلك السنة أو يصاب في أهله وماله أو تقع الفرقة بينهما عاجلاً نعوذ بالله من هذا الاعتقاد المضر في الدين وفي الحديث من اقتبس باباً من علم النجوم لغير ما ذكر الله فقد اقتبس شعبة من السحر المنجم كاهن والكاهن ساحر والساحر كافر رواه رزين.

وعن قتادة قال خلق الله هذه النجوم لثلاث جعلها زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا يعلم رواه البخاري تعليقاً وفي رواية رزين تكلف ما لا يعنيه وما لا علم له به وما عجز عن علمه الأنبياء والملائكة وعن الربيع مثله وزاد والله ما جعل الله في نجم حياة أحد ولا رزقه ولا موته وإنما يفترون على الله الكذب ويتعللون بالنجم وفي رواية وأن أناساً جهلة بأمر الله أحدثوا في هذه النجوم كهانة من غرس بنجم كذا كان كذا ومن سافر بنجم كذا كان كذا ولعمري ما من النجوم نجم إلا ويولد به الطويل والقصير والأحمر والأبيض والحسن والذميم قال شيخ مشايخنا ووقع في كتب البوني من أنواع المحرم إن لم يكن مكفراً ما ذكره في كتابه شمس المعارف من دعوة الكواكب والقسم على زحل في

Scanned by CamScanner

التسليط على فلان أن ينتقم منه ويهدي حواسه إلى آخر ما ذكره وفيه غير ذلك من المحذورات أيضاً فاجتنبه(١).

قلت ومن المحرمات قراءة كتاب أبي معشر الفلكي والاعتماد على ما فيه من لوح الحياة ولوح الممات وفيه كثير من هذه الخرافات والترهات قال في أوائل الجهاد من الروضة إن تعلم الفلسفة والطبائع والتكهن وإتيان الكهان وتعلم الكهانة والتنجيم والضرب بالرمل والشعير والحصى والشعبذة وأخذ العوض عنها حرام قاله الحافظ ابن حجر.

---

(١) أقول عد مشايخنا كتاب شمس المعارف من الكتب التي يحرم قراءتها لما اشتمل عليه من البلايا العظام والله المستعان.

Scanned by CamScanner

وقول السائل ما حكم البشعة وهي حديدة تجعل في النار حتى تصير كالجمرة ثم تعرض على المتهمين فمن لحسها بلسانه انتفت عنه التهمة ومن امتنع عن لحسها ضبط في المسروق ويزعمون أنها لا تحرق إلا الآخذ للشيء كرامة جوابه أن الشريعة المطهرة لم تأمر بهذا بل أمرت بضده قال تعالى ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾(البقرة: ١٩٥) وقال صلى الله عليه وسلم لا تعذبوا بعذاب الله يعني النار لأنها أشد العذاب ولذلك كانت عذاب الكفار في دار القرار وشرط الكرامة الاستقامة وترك ما نهى الله ورسوله عنه ولا تكون الكرامة بمعصية الله بإجماع الأمة وقد نص علماء الدين على وجوب الاحتراز عن الأشياء المهلكة وحرموا السفر في الزواريق أيام اضطراب موج البحر بالرياح ولله در القائل:

لا تشربن نقيع السم متكلا على عقاقير قد جربن بالعمل

وقد كان شيخنا علامة عصره مفتي الثقلين السيد محمد بن عبد الرحمن بن حسن الأهدل رحمه الله تعالى ينهى أشد النهي عن البشعة والعمل بها ويشدد النكير على من يستعملها إذا علمت جميع ما أوردناه عرفت يقيناً أنه لا يجوز تعذيب أو تغريم من أحرقته البشعة أو امتنع من لحسها أو عجز عن بلع لقمة الخانوق أو من رؤيت صورته في إناء المندل أو من اتهمه القايف وهو القفار بلغتنا أن هذا أثر قدمه ونحو هذه الأفعال الممقوتة التي لم ترد الشريعة المطهرة بالعمل بها فقد قال صلى الله عليه وسلم (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) رواه مسلم

Scanned by CamScanner

أي من فعل فعلا لم يكن في زمن صاحب الشريعة ولا دل الكتاب والسنة على مشروعيته فهو مردود على صاحبه غير مقبول منه فلا يثاب عليه بل يعاقب عليه إن دل الشرع على تحريمه فمن لم يعمل بالشريعة الغراء فهو عاص جاهل مغرور متعدي على منصب النبوة ومقام الرسالة مستحق لاسم العصيان قال تعالى ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (المائدة) وكم قد رأينا من أناس عذبوا وضربوا وحبسوا بهذه الأباطيل ثم ظهر أنهم بريئون وقد كان صلى الله عليه وسلم الذي أطلعه الله على الأسرار لا يعمل إلا بالبنية أو الإقرار في حال الاختيار بدون إكراه ولا إجبار وقد قال صلى الله عليه وسلم شاهداك أو يمينه يخرج فهذا هو حكم الله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (المائدة) والله سبحانه وتعالى يوفقنا للعمل بالكتاب والسنة ويجعلنا من خيار هذه الأمة (آمين).

Scanned by CamScanner

وقول السائل ما حكم قراءة فتوح الشام واليمن وقصة عنترة وكذا نزهة المجالس ونحوها من الكتب التي كثرت فيها الأحاديث الموضوعة المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم.

جوابه قال المناوي في رسالة له ويحرم كل موضوع كسيرة عنترة والدهلمة والبطال ونحو ذلك مما هو كذب محض وكذا تحرم قراءة كتاب ألف ليلة وليلة وألف يوم ويوم وقصة قمر الزمان وغريب وعجيب ورأس الغول المسمى بفتوح اليمن وسيف بن ذي يزن والملك الظاهر وقصة معاذ بن جبل المتداولة بين الناس وتيجان العرايس وتنقل الأنوار وقد أفتى ابن حجر بحرمة مطالعة حلية الكميت وقال في فتاويه الحديثية لا يجوز قراءة سيرة البكري لأن غالبها باطل وكذب وقد اختلط فحرم الكل حيث لا مميز ومن ذلك يعلم حرمة قراءة نزهة المجالس ونحوها مما اختلط الباطل فيه بغيره حيث لا مميز لأن الإمام الشيخ برهان الدين محدث دمشق شنع على قارئها خصوصاً في مجامع الناس وقدم جملة من أحاديثها للسيوطي ليستفتيه فيها فأجابه بأن فيها أحاديث واردة بعضها مقبول وبعضها فيها مقال وعدها أربعين حديثاً ثم قال وما عدا ذلك من الأحاديث المسئول عنها فمقطوع ببطلانه انتهى.

Scanned by CamScanner

قال الحمامي في النهضة الإصلاحية قلت وفي بدايع الزهور وعرايس الأنبياء والروض الفايق وتنبيه الغافلين ونزهة المجالس والإحياء والغنية وبعض كتب التصوف وبعض كتب التفسير كالزمخشري والبيضاوي موضوعات من الأحاديث كثيرة فليتنبه لها انتهى كلام الحمامي(١).

وقال في مجلة الإسلام ولا تخلو بعض كتب التفسير كالخازن والبيضاوي والكشاف من الأحاديث الواهية والموضوعة كحديث الغرانيق وأحاديث فضائل السور التي وضعها نوح بن أبي مريم.

أقول وكذا يوجد من الأحاديث الموضوعة المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم في المستطرف ونوادر القليوبي والتحفة المرضية وخزينة الأسرار والمجموعة المباركة لا بارك الله فيمن جمعها قال ابن أبي جمرة وابن القيم أن الترمذي الحكيم قد شحن كتبه من الموضوع.

قلت وكذا الأحاديث التي في فضل حرز الجوشن موضوعة قبح الله واضعها وكذا العهود السليمانية واستغفار عبد الله بن سلطان ودعاء العرش الذي ذكره القليوبي في نوادره وكذا الوصية التي وضعها

---

(١) أقول إحياء علوم الدين خدم أحاديثه جمع من الحفاظ منهم الحافظ العراقي والسبكي والمحدث المرتضى الزبيدي وخدم أحاديث الكشاف الحافظ الزيلعي الحنفي والحافظ ابن حجر العسقلاني وخدمت أنا بفضل الله أحاديث تفسير البيضاوي.

Scanned by CamScanner

دَسَّاسُو المبشرين ونسبوها إلى الشيخ أحمد ويزعمون أنه خادم الحجرة الشريفة وقال الذهبي وحرز أبي دجانة شيء لم يصح ما أدري من وضعه ومع ذلك فهو مشتمل على أدعية حسنة.

ومن الكذب الكتاب المنسوب لابن عباس في المعراج وهو مشتمل على أمور كثيرة مخالفة لما في الأحاديث الصحيحة ومن الكذب قصة حبيب بن مالك وكتاب شموس الأنوار وكنوز الأسرار ومن الكذب قصة نبي الله أيوب عليه السلام وهي أن الله سلط عليه إبليس فنفخ عليه فأصابه الجذام حتى تناثر من بدنه الدود إلى آخر ما يذكره أهل القصص وبعض المفسرين من المنفرات طبعاً كل ذلك زور وكذب وافتراء محض ولا عبرة بمن نقل وإن كان من الأجلاء لأن هذا لم يرد لا في كتاب الله ولا في سنة رسوله بل هو مجرد نقل بلا سند وكذا قصة سيدنا داود عليه السلام وأنه عشق زوجة أرويا فجعله أميراً على المقاتلين لأجل أن يقتل ويتزوج زوجته وكذا قصة سليمان عليه السلام وأنَّ الشيطان تصور في صورته وأخذ خاتمه وجلس على كرسيه وأخذ ملكه إلى آخره كل ذلك كذب من وضع اليهود ولا عبرة بمن نقل عنهم من المفسرين وإن كان من العلماء الأجلاء لأن ذلك غفلة وذهول عن عصمة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم واليهود لم يجعلوا داود وسليمان من الرسل بل جعلوهما من الملوك فلا يجوز النقل عنهم ومن الكذب كتب الكيميا التي عشقها كثير من الناس ولقد صدق من قال فيها اسمع تفرح جَرِّب تندم أنه لم يصح شيء منها بل خيالات وأوهام ومن الكذب ما اشتهر من وجود جنة عاد وأنها ترى في بعض الأوقات

Scanned by CamScanner

طائرة في الجو تارة باليمن وتارة بالشام وتارة بالعراق وتارة بالحجاز وأن عبدالله بن قلابة دخلها في زمان معاوية وأنها مبنية بالذهب والفضة وحصباؤها جواهر وترابها مسك إلى غير ذلك من الخرافات قال الحافظ ابن كثير ولا تغتر بمن ذكرها من المفسرين لأن هذه القصة من وضع زنادقة اليهود قال الشوكاني وقد أصيب الإسلام وأهله بداهية دهيا وفاقرة عظمى ورزية كبرى من أمثال هؤلاء الكذابين الدجالين الذين يجترئون على الكذب تارة على بني إسرائيل وتارة على الأنبياء والصالحين وتارة على رب العالمين وتضاعف هذا الشرور وزاد كثرة بتصدر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها بل موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز فأدخلوا هذه الخرافات المختلقة والأقاصيص المنحولة والأساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه وتعالى فحرفوا وبدلوا ومن الكذب قصة عوج ابن عنق وأنه كان في زمن طوفان نوح عليه السلام وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته وأنه كان يأخذ الحوت من قعر البحر فيشويه في عين الشمس وأن الحياة طالت به إلى زمن نبي الله موسى وأنه قلع صخرة عظيمة ليجعلها على عسكر نبي الله موسى عليه السلام وكانوا ثلاثمائة ألف فنقر الصخرة هدهد بمنقاره وثقبها فوقعت في عنقه فمات وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلث وهذا شيء يستحيا من ذكره وكان إذا بال أغرق البلدة إلى غير ذلك من الهذيان الذي لا أصل له ومشى في القاموس على شيء من أخباره الموضوعة وتمحل شيخ مشايخنا السيد محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل لصحة هذه القصة اعتماداً على ما مشى عليه المجد صاحب القاموس واغتراراً بقول

Scanned by CamScanner

السيوطي والأقرب في خبر عوج بن عنق أنه من بقية عاد وأنه كان له طول في الجملة مائة ذراع أو شبه ذلك وأن موسى قتله بعصاه هذا هو القدر الذي يحتمل انتهى كلام السيوطي.

قال النجم الغيطي وكأنه أخذه مما رواه أبو الشيخ في العظمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان طول موسى سبعة أذرع ووثب إلى السماء سبعة أذرع وأصاب كعب عوج بن عنق فقتله وقال شيخ مشايخنا والمثبتون لوجوده أكثر عدداً وفيهم من هو أجل قدراً وأعظم حفظاً من الحافظ ابن كثير وابن القيم كالبغوي والثعلبي والقرطبي وقد ذكر البغوي أن عوج ابن بنت آدم انتهى ولا يخفى أن الذي قاله الغيطي لم يصح وقد نص الحفاظ على بطلان هذه القصة قال الحافظ ابن كثير قصة عوج ابن عنق وجميع ما يحكونه عنه هذيان باطل لا أصل له وهومن مختلقات زنادقة أهل الكتاب ولم يكن قط على عهد نوح ولم يسلم من الغرق من الكفار أحد وقال ابن القيم من الأمور التي يعرف بها كون الحديث موضوعاً أن تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه كحديث عوج بن عنق أن طوله ثلاثة آلآلف ذراع وثلاثمائة ذراع وثلاثة وثلاثون ذراعاً وثلث ذراع فيرده قول النبي صلى الله عليه وسلم (خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن وقد قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (الصافات) وحكى الله عن نوح أنه قال ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (نوح) وقال تعالى ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (الشعراء) وقال تعالى ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾

Scanned by CamScanner

(هود:٤٣) وإذا كان ابن نوح الكافر غرق فكيف يبقى عوج بن عنق وهو كافر وولد زنية هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع وإنما قصد به واضعه الطعن في أخبار الأنبياء والاستهزاء والسخرية بهم وباتباعهم وليس العجب من جراءة هذا الكذاب على الله إنما العجب ممن يدخل هذا الحديث في كتب العلم من تفسير وغيره ولا يبين أمره وقال الحافظ الشوكاني وما هذه بأول كذبة اشتهرت عند الناس ولسنا بملزمين بدفع الأكاذيب التي وضعها القصاص ونفقت عند من لا يميز بين الصحيح والسقيم فكم في بطون دفاتر التفاسير من أكاذيب وبلايا وأقاصيص كلها حديث خرافة انتهى وفي تذكرة الحافظ الفتني أن أبا عصمة نوح ابن أبي مريم وضع مائة وأربعة عشر حديثاً في فضائل القرآن سورة سورة فقيل له لِمِ صنعت ذلك وكذبت بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق فوضعت لهم هذه الأحاديث حسبة(١)

---

(١) وقد نظر في هذه النسبة المحقق أبو غدة وردها رداً جيداً وهاك نص كلامه معلقاً على عبارة الديباج المتقدمة قال رحمه الله أقول وبالله التوفيق في كلام المؤلف هنا نظر من وجوه:

الوجه الأول: قوله إن أبا عصمة كان من الوضاعين وأنه وَضَع في فضل سور القرآن من طريق عكرمة عن ابن عباس، وهذا غير صحيح جزماً بل كان أبو عصمة عالم أهل مَرْو من أهل الصدق والديانة وكان شديداً في الرد على الجهمية قال عبدالله بن أحمد بن

Scanned by CamScanner

حنبل قال أبي كان أبو عصمة يروي أحاديث مناكير لم يكن في الحديث بذاك وكان شديداً على الجهمية والرد عليهم تعلم منه نُعَيم بن حماد الرد على الجهمية كما في تهذيب الكمال للمزي وفي كتاب السُّنَّة لعبدالله بن أحمد حدثني محمد بن عباس صاحب الشامَة قال سمعت يوسف بن نوح قال أبو عبدالرحمن هو عبدالله بن أحمد ثم سمعت أنا من يوسف بعدُ يقول سمعت أبا عصمة يقول سمعت ابن المبارك يقول خَيْبَة للأبناء! ما فيهم أحد يفتك ببشر المَريسي قال يوسف فسألت عَبْدان وأصحاب ابن المبارك عن هذا فقالوا إن أبا عصمة رجل صَدُوق وقد كان ابن المبارك يتكلم بكلام هذا معناه وقال العباس بن مصعب المَرْوَزي أبو عصمة نوح بن أبي مريم الجامع استقضي على مَرْو وأبو حنيفة حيّ فكتب إليه أبو حنيفة بكتاب موعظة وذلك الكتاب يتداوله أهل مَرْو بينهم ثم استقضي مرة أخرى بعد موت أبي حنيفة وكان يُعينُه أبو يوسف وإنما سمي الجامع لأنه أخذ الرأي عن أبي حنيفة وابن أبي ليلى والحديث عن حجاج بن أرطأة ومن كان في زمانه وأخذ المغازي عن محمد بن إسحاق والتفسير عن الكلبي ومقاتل وكان مع ذلك عالماً بأمور الدنيا فسُمِّي نوح الجامع روى عنه ابن المبارك وروى عنه أيضاً شعبة بن الحجاج وشعبة لا يروي إلا عن ثقة كما في قواعد في علوم الحديث للتهانوي وأدرك الزهريَّ وابن أبي مليكة وكان يُدلِّس عنهما وكان نزل أولاً على الرَّزيق فلما ولي القضاء تحوّل إلى سكة الجيه قال حدثنا محمد بن عبده عن علي بن الحسين بن واقِد عن سلمة بن سليمان عن سفيان بن عيينة قال رأيت أبا عصمة في مجلس الزهري قال

Scanned by CamScanner

عباس رَوَىٰ عنه شعبة وقيل لوكيع أبو عصمة فقال ما تصنع به ولم يَرْوِ عنه ابن المبارك كما في الكامل لابن عدي مصححاً ما وقع فيه من خطأٍ وقال ابن عدي في ختام ترجمة نوح ولأبي عصمة – نوح – هذا غير ما ذكرت من الأحاديث وعامة ما يرويه لا يُتابَع عليه وقد روىٰ عنه شعبة كما ذكرت هذا الحديث في الدعاء وقد ذكره ابن عدي وهو مع ضعفه يُكتَبُ حديثه انتهىٰ والذين أفحشوا القول فيه ورموه بالكذب لم يأتوا بدليل علىٰ دعواهم ولم يذكروا فيه جرحاً مفسَّراً ببرهان وكل ما وُجِدَ فيه من جرح مفسَّر هو أنه كان مدلِّساً وأنه رَوَىٰ مناكير والتدليس ليس بجرح علىٰ الصَّحيح وأما رواية المناكير فلا تقدح في عدالة الراوي ما لم يدل دليل علىٰ أنه تعمّدها وهذا لم يثبت في أبي عصمة بل علمه وجلالته ينفيان ذلك وأما القصة التي ذكر المؤلف أن الحاكم أسندها ففي صحتها نظر وإليك سياق القصة من المدخل إلى الإكليل للحاكم قال الحاكم سمعت محمد بن يونس المقرئ قال سمعت جعفر بن أحمد بن نصر سمعت أبا عُمَارَة المروزي كذا يقول قيل لأبي عصمة من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ قال إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق فوضعت هذا الحديث حِسبة كذا جاء في المطبوع من المدخل وفيه سقط وتصحيف فقد ساق ابن الجوزي هذه القصة في أول كتاب الموضوعات من طريق الحاكم نفسه وقال أنبأنا محمد بن ناصر الحافظ أنبأنا أبوبكر بن خلف الشيرازي عن أبي عبدالله الحاكم

Scanned by CamScanner

قال سمعت أبا علي الحافظ يقول سمعت محمد بن يونس المقرئ يقول سمعت جعفر بن أحمد بن نصر يقول سمعت أبا عَمَّار المروزي يقول قيل لأبي عصمة ... فذكر القصة كما سبق ولفظ أبي عمّار قيل لأبي عصمة ... فهو لفظ انقطاع لا يفيد أنه حضر المحادثة ثم إن أبا عمار هذا قال فيه السخاوي في فتح المغيث إنه أحد المجاهيل وتبعه القاضي أكرم السِّندي في إمعان النظر وإن تَصحَّف عنده أبو عمار إلى ابن عمار وإن كان أبو عمار هذا هو الحسين ابن حُريث المتوفى سنة ٢٤٤هـ فأقدم رواياته عن عبدالله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١هـ وعبدالعزيز ابن أبي حازم المتوفى سنة ١٨٤هـ وغيرهما ممن في هذه الطبقة فيبعُدُ لقاؤه أبا عصمة نوح ابن أبي مريم المتوفى سنة ١٧٣هـ وبالجملة فالحكاية معلولة إما للانقطاع وإما للجهالة هذا من جهة السند وأما من جهة المعنى فالقصة منكرة أما أولاً فلأن أبا عصمة نفسه كان تفقَّه على أبي حنيفة وأخذ المغازي عن ابن إسحاق كما سبق وقال السمعاني في الأنساب قيل إنما لقِّب بالجامع لأنه أول من جَمَعَ فقه أبي حنيفة بمَرْو وقيل لأنه كان جامعاً بين العلوم وكان له أربعة مجالس مجلس للأثر ومجلس لأقاويل أبي حنيفة ومجلس للنحو ومجلس للأشعار انتهى وفي مناقب الإمام الأعظم للموفق المكي أبو عصمة نوح بن أبي مريم إمام أهل مَرْو ولُقِّب بالجامع لأنه كان له أربعة مجالس مجلس للمناظرة ومجلس لدرس الفقه ومجلس لمذاكرة الحديث ومعرفة معانيه والمغازي ومجلس لمعاني القرآن والأدب والنحو وقيل كان ذلك يوم الجمعة وقال أبو سهل بن خاقان إنما سُمِّي نوح الجامع لأنه كان له أربعة مجالس مجلس

Scanned by CamScanner

للأثر ومجلس لأقاويل أبي حنيفة ومجلس للنحو ومجلس للأشعار وكان من الأئمة الكبار ولجلالة قدره رَوَىٰ عنه شعبة وابن جُرَيج وهُما هُما وشعبة لا يروي إلا عن ثقة كما سبق ومع هذه الجلالة لزم أبا حنيفة ورَوَىٰ عنه الكثير ولما مات قعد ابن المبارك علىٰ بابه ثلاثة أيام يعني للتعزية رحمه الله انتهىٰ ففقيه قاض تفقّه علىٰ أبي حنيفة وأخذ عنه آداب القضاء وأخذ المغازي عن ابن إسحاق ثم هو مشتغل بنشر فقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق مع نشر الحديث والأثر لا يُعقَل منه أن يتبرَّم من اشتغال الناس بما يشتغل هو به كيف وعلم الفقه والمغازي من فروع علوم القرآن والفقيه صاحب الرأي ليس من شأنه التبرُّم من الفقه الذي هو ثمرة الكتاب والسنَّة وإنما هذا شأن الرواة الجامدين هذا الأول.

وأما الوجه الثاني: فلأنه يَظهَر من سياق القصة أن أبا عصمة لقي عكرمة المتوفىٰ سنة ١٠٤ هـ ورَوَىٰ عنه لأن صيغة السؤال له صيغة استغراب لتفرُّده بهذا الحديث عن عكرمة من بين سائر أصحابه ولقاء أبي عصمة المروزي لعكرمة المدني بعيد جداً فإن أقدَمَ من رَوَىٰ عنه أبو عصمة هو الزهريُّ المتوفىٰ سنة ١٢٥ هـ مع أنهم قد اختلفوا في لقائه له فهذا أيضاً يؤكّد وَهْنَ هذه القصة.

وأما الوجه الثالث: فلأنه لا يوجد في كتب الموضوعات وكتب التفاسير أيُّ حديث في فضائل السور من طريق أبي عصمة عن عكرمة عن ابن عباس وإنما الموجود فيها حديث أُبَيٍّ رضي الله عنه من طرق مختلفة وسيأتي ذكر من هو المتّهم بوضع حديث أُبَيٍّ المذكور فهذه عِلّة

Scanned by CamScanner

أخرىٰ تُضعِّف القصة المذكورة وبالجملة فهي معلولة سنداً ومنكرة متناً وأما قول الحافظ ابن حجر في التقريب قال ابن المبارك كان يضع فهذا إنما علّقه البخاري عن ابن المبارك في التاريخ الصغير ولم يسنده إليه وهذا مع انقطاعه يُخالفه ما سبق في كلام عباس المروزي وغيره أن ابن المبارك رَوَىٰ عنه وليس ابن المبارك ممن يوري عن الوَضَّاعين ويُخالِفُه أيضاً ما قدّمت من ثناء عَبْدَان وغيره من أصحاب ابن المبارك عليه وأصحاب ابن المبارك أعرف بأقاويله ممن تأخر عنهم فلو صَحَّ هذا عن ابن المبارك في حق نوح لما وَسِعَهم تزكيته والثناء عليه كما يُخالفُه ما رواه أحمد بن عبدالله بن بشر المروزي عن سفيان بن عبدالملك قال سمعت ابن المبارك قال أكره حديث أبي عصمة وضَعَّفه وأنكر كثيراً منه وقيل له إنه يروي عن الزهري فقال لو أن الزهري في بيت رجل لصاح في الملأ فكيف يأتي علىٰ رجل حين والزهري في بيته ولا يُخرجُه؟ ذكره المِزِّي في تهذيب الكمال ففي هذا النص استنكار ابن المبارك كثيراً من حديث أبي عصمة وتضعيفه إياه لا غير وأما روايته عن الزهري فقد سبق أنه أدركه وأنه كان يُدلِّس عنه وكل هذا يعزز بطلان ما نقله البخاري عن ابن المبارك من غير سند من أن أبا عصمة كان يضع ومن أجل هذا والله أعلم أعرض الإمامان الحافظ المِزِّي والحافظ الذهبي عن نقل قول ابن المبارك وأما ما جاء في تهذيب التهذيب قال أحمد بن محمد بن شَبُّوَيَه بلغني عن ابن المبارك أنه قال في الحديث الذي يرويه أبو عصمة عن مُقاتل بن حَيَّان في الشمس والقمر ليس له أصل قال الحافظ ابن حجر بعد نقل هذا هذا الحديث الذي

Scanned by CamScanner

أشار إليه ابن المبارك في الشمس والقمر هو حديث طويل آثار الوضع عليه ظاهرة وأورده أبو جعفر الطَّبَري في أول تاريخه في بدء الخلق وأشار إلى عدم صحته مع قِلَّة كلامه على الحديث في ذلك الكتاب انتهى، فهذا بلاغ ابن شَبُّوَيه لم يسنده إلى ابن المبارك ولا ذكر سنده إلى أبي عصمة فيما ادعى أنه كان يرويه والحديث في تاريخ ابن جرير من طريق عمر بن صُبَّح أبي نُعَيم البلخي أحد المتروكين عن مُقاتل بن حَيَّان بسنده لا من طريق أبي عصمة عن مقاتل كما أوهمه صنيعُ الحافظ نعم ساق الحديث المذكور ابن مَرْدُوَيه عن علي بن محمد بن إبراهيم البيِّع قال حدثنا عبدالله بن محمد بن زكريا حدثنا علي بن بشر حدثنا حفص بن عمر الهَمْدَاني الكوفي حدثنا حفص بن معاوية ونوح بن أبي مريم عن مُقاتل بن حَيَّان بسنده كما حكاه السيوطي في اللآلئ المصنوعة وفيه بَيْن ابن مَرْدُوَيه ونوح غير واحد ممن لم أجد لهم ذكراً في كتب الرجال ففي ثبوت هذه الرواية عن أبي عصمة وقفة على أنه لم يَذكر سماعَه عن مقاتل فلو فرضنا صحة السند إليه فلعله مما دلّسه عن عمر بن صُبَّح وأما قول الحافظ في التهذيب أيضاً نقلاً عن الخليلي أجمعوا على ضَعْفِه وكَذَّبَه ابن عيينة فهذا أيضاً خبر منقطع لأن بين الخليلي وابن عيينة مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل وبالجملة فلم يثبت ما يُستدل به على تعمّد أبي عصمة الكذب والقول فيه ما قاله عبدان وغيره من أصحاب ابن المبارك من أن أبا عصمة رجل صدوق وما قاله أبو أحمد ابن عدي هو مع ضعفه يُكتَب حديثه ومن هنا يظهر تساهل الحافظ ابن حجر حيث قال في لسان الميزان في ترجمة نوح بن جعونة

Scanned by CamScanner

وزعم أنه وابن أبي مريم واحد نوح بن أبي مريم ..... قد أجمعوا على تكذيبه، واستبعد ذلك العلامة اليماني في حاشية كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/٤ رقم ٢٢١٥ وشيخنا العلامة أحمد شاكر في شرح مسند أحمد ٥: ٣٠١٧ وما لا إلى أن نوح بن جعونة غير نوح بن أبي مريم أبي عصمة، وهذا الإجماع الذي حكاه الحافظ ابن حجر على تكذيب أبي عصمة لا وجود له فيما بين أيدينا من أقوال أهل العلم فغفر الله تعالى للحافظ هذا التهويل وهذا التساهل الشديد في نقل الإجماع ومن كَذَّب أبا عصمة أو نسب إليه الوضع فمستنده القصة التي ساقها الحاكم وقد سبق بيان نكارتها وانقطاعها وما حكاه البخاري عن ابن المبارك من غير سند مع مخالفته لما هو أقوى منه وما حكاه الخليلي عن ابن عيينة من غير سند أيضاً ولا شأن للمنقطعات والمُعضَلات في باب الجرح وخاصة فيمن ظاهره العدالة لتعاطيه العلم وكونِه مرجع الناس في القضاء والفتيا فكُنْ منه على ذكرٍ والله يرعاك.

والوجه الثاني: قول المؤلف إن الحاكم قد أسند القصة إلى عَمَّار وقد سبق أنه أسند ذلك إلى أبي عمار دون عمار ولعله سقط لفظة أبي من كلامه لسرعة الكتابة.

والوجه الثالث: سياق كلام المؤلف يدل على أن الواحدي وغيره من المفسرين الذين سمّاهم قد أودعوا في تفاسيرهم حديث فضائل السور من طريق نوح عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهذا كما سبق من أنه لا يوجد في كتب التفاسير أي حديث في

Scanned by CamScanner

فضائل السور من طريق أبي عصمة نوح عن عكرمة عن ابن عباس وقد نقل الحافظ الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري جميع ما أودعه الواحدي وابن مَرْدُويَه والثَّعْلَبي في تفاسيرهم في فضائل سور القرآن وليس فيها شيء من طريق أبي عصمة عن عكرمة عن ابن عباس نعم أورد الثَّعْلَبي كما نقله عنه الزيلعي من طريق أبي عصمة عن زيد العَمِّي عن أبي نَضْرَة عن ابن عباس عن أبي بن كعب مرفوعاً أربعة أحاديث وأورد أيضاً من طريق أبي عصمة عن علي بن زيد بن جُدْعَان عن زرّ بن حُبَيْش عن أُبَيّ بن كعب مرفوعاً خمسة أحاديث في فضل بعض السور وبعض تلك الأحاديث التسعة له شاهد يَعْضُدُه وأما ما عدا ذلك فإن صحّت الطرق إلى أبي عصمة وثبت أنه رواها فالنكارة فيها إما من سوء حفظ زيد العَمِّي وعلي بن زيد بن جُدْعَان أو من تدليس أبي عصمة أو من جهة ضعفه في الحديث وهذه مواضع تلك الأحاديث من تخريج الزيلعي المذكور لتسهل المراجعة إليها لمن شاء ١:٤٥ ، ٣:٨٨ ، ٣٦٧ ، ٤:٢٨ ، ٤٤ ، ١٠٤ ، ٢١٥ ، ٢٩٣ ، ٣٣٧.

الوجه الرابع: حكى المؤلف عن بعضهم تبعاً للسخاوي في فتح المغيث وابن حجر في الكاف الشاف أن واضع الحديث الطويل المروي من طريق أُبَيّ بن كعب هو نوح الجامع وهذا باطل قطعاً فإن المُتَّهم بحديث أُبَيّ الطويل بَزِيع بن حسان ومَخْلَد بن عبدالواحد وهارون بن كثير إن صح السند إليه انظر لسان الميزان لابن حجر والموضوعات لابن الجوزي واللآلئ المصنوعة للسيوطي وتخريج أحاديث الكشاف

Scanned by CamScanner

للزيلعي والغريب أن الحافظ ابن حجر ذكر في اللسان في تراجم الرواة المذكورين اتهامهم بوضع حديث أبَيّ المذكور ومع ذلك ينقل في الكاف الشاف عن قائل مجهول أن أبا عصمة هو المتهم بوضع هذا الحديث ولم يَذكُر الذين ثبت اتهامهم في هذا الحديث حسب تصريحه هو وغيره من الحفاظ!! ولم أقف بعد البحث الطويل على صاحب هذا القول الذي حكاه ابن حجر وتبِعَه من تبِعَه فيما لا يُتَّبَع فيه!! وفيما ذكرته لنقد ما رَمَوْا به أبا عصمة – أحد الفقهاء والقضاة – من الكذب والوضع كفاية إن شاء الله تعالى والله الهادي إلى الصواب وهو الموفِّق والمُعين.

Scanned by CamScanner

ولقد أخطأ بعض المفسرين من إيداعها تفاسيرهم كالثعلبي(١) والواحدي(٢) والزمخشري(٣) وأبي السعود المفتي(٤) والبيضاوي(٥) قال في الفوائد المكية فمن كان بهذه المثابة فلا يحل الوثوق بما يرويه عن السلف من التفسير فإنه إذا لم يفهم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفهم الكذب على غيره وقد قال الشوكاني ولا جرم فليسوا من أهل هذا الشأن وقال الفتني كان الثعلبي في نفسه ذا خير ودين لكن كان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع والواحدي صاحبه كان أبصر منه بالعربية لكن هو أبعد عن اتباع السلف والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي لكن صان تفسيره من الموضوع والبدع انتهى(٦).

---

(١) أبو إسحاق أحمد بن محمد إبراهيم المعروف بالإمام الثعلبي توفي سنة ٤٢٧هـ.

(٢) أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ت ٤٦٨هـ.

(٣) جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨هـ.

(٤) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى شيخ الإسلام ت ٩٨٢هـ.

(٥) أبو سعيد عبدالله عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت ٦٨٥هـ.

(٦) في هذا مبالغة شديدة فقلما يخلو كتاب من هنَّات، هذه الهنَّات مغتفرة في بحر حسنات الكتاب ومؤلفه والله أعلم.

Scanned by CamScanner

لكن قال في جامع البيان لمعين بن صفي وقد يذكر محيي السنة البغوي(١) في تفسيره من المعاني والحكايات ما اتفقت كلمة المتأخرين على ضعفه بل على وضعه قلت وقد أخذ الخازن(٢) جميع ما في البغوي وزاد عليه قال ابن حجر ومن المفسرين طوائف مبتدعة صنفوا تفاسير على مذهبهم وسلبوا لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به وحملوه على مالم يدل عليه ولم يرد به في كلا الأمرين مما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى فهم مخطئون في الدليل والمدلول مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم والجُبَّائي وعبد الجبار والرماني والزمخشري وأمثالهم ومن هؤلاء من يدس البدع والتفاسير الباطلة في كلامهم الجزل فيروج على أكثر أهل السنة ويقرب من هؤلاء تفسير ابن عطية(٣) بل كان الإمام المحقق ابن عرفة المالكي يبالغ في الحط عليه ويقول إنه أقبح من صاحب الكشاف لأن كل أحد يعلم اعتزال صاحب الكشاف فيجتنبه بخلاف ابن عطية فإنه يوهم الناس بأنه من أصحاب السنة فكان ضرر تفسير ابن عطية أشد وأعظم على الناس من ضرر الكشاف قاله علي

---

(١) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي ت ٥١٠ هـ.

(٢) هو الإمام علي بن محمد بن إبراهيم الحلبي الشافعي الصوفي خازن الكتب بالسميساطية توفي بحلب سنة ٧٤١ هـ.

(٣) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت ٥٤٦ هـ وتهمة الاعتزال في تفسير ابن عطية نسبها إليه ابن تيمية وابن حجر الهيتمي نقلاً عن ابن عرفة المالكي وهي تهمة باطلة لا تعتمد على أساس صحيح فالرجل من أعيان أهل السنة وتفسيره من تفاسير أهل السنة.

Scanned by CamScanner

قاري في شرح المشكاة وقال الإمام أحمد تفسير الكلبي من أوله إلى آخره كذب لا يحل النظر فيه.

قال الزركشي وكتاب مقاتل قريب منه وأما تفسير أبي بكر النقاش وتفسير أبي جعفر النحاس فكثيراً ما استدرك الناس عليهما قال الجلال الحافظ السيوطي وقد صنف في التفسير قوم برعوا في شيء من العلوم فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه وتمهر فيه وملأ تفسيره بذلك الفن كأن القرآن أنزل لأجل هذا العلم لا غير مع أن فيه تبيانا لكل شيء فالنحوي تراه ليس له إلاَّ الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه وإن كانت بعيدة وينقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في البسيط وأبي حيان(١) في البحر والنهر والإخباري ليس له شغل إلا القصص واستيفائها والإخبار عن من سلف سواء كانت صحيحة أو باطلة كالثعلبي قلت ومنهم الخازن والفقيه يكاد يسرد فيه الفقه جميعاً وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية أصلاً والجواب عن أدلة المخالفين كالقرطبي المالكي(٢) وصاحب العلوم العقلية خصوصاً الفخر الرازي قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها وخرج من شيء إلى شيء حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورود للآية الكريمة قال أبو حيان جمع الرازي(٣) في

---

(١) أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف ت ٧٤٥هـ.

(٢) أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ت٦٧١هـ.

(٣) فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ت ٦٠٦هـ.

Scanned by CamScanner

تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ولذلك قال بعض العلماء فيه كل شيء إلا التفسير قلت فإذا كان هذا حال تفسير فخر الدين الرازي فكيف حال تفسير الفيلسوف طنطاوي جوهري(١) الذي أدخل فيه ما لا يليق بتفسير كتاب الله تعالى وقد يصرح فيه بتقديم العقل على الشرع بخياله الفاسد كما أنه يخرج عن المحسوس ويخرق إجماع الأمم الإسلامية بمجرد الخيال أو اتباعاً للغربيين فيهوي بضعفة العقول إلى حضيض الغي من حيث لا يشعر وليته اقتصر على التفسير اللفظي الذي هو تفسير أهل الحق لكنه خلط وتهوى وخبط خبط عشواء وركب متن عمياء وقد رد عليه كثير من العلماء منهم العلامة الكبير محمد بن ياسين في مؤلفه المسمى بالبراهين والمبتدع ليس له قصد إلا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد بحيث أنه لو لاح له شاردة من بعيد اقتنصها أو وجد موضعاً له فيه أدنى مجال سارع إليه قال البلقيني استخرجت من الكشاف الاعتزال بالمناقيش منها في قوله تعالى ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ (آل عمران) فقال وأي فوزٍ أعظم من دخول الجنة أشار به إلى عدم الرؤية قلت وقد مدح الزمخشري كتابه الكشاف بقوله:

تالله ما الكشاف إلا آية ... في فنه أنَّى له بمناف

لو أنصفوا لتقلدوه تميمة ... لكن أتوا من قلة الا نصافِ

---

(١) توفي صباح يوم الجمعة ثالث الحجة الحرام سنة ١٣٥٨ هـ.

Scanned by CamScanner

وقال في مدحه أيضاً:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد ... وليس فيها لعمري مثل كشافي

إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ... فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

ورد عليه شيخ مشايخنا رحمه الله تعالى بقوله:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد ... وعيبها كلها في بطن كشافِ

إن كنت تبغي الهدى فاحذر قراءته ... فدائه معضل لا يقبل الشافي

والملحد فلا تسأل عن كفره وإلحاده في آيات الله وافترائه على الله ما لم يقله كقول بعضهم في قوله تعالى ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ (الأعراف) ما على العباد أضر من ربهم ومن ذلك القبيل الذين يتكلمون في القرآن بلا سند يعتمد عليه ولا نقل عن السلف ولا رعاية الأصول الشرعية والقواعد العربية كالتفسير الذي ألفه محمود بن حمزة الكرماني في مجلدين سماه العجائب والغرايب ضمنه أقوالاً هي عجائب عند العوام وغرايب عما عهد عن السلف الكرام وهي أقوالٌ منكرة لا يحل الاعتماد عليها ولا ذكرها إلاّ للتحذير منها.

Scanned by CamScanner

ومن ذلك قول من قال في قوله تعالى ﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ ﴾ (الشورى) أن الحاء حرب علي ومعاوية والميم ولاية المروانية والعين ولاية العباسية والسين ولاية السفيانية والقاف قدوة مهدي حكاه أبو مسلم ومن هذا قول من قال في قوله ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧٩ ﴾ (البقرة) أنه قصص القرآن واستدل بقراءة أبي الجوزاء ولكم في القصص وهو بعيد بل هذه القراءة أفادت معنى غير معنى القراءة المشهورة.

ومن ذلك ما ذكره ابن فورك في تفسيره في قوله تعالى ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ (البقرة: ٢٦٠) أن إبراهيم كان له صديق وصفه بأنه قلبه أي ليسكن هذا الصديق إلى هذه المشاهدة إذا رآها عياناً قال الكرماني هذا بعيد جداً ومن ذلك قول من قال في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٨٦ ﴾ (البقرة) أنه الحب والعشق وقد حكاه الكواشي في تفسيره.

ومن ذلك قول من قال في قوله تعالى ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ ﴾ (الفلق) أنه الذكر إذا قام ومن ذلك قول أبي معاذ النحوي في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ ﴾ (يس) يعني إبراهيم ناراً أي نوراً وهو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ ﴾ (يس) أي تقتبسون الدين.

Scanned by CamScanner

ومن تفسير الرافضة في قوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ (الرعد) أنه سيدنا علي وفي قوله تعالى ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ (الحاقة) هي أذن سيدنا علي وفي قوله تعالى ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ (الرحمن) يعني علي وفاطمة ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ (الرحمن) يعني الحسن والحسين.

ومن الموضوع حديث اسمي في القرآن والشمس وضحها واسم علي والقمر إذا تلها واسم الحسن والحسين والنهار إذا جلها واسم بني أمية والليل إذا يغشاها وفي قوله تعالى ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ (يس) أي في علي ويقرب منه ما يذكره كثير من المفسرين في قوله تعالى ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ (آل عمران) الصابرين هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والصادقين أبو بكر والقانتين عمر والمنفقين عثمان والمستغفرين علي ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ (الفتح:٢٩) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه أبو بكر أشداء على الكفار عمر رحماء بينهم عثمان تراهم ركعاً سجداً علي.

وفسر بعض الرافضة أن الشجرة الملعونة هم بنو أمية ونحو هذا الهذيان والخرافات.

Scanned by CamScanner

وأما كلام الصوفية في القرآن كتفسيرهم فرعون بالنفس وموسى بالقلب ونحو هذا فليس بتفسير قال ابن الصلاح في فتاويه وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال صنف أبو عبد الرحمن السلمي الشافعي حقايق التفسير فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير القرآن فقد كفر قال ابن الصلاح وأنا أقول الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيء في ذلك أنه لم يذكره تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية وأن ذلك منهم تنظير ما ورد به القرآن فإن النظير يدرك بالنظير ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإيهام والالباس وسئل العلامة البلقيني عمن فسر قوله تعالى ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ (البقرة: ٢٥٥) أن معناه من ذل أي من الذل وذي إشارة إلى النفس ويشفي من الشفاء جواب من وع أمر من الوعي فأجاب بقوله من فسر بهذا التفسير فهو ملحد وقد قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾ (فصلت: ٤٠) قال ابن عباس هو أن يوضع الكلام على غير موضعه انتهى قال النسفي في عقائده النصوص على ظواهرها والعدول عنها إلى معان تدعيها أهل الباطن إلحاد.

وقال التفتازاني سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها بل لها معان باطنه لا يعرفها إلا المعلم وقصدهم نفي الشريعة بالكلية قلت وقد سألت شيخي علامة عصره السيد محمد بن عبد الرحمن حسن الأهدل عما وقع للسيد أحمد بن إدريس في العقد النفيس من تفسيره لبعض آيات بخلاف المشهور حيث قال في قوله

Scanned by CamScanner

تعالى ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ (الأنبياء) المعنى بل فعله كبيرهم وهو الله لأنه إله الآلهة وهم مقرون بالحق وقوله هذا مبتدأ محذوف الخبر أي هذا قولي ﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ (الأنبياء)

وقال في قوله تعالى ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ (النحل :٩٦) المراد بالنافذ هو الوهم الذي نتخيله عندنا وقال في قوله تعالى ﴿ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (إبراهيم) ليس المراد بيوتهم وديارهم بل المراد المعاصي

وقال في قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الأعراف) معناها في الظاهر صلوا في نعالكم وفي الباطن زينة الإنسان في صلاته حضور قلبه انتهى.

فأجاب بقوله الحمد لله تفاسير الصوفية مثل تفسير أبي عبد الرحمن السلمي من المتقدمين وتفسير ابن عربي والإدريسي والتأويلات النجمية وغيرها مقبولة إن وافقت سياق الآيات القرآنية والقواعد العربية والمناهج الشرعية وإلا فلا تقبل مثل الآية الأولى فهي مما لا يقبله سياق الآيات وبقيت الآيات قريب من ذلك وقد يُتمحل لتوجيه ذلك بأن الوهم داخل في عموم ما عندكم وبأن المراد من السكنى الحلول

Scanned by CamScanner

محلهم فيما يفعلونه من المخالفات وكذلك تحلية المصلي بالخشوع وحضور القلب زينة معنوية خير من زينة الظاهر والله أعلم(١).

---

(١) سئلت دار الإفتاء المصرية عن التفسير الإشاري عند الصوفية هل يعد من التفاسير المقبولة للقرآن الكريم فأجابت بما نصه:
ما التفسير الإشاري؟ وهل يُعدُّ من التفاسير المقبولة للقرآن الكريم؟
الجواب:
التفسير لغة: مصدر فسَّر بتشديد السين الذي هو مضاعف فَسَرَ بالتخفيف من بابَي نَصَرَ وضَرَبَ الذي مصدره الفَسْر وكلاهما فِعْل مُتعدٍّ فالتضعيف ليس للتعدية.

والفَسْر: الإبانة والكشف لمدلول كلام أو لفظٍ بكلام آخر هو أوضح لمعنى المفسَّر عند السامع، ثم قيل المصدران والفعلان متساويان في المعنى، وقيل يختص المضاعف بإبانة المعقولات.

وقال ثَعْلَب وابن الأعرَابي التَّفسِيرُ والتَّأويلُ والمعْنَى واحِدٌ انظر تاج العروس (١٣/ ٣٢٣ مادة: ف س ر) والتحرير والتنوير (١/ ١٠ ط. الدار التونسية للنشر تونس).

والتفسير في الاصطلاح كما في التحرير والتنوير (١/ ١١) هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع ا.هـ.

ويتنوع التفسير بحسب أنواع مناهج المفسرين أنفسهم.

Scanned by CamScanner

والتفسير الإشاري نوع من تفسير القرآن الكريم ينتمي إلى نمط مُعَيَّن من الفهم وهو فهم المعاني التي قد لا تظهر لأوَّلِ وهلة وإنَّما تحتاج لِتَدَبُّرٍ وتأمُّل وهذه المعاني تكون من إشارات الآيات وتظهر لأرباب السلوك وأولي العلم.

وعرَّفه الشيخ الزرقاني في مناهل العرفان (٢/ ٥٦ ط. عيسى الحلبي) بقوله [هو تَأْوِيلُ القُرْآن بِغَيْرِ ظاهره لإِشَارَةٍ خَفِيَّة تَظْهَرُ لأرباب السلوك والتصوف ويُمكن الجمع بينها وبين الظَّاهِر المُرَاد أَيضاً] ا.هـ.

وفي معنى التفسير الإشاري يقول العلامة ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٣٨٩ ط. دار الكتاب العربي) الإشارات هي المعاني التي تشير إلى الحقيقة مِن بُعد ومن وراء حجاب وهي تارة تكون من مسموع وتارة تكون من مرئي وتارة تكون من معقول وقد تكون من الحواس كلها.

فالإشارات من جنس الأدلة والأعلام وسببها صفاء يحصل بالجمعية فيلطف به الحس والذهن فيستيقظ لإدراك أمور لطيفة لا يكشف حس غيره وفهمه عن إدراكها.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول الصحيح منها ما يدل عليه اللفظ بإشارته من باب قياس الأولى ا.هـ.

Scanned by CamScanner

وذكر العلماءُ شروطاً لقبول التفسير الإشاري ومعنىٰ كونه مقبولاً عدم رفضه لا وجوب الأخذ به، أمَّا عدم رفضه فلأنه غير منافٍ للظاهر ولا بالغ مبلغ التعسف وليس له ما ينافيه أو يعارضه من الأدلة الشرعية وأما عدم وجوب الأخذ به فلأنه من قبيل الوجدانيات والوجدانيات لا تقوم علىٰ دليل ولا تستند إلىٰ برهان وإنما هي أمر يجده الصوفي من نفسه وسرّ بينه وبين ربه فله أن يأخذ به ويعمل علىٰ مقتضاه دون أن يلزم به أحداً من الناس سواه.

وهذه الشروط هي كما في مناهل العرفان (٢/ ٨١)

١- ألَّا يتنافىٰ وما يظهر من معنىٰ النظم الكريم.

٢- ألَّا يُدَّعىٰ أنه المراد وحده دون الظاهر.

٣- ألَّا يكون تأويلاً بعيداً سَخِيفاً كتفسير بعضهم قوله تعالىٰ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت] بجعل كلمة ﴿لَمَعَ﴾ فِعْلاً مَاضِياً وكلمة ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ مفعوله.

٤- ألَّا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

٥- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.

كذلك اشترطوا، بيد أن هذه الشروط متداخلة فيمكن الاستغناء بالأول عن الثالث وبالخامس عن الرابع ويحسن ملاحظة شرطين بدلهما:

أحدهما: بيان المعنىٰ الموضوع له اللفظ الكريم أولاً.

Scanned by CamScanner

ثانيهما: ألَّا يكون من وراء هذا التفسير الإشاري تشويش على المفسَّرِ له المتلقّي ا.هـ بتصرف يسير.

أقوال العلماء في التفسير الإشاري:

قال الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين (١/ ٢٩٣ وما بعدها) [ما من كلمة من القرآن إلاّ وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكلِّ واحدٍ حَدٌّ في الترقي إلى درجة أعلى منه فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مِداداً والأشجار أقلاماً فأسرار كلمات الله لا نهاية لها فتنفد الأبحر قبل أن تنفد كلمات الله عز وجل ... وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر عليه وليس اللفظ هو مناقضاً لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره فهذا ما نورده لفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم ا.هـ.

وقال الشيخ تاج الدين أحمد بن عطاء الله السكندري في كتابه لطائف المنن (ص ٢٣٥-٢٣٦ ط. دار الكتاب المصري) [اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالمعاني الغريبة ... ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت له الآية ودلَّت عليه في عرف اللسان وثَمَّ أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه.

Scanned by CamScanner

وقد جاء في الحديث «لِكُلّ آيةٍ ظَاهِرٌ وبَاطِنٌ وحَدٌّ ومَطْلَعٌ» فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا لا معنىٰ للآية إلاَّ هذا وهم لم يقولوا ذلك بل يُقِرُّون الظواهر علىٰ ظواهرها مُراداً بها موضوعاتها ويفهمون عن الله تعالىٰ ما أفهمهم ا.هـ.

وللإشارات أنواع ذكرها الإمام الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير (١/ ٣٥ وما بعدها) حيث قال [عندي أن هذه الإشارات لا تعدو واحداً من ثلاثة أنحاء:

الأول: ما كان يجري فيه معنىٰ الآية مجرىٰ التمثيل لحال شبيه بذلك المعنىٰ كما يقولون مثلاً ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [البقرة: ١١٤] أنه إشارة للقلوب لأنها مواضع الخضوع لله تعالىٰ إذ بها يعرف فتسجد له القلوب بفناء النفوس ومنعها من ذكره هو الحيلولة بينها وبين المعارف اللدنية ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ بتكديرها بالتعصبات وغلبة الهوىٰ فهذا يشبه ضرب المثل لحال مَن لا يُزكي نفسَه بالمعرفة ويمنع قلبه أن تدخله صفات الكمال الناشئة عنها بحال مانع المساجد أن يذكر فيها اسم الله وذكر الآية عند تلك الحالة كالنطق بلفظ المِثل.

Scanned by CamScanner

الثاني: ما كان من نحو التفاؤل فقد يكون للكلمة معنىٰ يسبق من صورتها إلىٰ السمع هو غير معناها المراد وذلك من باب انصراف ذهن السامع إلىٰ ما هو المهم عنده والذي يجول في خاطره وهذا كمن قال في قوله تعالىٰ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] مَن ذَا ٱلَّذِى - إشارة للنفس- يصير من المقربين الشفعاء فهذا يأخذ صدىٰ موقع الكلام في السمع ويتأوَّله علىٰ ما شُغِلَ به قلبه، ورأيت الشيخ محيي الدين يُسمِّي هذا النوع سماعاً ولقد أبدع.

الثالث: عِبرٌ ومواعظ وشأن أهل النفوس اليقظىٰ أن ينتفعوا من كل شيء ويأخذوا الحكمة حيث وجدوها فما ظنك بهم إذا قرؤوا القرآن وتدبروه فاتعظوا بمواعظه فإذا أخذوا من قوله تعالىٰ ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل] اقتبسوا أن القلب الذي لم يمتثل رسول المعارف العليا تكون عاقبته وبالًا... وكل إشارة خرجت عن حدِّ هذه الثلاثة الأحوال إلىٰ ما عداها فهي تقترب إلىٰ قول الباطنية رويدًا رويدًا إلىٰ أن تبلغ عين مقالاتهم ا.هـ.

ومن كتب التفسير التي اهتمت بالتفسير الإشاري تفسير النيسابوري وتفسير الألوسي وتفسير التستري وتفسير محيي الدين بن عربي وتفسير أبي عبد الرحمن السُّلمي حقائق التفسير وتفسير أبي القاسم القشيري وتفسير أبي محمد الشيرازي عرائس البيان في حقائق القرآن وتفسير ابن عجيبة البحر المديد وتفسير إسماعيل حقي روح البيان.

وعليه: فإن التفسير الإشاري مقبول بالشروط السابقة المنقولة عن العلماء والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

Scanned by CamScanner

فإن قلت أي التفاسير ترشد إليه وتأمر الناظر أن يعول عليه قلت تفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري فقد قال النووي أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير ابن جرير الطبري وقال أبو حامد الأسفرائيني لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً انتهى.

وقد سئل شيخ مشايخنا السيد محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل هل التفاسير ككتب الفقه بعضها مقدم على بعض في الترجمات فإن قلتم نعم فمتى اختلف كالجلالين والبيضاوي والحداد والواحدي فما المقدم منها؟

أجاب بقوله الحمد لله نعم كتب التفسير بعضها أرجح من بعض أما تفاسير المتقدمين فأرجحها تفسير ابن جرير الطبري(١) وأما تفاسير المتأخرين فأرجحها تفسير الجلالين(٢) وتفسير جامع البيان لمعين بن صفي وقد كان بعض مشايخنا يرجح جامع البيان على الجلالين والحق أن تفسير جامع البيان كالبيضاوي من فروع الكشاف لأنهم اختصروه فهم تابعون له فيما عدى الاعتزال على أنها قد تخفى دسائس الكشاف على البيضاوي وفي كلام جامع البيان ما يفيد أنَّ البيضاوي

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري شيخ المفسرين توفي سنة ٣١٠هـ.

(٢) لجلال الدين المحلي ت٨٦٤هـ وجلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ.

Scanned by CamScanner

متى عبر بقيل كذا فهو التفسير المأثور وما قبله هو الذي دل عليه سياق الكلام.

ومن تأمل كلامه ظهر له ذلك فأعمدها إذاً تفسير الجلالين لسلامته من الخلاف ولأن الإمام المحلي كان إمام أهل وقته في التحقيق وعرف بين المتأخرين بالشارح المحقق والإمام السيوطي أفنى عمره في الأخبار النبوية والآثار المصطفوية وألف المأثور في التفسير فكلامه فيه حقيق بالإتباع ويشهد له بالتقدم فيه الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور والإتقان في علوم القرآن فرحمهم الله تعالى وهذا كله فيما يتعلق بالتفسير وأما ما عدى ذلك من النكت البيانية والبديعية ومحسنات الكلام فتفسير الزمخشري وأبي السعود أفندي والله أعلم انتهى جواب شيخ مشايخنا.

وقال القنوجي ومن أحسن التفاسير تفسير الشوكاني الصنعاني(١) المسمى بفتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير ثم تفسير هذا العبد القاصر المسمى بفتح البيان في مقاصد القرآن وقد طبع بحمد الله تعالى وكان المصروف في وليمة طبعه عشرين ألف روبية وسارت به الركبان من بلاد الهند إلى بلاد العرب والعجم انتهى.

---

(١) توفي سنة ١٢٥٥ هـ.

Scanned by CamScanner

قلت وقد أخذ القنوجي تفسير الشوكاني بالحرف ومن أحسن التفاسير أيضاً تفسير الحافظ ابن كثير(١) وتفسير الخطيب الشربيني(٢) ومدارك التنزيل ولقد سمعت سيدي وشيخي علامة اليمن ومفتي الثقلين السيد محمد بن عبد الرحمن حسن الأهدل مرة بعد أخرى يثني على مدارك التنزيل ويقول إنه من أحسن التفاسير فذكرت له بعض الأيام جملة من التفاسير المعتبرة فقال لي عليكم بمطالعة المدارك والعكوف عليه وكذا سمعت بعض الأفاضل يمدح المدارك ويقدمه على غيره من التفاسير ولا غرو في ذلك ففي كشف الظنون أن مدارك التنزيل وحقائق التأويل هو كتاب وسط في التأويلات جامع لوجوه الإعراب والقراءات متضمن لدقائق علم البديع والإشارات موشح بأقاويل أهل السنة والجماعة خال من أباطيل أهل البدع والضلالة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل كيف ومؤلفه محرر المذهب النعماني وأبو حنيفة الثاني أستاذ أهل الأرض محي السنة والفرض كشاف حقائق أسرار التنزيل مفتاح أسرار حقائق التأويل ترجمان كلام الرحمن صاحب المعاني والبيان الجامع بين الأصول والفروع المرجوع إليه في المعقول والمسموع حافظ الملة والدين شيخ الإسلام والمسلمين وارث علوم الأنبياء والمرسلين أكمل فحول المجتهدين قدوة قروم المحققين ذو السعادات والكرامات أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود

---

(١) الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء بن كثير القرشي الدمشقي ت٧٧٤هـ جمع تفسيره بين الرواية والدراية.

(٢) هو الإمام محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ت ٩٧٧هـ.

Scanned by CamScanner

النسفي المتوفى سنة٧١٠هـ رحمه الله تعالى قلت وهو غير النسفي صاحب العقائد المشهورة بالنسفية التي شرحها السعد التفتازاني فإنها لأبي الفضل محمد بن محمد المعروف بالبرهان النسفي المتوفى سنة ٦٨٧هـ نعم لصاحب المدارك عمدة الثقات في العقائد وذكر في كشف الظنون أن النسفية لعمر النسفي مفتي الثقلين والصواب ما ذكرته هنا كما قاله الحافظ اللكنوي في طبقات الحنفية والله سبحانه أعلم.

Scanned by CamScanner

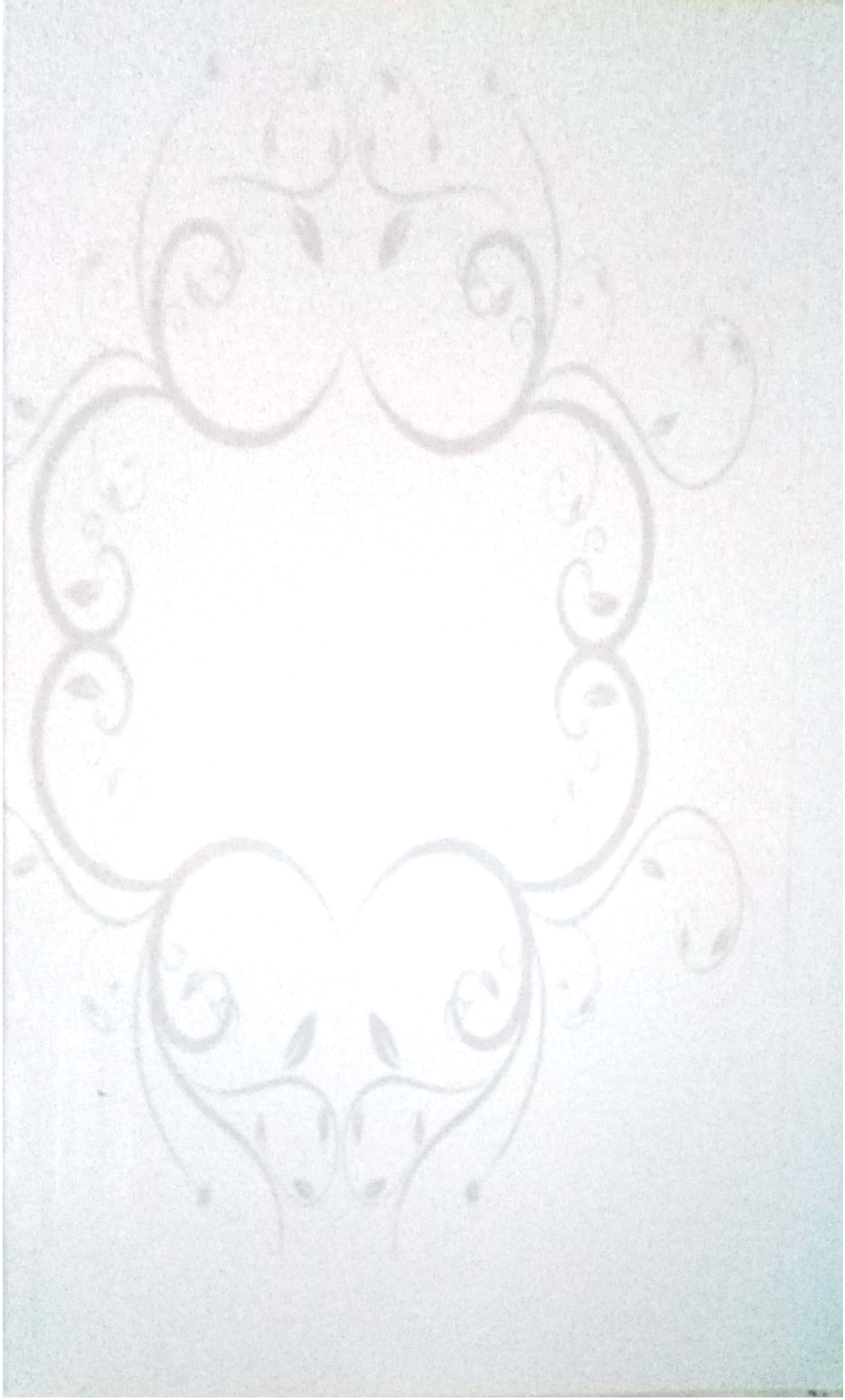

Scanned by CamScanner